

محمد آدم

الأعمال
الشعرية والكافية

(الجزء الأول)

اسم الكتاب: الأعمال الشعرية الكاملة (في ثلاثة أجزاء).

اسم المؤلف: محمد آدم.

الترقيم الدولي: ISBN: 978-9933-567-24-8

الناشر: دار عقل للنشر والدراسات والترجمة.

سنة الطباعة: 2019.

(الجزء الأول)

جميع الحقوق محفوظة لدار عقل



يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار عقل للنشر والدراسات والترجمة

سوريا - دمشق - جرمانا - ص. ب: 249 جرمانا

هاتف: 00963115618956

00963115637060

خلوي: 00963932832010

aklpublishing@gmail.com

الإهداء

إلى أمي
هأنذا قد أعددت المائدة

متاهة الجسد

واردات الوقت

فصل

[1]

ليكن ...

سأتبع الضوء إلى عتمة أخرى وأقيم في الفضاء صلواتي
إلى أن يحل الليل رموزه في غابة النهار
ويحل النهار شفرته على مغاليق الليل ..
سأتبع امرأة ما إلى بلد ما وأكون بمثابة الشكل للمعنى
سأدخل الحديقة أولاً

وأقف على سدررة الرأس وأتنفس ما بين النهدين هواءً صافياً
وأقيم بناءً ما بين النهد وشريرة النهد
وأؤذن للصلاة من غسق الليل إلى مطلع الفجر .

فصل

[2]

هل يغسل النهار قدميه في جسد الليل
أم يتمدد الليل في حديقة النهار ويظل هكذا نائماً عرياناً
النهار يقول لليل: أنت قبضة في يميني
سأشرق عليك بنوافذي
وأفتح عينيك المغمضتين وأرتب أمراً ما
وأجعل كل جزء مني
يقف على حقيقة كل ذرة منك
هنا سأبتكر لك كلاماً ما يليق بك
فابتكر لي كلاماً

يليق بي

وأخرج من معنك إلى فوضاي
ومن فوضاك إلى معناني ..

فصل

[3]

هل أحمل في يدي مشكاة وأقف على بوابات جسمك
وسراديك وأنسلل من بين عساكر وأعضائك عساي
أحيط بك؟!
النهار يقول لليل: لماذا يقف الخيط الأبيض قدام الخيط الأسود
وينازله؟ ولماذا اختلط اللونان؟
أأنت معنى
وأنا معنى؟
ما هو معنك إذن..
وما هو معناني؟
الليل يقول للنهار: أنا من طينة وأنت من طينة أخرى
أيها النهار: سأقف على قيد ذراع منك وأنازلك وأفصح عن
هيولاك
إذن..

أعدك بالمحو كما تعدني بالصحو
أنا سكرك وأنت إفاقتي أيها النهار
سأورق على تخوم شمسك
أنت من رعاياي
كما تعدني من أتباعك...

فصل

[4]

ليكن...
سأتبع الضوء إلى عتمة أخرى
وأتابع امرأة ما إلى بلد ما..
وأكشف عن حصي الرغبة على حصير الجسد وأوسد الشهوة
مفاصل النساء
وأفك كل حرف من حروف الأبجدية بقبيلة منهن وأقيم بين
كل امرأة وجسمها أعراساً

وحقلاً من الرجال يزرعون دأباً فيحصدون ويحرقون من أول
الليل إلى آخر النهار عندئذ
سأقول للمرأة هيئي عرشك لي
فتقول: بخ.. بخ.. هييت لك ما أجملك!!

فصل

[5]

أنا أول الحرف
وأنت آخر الكلام..
أنا أول الضوء وأنت آخر الظلمة
أنا الأبد والأزل وأنت اللحظة المجزوءة لا غير
أنا السدرة وأنت الهاوية
دعني أكشفك لي وأكشف لك عنك فأكشف أمامي أنا المعنى
وأنت شكل المعنى
قلت أستخلص من النساء واحدة وأزين بها عرشي فلا أبالي

بالليل

ولا أعبأ بالنهار

حيث الحياة رحلة دائمة إلى الموت الدائم
والموت رحلة دائمة إلى الحياة الدائمة
هي مركز الدائرة
وأنا نقطة على المحيط..

هي المجرة السابحة في الفضاء الغويط وأنا الجزئيء الغفل
هي رمز الصيرورة
وأنا زمن التلاشي.

فصل

[6]

هناك..

حيث يرقد الأزل في بحر الهيولى والكائنات بلا اسم ولا رسم

وبلا شبح

أو صورة

حيث كل شيء كأن لم يكن
هو العدم في مجرة اللانهاية إذن... آ... آ... آ
حيث الكاف خارجة لتوها من الظلمات
ومتوجة بالإرادة والرغبة
حيث الزمن لا شيء
والمكان لامرئيات.
سأقول للريح أن تنكش البيوت والشوارع وتطفئ المصابيح
وسأحترق بالرماد يوماً ما
وأصلى على جثمانى صلاة دائمة حتى أرى القمر بازغاً
فأقول له:

أأنت هي؟؟

فصل

[7]

عينها بحيرة ساكنة
وجسمها براكين...
صدرها مجرة مكشوفة ونهداها أغادير
جذعها نخلة ضارية وبطنها فتوحات
وما بين النهد وعريشة النهد تكون سماوات وأرض برمل وأشواك
وعلى ساحل النهد تكون غابات بها الوحوش حشرت
ومن الأحراش ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
وعلى جزيرة الجسد ترتبك الذاكرة وبحث الزمن عن اكتماله وفوضاه
هل يكشف الزبد عن سره
وينقبض البحر إلى نقطة في الدائرة؟
أرى شجرة زاكية تخرج من فوضى الجسد وجذع المرأة فأظلل
بها وأكلل بها وقتي
إلى أن تُريَّني من الحال والكلام ما أخوض به لجة الجسد ومحار الحرف
وأنجو من الموت فلا أطفو إلا على ساحل الجسد أو أموت ولا
أخرج منه إلا إليه

عندئذ

أشرق بنور شمسي على بحيرة الجسد الخضراء وأنهجى حروفه
وأفك مغاليقه وطلاسمه .

فصل

[8]

ألمس حصيرة الجسد فأجد فضاءً شاسعاً
يفصح الجسد عن تأملاته وأقاويله
فأنفض غبار النوم وطراوة الأعضاء وأقعد تحت شجرة الجسد
وأرتكز على منعطفاته

ودروبه

وأفتح باباً ضيقاً حرجاً لا يفضي إلا إليه
هو بمثابة الألف
وأنا بمثابة الياء
هو بمثابة الحركة
وأنا بمثابة السكون ..

كيف أستعين على الجسد بالمجاهدة والكتمان حتى يكشف لي
عن سماواته

وعدد نجومه وحصى طرائفه

للجسد / إذن / أبواب سبعة وسماوات غير مأهولة ولا دانية
وما بين سماء الجسد والجسد مثلما بين الموت والحياة من حقيقة
ومعنى .

فصل

[9]

أنكش الجسد بحصى الجسد

فيتذرع بحركاته وسكناته وأقف أمام بوابة الجسد فارغاً وأنكئ
على جسمي بالصبر وعلى أعضائي بالبلوى وعليها بالمرأوغة
والتسليم حتى أقبض بيدي على شيء منه
هل هي بداية المحنة أم محنة البداية ؟

سأشقى إذن على خيانات المعنى وأرتكب خطيئة المجاز وأتوقف
قدام حبائل الصورة ودهاليز الاستعارة
وأعود صახباً
أدفع الزمن أمامي كالعجل المقدس
وأسوقه للذبح عصر كل يوم
وأخلص من بقية الرطوبة الأولى
وأحبس التخيلات في قفص النيران
وأدخل جزيرة الجسد متوجاً بالوقت
والإقامة.

فصل

[10]

سأبتكر خبر اللغة
وأكتب عن تفاصيل الجسد وأقاليمه
سوف أخرج من فضاء الفاصلة إلى النقطة ومن النقطة إلى زمن
الفاصلة
ولا خوف لديّ على المعنى
سوف أعبر تحت ركام العالم وممياواته وأتوكأ على حضارته
المنتفخة ومخاوفه
طوفاني يغلب كل شيء إذن
فلا أسير إلا وفق هواء الرغبة وفوق تخوم المعرفة
يحلولي أن أجد فراغي في الفراغ فأدشنه بخرابي وانكساراتي
يحلولي أن أتحدث إلى اللغة دون كلمات
وأربيها تحت سقف بيتي كالقنفاذ
الهواء جزيرة صاخبة من عالمي الذكورة والأنوثة
وفيه يتمرأى ميثاق عالم الذر وهيلواه بين كينونة الكاف
وثبوت النون
حيث للكمون وقت وللظهور وقت آخر...
الصورة تشكل المعنى
والمعنى هو قلب الصورة وجوهرها بلا منازع.

فصل

[11]

قلت: سأخذ سبيلي في البحر سرباً ولا أمكث إلا في الحرف
فلا أخفى إلا بين الرسم والاسم حيث أجدي قائماً أبحر أمام
جسد امرأة واحدة
إذن سأعود للوراء
إلى الأبدية
حيث كل شيء فارغ إلا من معناه
إذن
سأخترق تخوم الزمن وأسحب كرسي إلى الوراء وأنزل إلى بئر
الأبدية الفارغ وأنزع عن الغلاف قشرة الموت والحياة
وأفتش لي عن صورة هناك...!!

فصل

[12]

واقف أنا / أتحرك حركة طولية وعرضية في نفس الوقت / بلا رسم
ولا كثافة
أجمع ما أشاء من المعرفة وأتحرك حركة هلامية تقطع الأبد
والأزل في لحظة
وأتنفس هواء الحرية الأولى ولا ذاكرة لي
تفتح السماوات أمامي فألفها بشريط أخضر وأخرج من
الناحية الأخرى
حيث الفراغ الغويط فأدلي ساقِي
وأدحرج الأرض بقدمي وأتعلق في قصبة الهواء العالقة.

فصل

[13]

إنها المرأة
تنزل بي من جثث الوقت إلى أرائك الخلوة وليونة العشب
وارتطام الحكايات
إلى حيث يفضي النوم بي عند حدود المعرفة وفناء السوى

أكتب عن قصب الجسد وليمون الرغبة وحشائش العرق النازل
على سلم الظهر

ومن سلم الظهر إلى بقية الأطراف وأنسجة الأجنحة
أكتب عن توهجات الأشعة وزوال ما يسمى بالليل في دائرة النهار
واختفاء الشمس والقمر عند تلاقي الجسد بالجسد
وعلى غلاف الرغبة أفك طلاس سحري وأنصب خيام سحري
وأنتظر أوقاتي

وأقيم أبنيتي إذ تتداعى .

فصل

[14]

أكتب عن ملازمة الخلية للخلية
واكتشاف الحكايات بما لها عند كل ذكر وأنثى من تفاوت
وأشتعل بفصوص العشب وعناقيد الرغبة الخبيثة المحترمة عند كل طرفٍ
وتحت كل ثنية أهز كلماتي فينفرط عقد لساني ويشي بي
أمام كل رجل وامرأة وعند كل صاحب طريقة وفي كل مقام
وعلى امتداد كل زاوية أقيم صلواتي ونسكي وأقول: هنا
محياتي ومماتي
وعلى مشارف النشوة لا أفكر في النوم ولا أعبأ باليقظة
فقط أكون هكذا:

عينان زائغتان ولا تستقران على شيء
وما بين سماء الإبط والإبط تقوم مدائن الأولين والآخرين بما
فيها من نمارق مصفوفة
وأحجار كريمة
وأنهار من غسل مصفى هو لذة للشاربين
فلا يدخلها إلا إياي .

فصل

[15]

أكتب عن تلاشي الذاكرة وفيوض الأشياء
عند فيض كل رجل على امرأة بعينها وفيض كل امرأة بعينها

على سلالة بأكملها
أكتب عن ملاسة الليل للنهار
وملاسة النهار لليل
حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود وأنا قائم بمشاغلي
أكتب عن انسلاخ البدن في أقصى البدن
وتكاثر الأرض على شفا الجسد
وأبحث عن امرأة أخرى
بها ما في الأولين والآخرين من تفاوت هو المعنى
ومن معنى هو الأزل والأبد
ولا فرق لدي إذ يختصمون فيها وأنا أسمع وأرى...!!

فصل

[16]

أقبض بيدي على غصن سماء نازفة وأتوجني شيخ الوقت
أتشبت في دائرة الرؤيا وأداوم معراجي صوب مقامات الحال
الأمس غابة أشجار من مرجان
وأفض بكاراة أنهار من ياقوت
وأفوض نفسي ملكاً للآلهة الصغرى
هذي المرأة صاعدة من أبخرة الروح
إلى جنات الأنس
شفتها آخر ما أخرجت الأرض من الضوء
عينها لؤلؤتان
اختبأ الوقت بداخل إحداها
والأخرى جمعت ما في الأرض من المأوى
كيف أرتب أشجاري في طاولة الأمس
وحالي ممتد عبر الوقت
وكيف أمد جسوري لسماء نازفة..
وأداوم معراجي صوب مقامات الحال؟

فصل

[17]

إنها الذاكرة

تشعل ما يتبقى من الليل في غابة النهار
وتشعل ما يتبقى من النهار في غابة الليل وهو جس الأمهات
ها هي ذي عربات اللذة آتية من خلف بوابة الجسد
وعليها من الصهد وكلام النهار ركام
ونتوءات
لتنصب توهجاتها تحت خيمة الجسد وعلى امتداد أراضيه
ومشارف سماواته
وتقيم تفرعاتها
واحتفالاتها
فوق شجرة وحيدة تسمى الرغبة
وهي مواطن الألوهة
ومنابت الشمس ومنازل القمر.

فصل

[18]

كيف أكتب تواريخ الجسد وأضيء به شجر النهار
وأزرع بين كل جسد وجسد
جزيرة
من الدم المسكون بالتنزلات الليلية والوصل
وأصلي صلوات لا أول لها ولا آخر
ثم أسجد سجدة طويلة بهية فلا أقوم بعدها أبداً حتى أرى
الجسد بازغاً
إنها الذاكرة:
طوفي - إذن - أيتها المراكب الراسية عند خليجان الجسد واعبري
حاجز الوقت
وتطوحات القيام والقعود إلى أن أخرج من برزخ النوم

إلى عتبة اليقظة

واهدئي .

فصل

[19]

اهدئي عند خليج يقال له القيامة

وأمام بوابة واسعة

يقال عنها الأرض

كي أقول للجسد: أنت سيدي

وللأرض:

ازحزي قليلاً فسوف أهبط عليك بأسمائي وشاراتي

إلى أن تقوم الروح بازغة

وبها يعرف الليل طعم النهار ويعرف النهار أنوثة الليل

فأهتف:

أيها الجسد: أين حدود السماوات والأرض

أيتها الأرض: ما هي حدود السيد الجسد؟!

يعرف الليل شكل الأمكنة ومخابئ النهار

ويعرف النهار خطى الليل

فهل يعرف الجسد شكل توهجاته وعدد أوديته في الليل

والنهار

إنها الذاكرة.

فصل

[20]

ليكن..

سأتبع الضوء إلى عتمة أخرى

وأمد يدي في هوة الجسد وأقترب من قارورة الروح

ليكن...

سأفتش في أرض سبأ عن امرأة أخرى تسمى بلقيس

وأسأل عن (وضاح)

(وديك الجن) وعن هدهد سليمان

وأقرب من حقيقة امرأة ما وأسأل عن صنوبرة الجسد
وزهر النهدين وياقوتة الإبط
واكتناز الصدر على أبهة الضوء.

فصل

[21]

كيف يكتب الجسد رموزه ويطلق حشائشه ويدون ما له من أسماء
على مرايا جسد آخر؟!
تخرج الشمس في الصباح لامعة ومتلصصة من تحت سماء الإبطين
وتتجول بحرية في حديقة الجسد النائم
وتفرز رغاءاتها على شعر امرأة نائمة
في حديقة رجل نائم
عند تلاقي الليل والنهار على خريطة الجسد
كيف تكتب الشمس عن زوال الليل في دائرة النهار
وتؤرخ لانكسار النهار
على صفحة الليل؟
يهبط الليل من شرفة في الفضاء
ويتوكأ على عدد من النجوم حيث السماء شآبيب من الضوء
والغيوم قطعان ترعى في اللانهاية
والزمن مرايا ونواميس!!
آه
ليكن...
سأتبع الضوء إلى عتمة أخرى
وأتابع امرأة ما إلى بلد ما.

مقام الجسد

فصل

[1]

إنه الجسد

يشرح لي طريقة قيامته
وعدد صلواته في اليوم والليلة وأهيم له نفسي
والأرض
تنفرج عن أيقونة الجسد
بلا منازع أو قوة
كيف أعلن عن قيامة أخيرة وأصطفى من النار لغة
وحيدة

لتكون مقامي
أيها الجسد:
اخرج عليّ من مكنٍ ضيقٍ حرجٍ
وتصبب عليّ
كاليوأقيت
وتشبث بجنازاتي
وقل لي: أنا الأول والآخر والظاهر والباطن
ولا تقل لي:
أنا أنت أو أنت أنا
فبيننا علامة
ومواثيق على ما نخفي وما نعلن.

فصل

[2]

أيها الجسد:
كيف أصطف في حواريك وأصطفيك فلا تخرج عليّ الوحوش
بغته

في وضوح النهار
والناس نيام
وأنتظر مقدم الموت فلا أخاف
وأخلع عليك من أسمائي وشاراتي
ما تنوء بحمله
وكشفه

وأتوكأ على مفاتيحك لأعرف ما بغرفك من هدايا ونواميس؟!

عندئذ

أقترح عليك عدد صلواتي في اليوم والليلة

ولا أبالي

أأنت عارف بها

وطاقتي لديك مثل حبة من خردل وربما أقل

وأتشح بك في كل واد تقيم فيه

ضيفَ سفرٍ

ورفيقَ وحشة

وصاحبَ مقام.

فصل

[3]

هل وردة أنت يا سيدي الجسد؟!

أم طائر يلتف حول رقبتني وعنقي؟!

أتمدد بين ذراعيك كالجوهرة الزائفة العتيقة

ولا

أفتش عن رقدة لي

وأحتسي شراب النيين والفقراء

وأفر إليك كالضحية.

فصل

[4]

لا تخرج عليَّ أيها الجسد

فجأة

وحولك الحرس الطائف في المدينة يسعى ويفتش عن كل غيابة

وينقب عن كل صاحب جب

أنا الخائف المترقب كل جنودك

وعساكرك

وأقطارك ملآنة بالعبيد والجوعى

من كل فج عميقٍ

وعلى كل شكلٍ ولونٍ
ومن كل جنسٍ
وديانةٍ
فكن رفيقاً بي
أليست لديك رغبة في البوح والشكاية لمرة واحدة
أليس لي عليك من سلطان!!
توضأً بجاني!!
وصلّ عليّ صلاة مودع
واحفر - لي - حفرة عميقة عرضها السماوات والأرض كي
أتمدد فيها
وتتسع لرقدي
ولأوقاتي
ولأنام نومة بهية بهيجة فلا أبحث عن قيامة ثانية
ولا أحصي عدد قتلاك
وعميق هاويتي.

فصل

[5]

أأنت فرح بهذا أيها الجسد ومأخوذُ
فلا يُخاف عليك
أو يُغار منك؟!
إذن
سأناولك أوجاعي
فناولني إذن خياناتك
ولا تخش عليّ من الغرق والفجعة
أيها الجسد
كيف أصعد إليك وأنزل
وأصطاد سمكك الأخضر المتوحش بالشص
ولا أنتبه إلى الغرقى
وهم كثيرون

أيها الجسد
كيف أفك رموزك
وأحصي عدد كلماتك وكمالاتك
أيها الغامق المصقول بالوجع والخينات
أأنت غامض مثل الورد
ومفتوح كالهواية؟!

مقام الورد

فصل

[1]

الورد طائشة وبغي
أصحابها
من حيث اختلف الندمان - إلى طاولتي - فترد السهم المقذوف
إليّ
وأودعها سري فتذيع السر
وتكشف عن عريّ قدام خفافيش الروح
فهل تملك أن تكشف عن سوءة بدني المفضوح
أمام غوايتها
وتعود فترتاح عليّ!!
الورد طائشة وبغي
أيتها الورد
كيف أعلمك الأسماء
وأنزل خلفك دهليز الموت الأرضي
وأصعد نحوك مثل الفرع النائم
خلف مقاصير الماء
فأنتبه إليك ولا
تنبيهين إليّ
هل وردك قتلي

وحروفك آونة أخرى
وسماؤك
طاولة للأغراب
وفي أرضك فرسان يقتتلون إذا جن الليل عليك
وحين يفرون يغيرون علي؟!
وأنت كما أنت تروحين وتغدين
وفي آخر منعطفات - الروح - تقومين هنالك
مشرقة
ومفارقة
مثل نبي.
فصل

[2]

أيتها الوردة
من علمك الأسماء
وأعطاك اللون السري
وهياك
وسواك
إلى أن يرث الله الأرض
على طاولة الروح
لماذا أيتها الوردة
أنكشف عليك
ولا تنفتحين علي؟

فصل

[3]

أيتها الوردة
حين أتيناك سألنا صاحبة الحقل
هل عندك ورد حتى نتملاه
أو نحرسه
أو حتى نعننى بسقايته

فأجابت صاحبة الحقل
وردي لا يصلح للندمان ولا ينكشف
وردي نعسان بين غلائله
لا يمكن أن تلمسه كف!
قلنا يا صاحبة الحقل
ائتني واحدة حتى نرعاها بسقايتنا
فأشارت نحو القائمة هناك على طرف الغابة
عنق من عاج
أوراق من ماء أجاج
وخيوط من ضوء غماز وهاج
ورحيق من زبد يتصبب في كأس من زبد أخاذ رجراج
وسماء تتدلى ناحية الوردة
فتحاول أن تلمسها
لكن ذؤابتها
تتنضد عن شمس متبخرة
في نهر غناج
مهتاج
قلنا يا صاحبة الحقل
الوردة قائمة في أقصى الحقل وها نحن نعاني
من جرح الوردة
هل يمكن للوردة أن تنجرح على شريان الوردة
حتى نحصى قتلاها أو نلمسها؟!
قالت صاحبة الحقل
الوردة شوك
والوردة شوق
الوردة توق
والوردة فت
وأنا
أنا وردي

لا يصلح لمصاحبة الندمان ولا ينكشف؟
فهل يمكن أن تلمسه كف؟!

موقف العشق

أ- قبض

[1]

امرأة غازلت ثوبها الورد ثم استوت فوق سجادة
من جسوم الزنابق
والقز

بعض الأيائل - ترعى فرادى - بقمصان أشجارها
هل لها من عشيق سواي بهذي المدينة؟
من يرسل الطير - محتبساً - في انطلاق الرياح
السوانح

ثم يعود وصفاته كالغزالات
يرتعن في البید
والجبل الصائف المتخضر
قرب ذراها

وما هالني بعض هذا الذي هالها
اتخذت لها شاهداً من مقامات موتي
وصلبان بعض العذارى
وأكملت أركان وقتي بأسمائها

ثم قلت

لعل الذي دلّه دلّه..!!

دمي باسط جرحه فوق أعجازها أو سلا لاتها
مرة

كاد يخذعني فائقبضت كحرفين مشتبكين
ونمت طويلاً على العتبات الصقلات ثم بكيت
أذى دارها؟؟ واقتربنا؟؟

فصل

[2]

تلني للجبين هواي فصحت وصاحت
خيول الرمال الظميات جاءت وأرخت أعتتها قرب أعتابنا
فاشربوا
وامكثوا في المضارب بعض العشيات أو فاشعلوا نارها
خلفها كان سهل من الماء يعلو
وكنت رقدت طويلاً على بابها
فمن ذا الذي جاءها والنجوم انطفت
وكانت تغلق أبوابها
قلت: موتي وشيك بأعتابها
دلني صوت طير يطير قريباً على مرقد من حرير وخز
أكنت انتظرت طويلاً؟
ونقر خفيف على الباب من؟!
قلت: هيا افتحوا وامنحوا للغريب المسافر بعضاً من الزاد
ما زادني بعض هذا الذي زادها
قلت:
أحمل صرة موتي وأرحل
علّ الذي صده صدها.

فصل

[3]

كان طير يحلق فوقي ويهوي قليلاً ليمسح فوق جناحي
طيور من الضوء خضر تتابعنه
فمن ذا الذي دلها؟
ربما طافها طائف واختفى
فاختفت كالنجوم المغيرات هذي اليواقيت
من ينقذ العير رحلتها أو شكت
وحادى القبيلة قد خاله الخيل أو خانها

- خَلَّه يَسْتَبِينَ مَوَاقِعَهُ -

فَالشَّعَابُ مَسَالِكُهَا أُدْلِجَتْ

وَالْمَهَارَى السَّلَالَاتُ فَرَّتْ كَخُطْفَةٍ بَرْقٍ

وَهَذِي الْأَيَّائِلُ ضَلَّتْ طَرَائِقُهَا بَيْنَ شَعَثِ الْجِبَالِ

وَصَفَرَ الشَّمُوسُ انْتَهَى وَقْتُهَا وَالرَّعَاءُ انْتَهَوْا

قَرَبَ وَرَدٍ شَحِيحٍ

وَهَذِي الْغَزَالَاتُ ضَامِرَةٌ

نَالَهَا بَعْضُ هَذَا الَّذِي نَالَهَا

ثُمَّ كُنْتُ هُنَاكَ إِلَى سَدْرَةٍ لَمْ يَرِ الْقَلْبُ فِيهَا سِوَى ذَاتِهِ

فَانْحَرَفْتُ يَمِينًا وَحَاوَلْتُ أَنْظُرَ

لَمْ أُسْتَبِنْ أَيْ شَيْءٍ وَحَاوَلْتُ أَسْمَعَ

فِي الْأُذُنِ وَقَرَّ

تَرَى ابْيَضَّتْ الْعَيْنُ مِمَّا بِهَا أَوْ رَأَتْ؟

مَا الَّذِي أَشْعَلَ الرَّأْسَ شَيْئًا؟

فَصَلِّ

[4]

وَكُنْتُ انْحَرَفْتُ يَسَارًا

صَرِيرَ الْحُرُوفِ أَصْرٍ

وَأَصْمِي الصَّبَا وَالصَّبَا

ثُمَّ غَشَّى عَلَيَّ

أَجْرَنِي

- سَلَامٌ عَلَيْكَ وَحِينَ وَلَدْتَ وَحِينَ تَمُوتُ وَحِينَ سَتَبْعُثُ حَيًّا -

وَرَاوَدَنِي الْقَلْبُ عَمَّا بِهِ

فَاسْتَجَرْتُ بِأَتْرَابِهَا وَمَا جَارَنِي أَيْ شَيْءٍ

رَأَيْتُ دَمِي سَائِلًا فَوْقَ صَدْرِي

وَخَصَبْتُ أَطْرَافَهَا

كَمْ تَبَقِيَ مِنَ الْمَوْتِ

سَهْمًا رَمَيْتُ وَمَا قَدْ رَمَيْتُ أَصَادَتِ سَهَامِي أَمْ صَادَهَا؟

فصل

[5]

قلت: أرحل خلف اليمانيّ
ركب.. وعيس بأطراف أجفانها
أو رمتني بلحظ من النار كالمهل يشوي الفؤاد ويترك فوق الأعنة
آثارها
ليتها
من لها في المدينة غيري؟
وأدلجت في الليل
تحتي يئز الحصى
والخطى شابها بعض هذا الذي شابها
ثم طال السرى والثرى - كالثرى -
وزالت عن الحي بعض النجوم
وأوشك ليل الشها في السها
ثم همت بنا
وهممنا بها...!!
أو كان الذي همني همها؟؟

فصل

[6]

ربما
ويا صاحبي: ارفقا... أو قفا.. وابكيا.. واشفقا
وانزلا عند ربع قديمٍ
وقولا لها
أقيمي هنالك بعض الهنيئات
هذي الديار بها ما بها
فالنوى
والنياق
وخضر الخيام الكثيرات من ذا يقلّع أوتادها؟
قلت

يمم

- تيممت - ...

حتى استوت في الظهيرة أقمارها.

فصل

[7]

ثم كانت شقائقها كالدهان

استرحنا قليلاً من السير فوق التراب

وصعدنا نحوها خطوها

أطلت مع الغيم عين المها

كان قلبي كليماً

وليلي كليماً

وخطوي كليماً

أكنت كليماً - بساحاتها - ثم كانت كذاك من الوجد كلمي

أهذي سليمي تشقشق؟ أم ذي مها كالمها؟

هل ستفتح؟ أم ستغلق أبوابها - دونها - ؟

كان قلبي لها.

فصل

[8]

ثم أذن في العير

هبّت رياح على الأرض صفر وأشعل بعض السرى ليلها

وارتحلنا

ارتحلنا وكنت أجفف قلبي

دمي كان أحمر مثل الشقائق

هل سيقود إلى بهوها؟

يا لها

هل لها من عشيقٍ سواي بهذي المدينة؟

يا ليتها

كم تبقى من الوقت؟

ما دلني غير برق يخصف أقمارها

هل ترى برقها؟

حمحمي

أوقني قرب هذي المضارب بانت سعادُ
أهنأ ترى أم تُرى ما دهى؟؟

ب- فيض

[1]

قطرتان

وينفصل الضوء أو يعتم الأفق شيئاً فشيئاً

ويلتحم الجسدان

على ساحل الأخضر المتوقد

والأبيض المرمرى

الذي يتكسر فوق سهول

من العاج

والآبنوس

وبحر من الحمرة المطلقة

هدأ الضوء

فانسحبي يا خيول الرماد

امسحي عنك بعض التوقد ثم اصهلي مرة

مرتين

ثلاثاً

وعشرأ

- فهل يتبين خيط الفجر الأبيض من خيط الليل الأسود

أو تصايح بعض الديكة معلنةً

عن بدء صباح

مملوءٍ شغفاً؟

فصل

[2]

كنا استرحنا قليلاً على الورد

ثم استويننا على العرش
فوق الأرائك معقودة بالنجيمات
وانفلق البرق من فوقنا خصلات من الضوء
هل تستريح التويجات فوق أسرة أجسادنا لغة تستقر على
صدفات المحار
نخيلاً
وزيتونة
وحداثق غلباً؟
أهذي الفرشات وعل يطارد وعلاً
ويربطه في خيوط من القز واللون
سرب من البقر الأبيض المتوحش ينحل قرب العشيات آنية
من زجاج
- ولؤلؤ منثور -

على جبل شاهق من زهور وماء؟؟

فصل

[3]

من يشعل النار فوق خرائط أجسادنا زبدًا يتطاير فوق حدائق
أجسادنا
خمرة
تتقطر أو تتعصّر؟
هذي الفراشات - جامحة - تتعقب بعض الأيائل
وهي تفر إلى السهل
- مفجوعة -

تتربص بالغور والظل في الشمس
هل تتنكر للرمال ألوانه؟

فصل

[4]

حداء

آ...آه... يا قاصرات الطرفِ ويا ذواتِ الأكمام...!!

اقتربن دمي يحترق
واغتسلن أمامي عرايا
ولا يحجبكن عني إنس ولا جان
لا صلاة..
ولا حياة
لا فلاة...
ولا موت
يا قاصرات الطرف
ويا ذوات الأكمام
اجعلنني أتمتع منكن بالغناء
وانشرن بهجة أعضائي على المنائر القديمة والقلاع العتيقة
كي تهتدي السفائن لي
وتحط طيور النوارس المجهدة على ذؤابتي
وقمم ثلوجي المشتعلة
حتى يأتي قمر أخضر - ضال - فيهتدي لي وينير ممراتي الضيقة وبدني
المعتم
ليكشفني أمامكن.
فصل
[5]
آه
فضة أصواتكن مرايا وأخاديد
خدوركن هودج للشتاء والصيف
وخموركن زينة - ومقاعد للكشف والسمع -
احجبجن إليّ
أو أصبو إليكن...!!
واملأن جراري بالماء وشفتي بالتراتيل
وقصبة صدري بالغناء وعيني بالمحبة وقلبي بالموددة والبراءة والإثم
وخلوني أطوّف بكن أو طفن حوالي.

فصل

[6]

ها ولدان مخلدون
يحملون كؤوساً من فضةٍ وأباريقَ من يواقيتَ وأساورَ من ذهبٍ
واستبرق
يجلسون على سررٍ متقابلةٍ
ونمارق خضراء
من زمرد ومرجان
وينظرون إليكن بمودة
واحتدام
افتحن لي
يكفيني مكن عناء السفر ووعناء الطريق وطول الرحلة
وقلة الزاد
وأنتن لؤلؤ مكنون.

فصل

[7]

يا قاصراتِ الطرفِ
ويا ذواتِ الأكمامِ
دمي في رقبتيكن إن أنا مت قبل الرؤية والمشاهدة
وحضور حفلات العرس
والتتويج
والتعميد
ألا ترون دمي وقد خضب أطرافكن
وسال على شرفاتكن مرايا وأخاديد
ومقاعد للسمع والبوح
وفوق أسرتكن أزهر وأينع
وكلما سقط على الأرض اهتزت وربت
وأنتت من كل زوج بهيج؟!

فصل

[8]

آه يا قاصراتِ الطرفِ ويا ذوات الأكمَامِ
أذن مؤذن العير - في غبش الصباح - وأنتن في خدوركن
تزوججن بدمي خدودكن
وتغتسلن به
خمس مرات في اليوم والليلة!!

فصل

[9]

الوعول تفر إلى ناصيات الجبال فتركض أو تتراكمض
إذ تلمع اليرقات قريباً من الشجرات العجاف ويمتد هذا الغبار
مدى
ثم ينصهر الضوء - من فوقنا - قطرات من الماس واللؤلؤ
المتدحرج والعاج
هذي الحداثق مشغولة بالبنفسج في الصباح
حين ينازعها الطل في الليل
ها جسدي يتطاوح كالنخل من فرط خضرته
والرياح لواقع
تنفج الشمس من فوقنا وردة تستحم على زبد البحر
ينعقد البحر من تحتنا
زرققة.

فصل

[10]

قطرتان

ويلتحم الضوء شيئاً.. فشيئاً
وينفصل الجسدان
على ساحل الأخضر المتوقد
والأبيض المرمرى الذي يتكسر فوق سهول من العاج والابنوس
وبحر من الحمرة المطلقة.

أتهياً لكتابة اسمي ولا أحد يراني

فصل

[1]

أُتخذ كالأرض
وأصلي صلاة الشياطين ولا حول لي
وأقطف زهرة

رابية

فوق جسد ممتلى

بكنوز الشهوة

ورغوة الإثم

وولائم

المحبة

ولا سواي هناك في الحضرة

وأتمشى بين كلماتي

فلا أجد أحداً يسمعي

أو يصلي عليّ؟!

فصل

[2]

قلت

أنزع عن جسمي شهوة القراءات وعن عيني

رغبة البكاء والفرح

وأتلصص مثل ياقوتة صغيرة خضراء

في خليج

أخضر

صغير

على الأسماك المتوحشة والميتة

وأتوضأ بحموضة الفجر

وصلاة الأرقاء
وأدخل في غيابة الليل والنهار
وهأنذا
أخرج للناس عاريًا
ووحيداً
وليس على جسمي ما يستر عريي
أو يسد رمقي .

فصل

[3]

قلت
إذن
أسير في الأرض
وبقيت مسيرة يومٍ ويومٍ ويومٍ
وليلةٍ
وليلةٍ
وليلةٍ
ولمّا لم أجد أحداً يكلمني أو يشير إليّ
تعثرت بنفسي
وخلوت إلى شياطيني
وقعدت تحت ظل شمسٍ
حمئةٍ
فإذا بي غارق في بحرٍ لجيٍّ
تتقاذفني الأمواجُ
وحولي الحيتانُ
والطحالب الغارقةُ
وأسماك القرش تتلاعب بأذيالها
وتتقاتل
نهمة عليّ !!

فصل

[4]

قلت

لو أنني أعرف عدد الرمل والحصى

لو أنني أعرف موج الذاكرة

لو أنني أعرف

كيف أكور الليل على النهار

وأكور النهار على الليل

إذن

لنجوت

واتخذت من هذه الأسماك

رفاقاً

لي

فصل

[5]

وبينما أنا غارق هكذا غلبني النوم فخلوت إلى شياطيني وقلت

لنفسي

كيف تنام وأنت في البحر غريق وغريب ولا منجاة لك

سوى الغرق والغياب

فكان أن ضحكت

واستغرقت في النوم.

فصل

[6]

وكان أن رأيت امرأة بهيجة وثملة

وبيضاء كالورد

وتقعد في حقل من الماس واللازورد

عن يمينها خلجان

من شمس

نائمة

وأقمار تتفافز بحوية
وكتل من سحاب أبيض متراص
يلمع في توهج وزينة
وعن يسارها طيور بيضاء وخضراء وزرقاء
فقلت لي:
ما هي حاجتك؟
وما وجهتك؟
فتلعثمت
وإذ بسحابة بيضاء تظلل المكان والزمان وتنقلني في لمح البصر
إلى سماء بعيدة
ومليئة بالنجوم والكواكب
وليس على ظهرها من أحد سواي.

فصل

[7]

فأخذت أسير ذات اليمين مرة وذات الشمال مرة لعلّي أجد
مخرجاً

فأنفذ منه إلى الأرض
وكان أن هدني الحزن واستولى عليّ التعب
فاستويت قاعداً

تحت شجرة وحيدة طولها

سبعون ألف ذراعٍ

وبها ورق كثير

كل ورقة - منها - تغطي نصف قارة

- وهي في كل الأحوال مورقة وجميلة -

وأخذت أدق على جدران السماوات والأرض

وأصفر صغيراً خرباً مجنوناً

وأخرج من جسدي

وأشرنق بالودق الأحمر والبرق

وبقايا النفايات

وأكحل عيني بذؤابات الأسئلة
والتأوهات.

فصل

[8]

كيف أعلن عن يآسي للسماء وأسترشد بنجمة ضالة
في سماء ضائعة
وأرض مراوغة؟
كيف أهين نفسي لاحتمال الفجيعة والموت
بالدوران هكذا على الأرصفة إلى الأبد؟
طعم الهواء حامض
ولا ماء عندي

لا سماء لي بالأساس لأحتمي بها من الغرق والفرق ولا أرض تحتي في الحقيقة
لأنشبت بها من الجنون والفرق
وهأنذا أشرب نقيع الوجد ومرادة الأشياء
وأحتمي من الخوف بالخوف
ومن القطيعة بالصلب والقتل
في كل آنٍ
وآن.

فصل

[9]

وجلس هكذا مقرفصاً أرتعد
وفجأة..
سمعت قرقة عظيمة وجلبة
ورأيت غباراً

يسد عين الشمس
وكان الهواء يتمايل ويسير أمامي صائحاً
فكيف أمسك به وهو يسير خلفي جشاً
جشاً

وأرؤساً مقطوعةً تتمايل وتتلوى

وتفح فحيح الحيات والعقارب
وها هي كتل الهواء البارد تحيط بي
فأتجمد كالكرة
وأتنفح كالصراصير
وألتف على نفسي وأتدحرج دحرجة خفيفة وأتذبذب كالوتر
وأغير وجهتي كالقشة
والشمس تتدحرج من بين رجلي تدحرجات هائلة
وتندفع أمامي تارة
وتارة
تندفع خلفي
وهكذا تحيط بي في توهج وظلمة وتنفلت إلى السديم
ودونما جلبة أو انفجار
والأرض تنسحب من على كرسيها
وتلتف بعباءة الزمن
وتتقدم بردانةً إليّ..!!

فصل

[10]

صاحت الأرض: أيها الأبق
أيها الخارج من بين ضلوعي ورحمي
كيف تتنكر لي ولا تفر إليّ
أما ترى
أنني في حاجة إليك
أتقشر مثل الجلد
وأتعري كالسراطين
وتسقط الأوراق عن كاهلي
والبحر هكذا هكذا
يلم أطفاله ويمضي
فغرقت المراكب وساح على كل من بالساحل
طويت الصحف

وجفت الأقلام
وتهيات لكي أكون ثمرة شهية
ولكن اللصوص اختبأوا تحت جلدي
ونهبوا سرتي ولحمي
وجففوا راحمي
وفتوا عظامي والصراصير اختفت في لحائي
وأنت ضفادع كثيرة كثيرة
تتفرع وتتناسل بقربي ولم تشأ أن تعرفني
أهكذا تكون المحبة؟ أهكذا تكون المعرفة؟
لك الآخرة
ولي الأولى.

فصل

[11]

هذه هي سرتي أمدّها إليك وهذا هو جسدي حصان لك فاركبْ وتوكأ عليه
ولا تقل إليّ وداعاً وداعاً
ها هو الجسد إذن يتكشف ويفصح عن سوءة بدن معتم
ورغبة دفينّة
لا تقدر شمس دفينّة
ولا قمر دفين
على عبوره
أو اجتيازه
فكيف يمكن الدخول إلى مسالكه الوعرة الخشنة
المليئة بالوحوش والنمور والذئاب؟!
كيف أخيط جسمي إلى الأرض
وأربط ما بيني وبين سرّتها بكلام هو كلام الموتى
ولغة هي لغة الشمس والقمر
وكافة ما تحمل الريح من تخيلاتٍ
وشهوةٍ
أهكذا تكون الحروف دائماً؟

وهكذا تكون العبارة أبداً؟
وماذا يربطني بالليل وماذا يربطها بالنهار؟
فصل

[12]

هكذا أسعى إلى خرابي
وأبني توافقاتي
أندلى كأساً مكسورة لا يقربها الأطفال
ولا تحج إليها الشقائق
وثمرّة
- معطوبة -

لا تسقط إلا بين الأنقاض
وكلمة ناقصة
في فضاء الحروف واللغة
وها هو الظل مساحة فارغة
والماء بلا لون
والسماء تتهياً للسقوط
والانهيار.

فصل

[13]

كيف أدخل إلى بيتك أيتها السيدة العجوز وأصلي وأسلم
عليك وأنت
في مكنٍ ضيقٍ حرجٍ
تتغطين بالأوبئة
وتتزينين بالجراثيم
وتنتفخين كجثة؟!
أهذه غواية جديدة وشرك منصوب؟
صارت السماء أرجوحة
والشمس ثوباً ممزقاً!!

فصل

[14]

هكذا يكون خرابي أيتها الأرض
وهكذا يكون سقف بيتك أيتها السماء
ثانية..

أهبط للأرض
وأعري تفاحة الهواء
وأقطف قليلاً من ثمر الضوء الحامض
وأتمشى وحيداً
على منزلقات الإثم والبراءة
وها هو ذا النهار يخرج وحيداً عن دائرة الرطوبة الأولى
إلى متاهات
لا أول لها ولا آخر
هل هذه بقعة الضوء إذن..
كيف أبني سفينة واحدة
فتحمل كل متناقضات الأرض
وأصعد بها نحو قبة السماء.

فصل

[15]

ها هي ذي شجرة صغيرة خضراء تفتersh
مساحة صغيرة خضراء
من الزمن
وتمد ذؤاباتها نحو شمسٍ غائمةٍ ونهارٍ مأخوذٍ بغيبته
وها هو الجسد
يصعد غريقاً نحو القاع
فلا تجد له سميعاً
ولا بصيراً
والأرض تشغو ثغاء مرأً
والسماء تنفطر

إلى شرائح من تاوهات وحشرة غريبة وصراخ
وها هو ذا كوكب يأتي أخيراً
فيطل علينا بفرحةٍ ودهشةٍ كأنها القيامةُ
أو كأنه المواقيت
وأنا أسمع ارتطام جسدٍ فرحٍ بجسدٍ فرحٍ وأرضٍ بأرضٍ وسماءٍ
بسماءٍ!!

فصل

[16]

هيثوا - إذن - طقوسكم
فسألتف على شرائقي الكثيرة وأدرك بالأئلة الخائبة
والإجابات الفارغة
وأنزل عن جث ألفها
إلى جث أخرى معادية
وأستمرئ اليقظة
وهجوم الموت المفاجئ وضراوة القتل النهاري
والليلي
وأخذش حياء الشمس بيدي
وأضمد الأرض بجلدي
أيتها الأرض
لم يعد من وشيجة بيني وبينك
غير ما يألف الميت الحي من شجر الماء
ولغات الأرض في صوت واحد
وحركة واحدة
وفي لحظة واحدة
وما بين السمك الطائر المحتضر والماء المختبئ بالذيل والزعانف!!
هل إيقاعك كلام العالم
وتراب نعليك عصافير ملونة وكواكب مندثرة وحضارات أخرى
زائفة
تأهب للاندثار الأفول؟!!

فصل

[17]

كنت في شكّ من أمري
إلى أن انفصلت عن جسّمي وجحيمي
وخرجت ألتصص على الأرض
وحيداً
في غيبة النهار
وذهول الخليفة بالخلقة والموت بالموت
فضاء شاسع
يصنع الأنبياء ويقتلهم
سماء تمتد إلى غير ما وجهة فيؤولها كل أحد لحسابه!!
جدران ضيقة ولا يقال لها سجن!!
أرض قاتلة
ولا يقال عنها زنازة!!
حرية أضيق مدى ما بين فكي نملة مقلوبة
أقمار ميتة
تتمشى على أديم سماوات معطرة
بالأريج والدعوات
صراخ ولا فم
وصوت ولا صدى ونهار بلا شمس
وأطفال ولا حلم.

فصل

[18]

ها..ها..ها..ها
... أليست هناك نجمة وحيدة في مستقر لها
إلا ويكون لها شكل القرايين
كلمات أخذت صوت التراتيل بلا خشية أو علامة
على المحبة
فبأي آية ظاهرة

وباطنة
تأتي الشمس - مرتجلة - كل صباح لتوقظنا
وتدق على نوافذ بيوتنا
وحدقات أطفالنا
ومن وقت الفجر إلى شجر النوم
يخرج وقت مزحوم بفضاء المحبة
وغواية القمر لأسماء سميتها؟!

فصل

[19]

هكذا

هكذا أبني توافقاتي
والأقي محبتي الخاصة في صحراء عرضها ذراع وطولها ذراع
وما بين ذراع وذراع
تختبئ مشاتل القتل
والقنص

فأدثر بفضاء الموت وأحتمي بي من كلماتي
وأهيم جسمي
لملاقة الصّلب والشنق والقتل وكافة أشكال
الموت المدونة وغير المدونة كذلك
وأجهز حروفي لملاقة الفرح
وامتلاء القلب بأجنة المحبة
وشواهد الاحتضار
وأختفي في ملكوتي!!
فهل هذا هو الجسد الثمل الذي تملكه شهوة الموت
في طي المسافات
وعبور الأودية
ومهاوي الزمن
إلى أن يصل إلى قاراته الطافية الغارقة

ويعرى لغته وكلماته من الاستعارات والرمز وحبال المجاز؟

فصل

[20]

كيف تكون الفراشات لغات مدوّنة وغير مدوّنة
على جدران أجسادنا
بين قوم مضوا وأقوام لا تتوي المجيء
وما بين كل مجيء ومجيء تضيع المسافات وينعدم الزمن
ويصبح الوهم هو الحقيقة
وتصبح الحقيقة هي عين الوهم
وحبّات يقينه؟!

فصل

[21]

كيف أعلم الضوء أن يتجمع في شبكات هوائية
لأزمان غير محسوبة
ولا مرئية؟
أنتظر مولد الكلمات على شفا حفرة من النار
وأركض في اتجاه الغيم
والبحر
وأتدلى مثل كوكب ناتئ
ومحتضر
في سماء ثامنة
حيث لا ليل فيها ولا نهار
بل ظلام دامس!!
هكذا أتسلق الأودية
وأصعد إلى منافي السماء
وأظل أصرخ وأصرخ وأصرخ
حيث لا أحد إلا إياي
إلى أن أجيء
أو أنطفئ.

فصل

[22]

ها هي شمس تترجل بين ليلين في حدائق النهار
وترسم تارة بالأحمر الجبلي وتارة بالأسود النيلي على الوحل
شكل سماء مملوءة بخرق الملوك وجثث الضحايا
ونفايات حضارات بائدة لمدن بائدة
وأرجل خيل تخب خبا خفيفاً على الرمل
وعليها رجال أولو بأس شديد
يحتطبون الرياح من كل فج رحب
ويمضون إلى غير ما وجهة ولا يلوون على شيء
ويهمسون بكلام هو إلى النشيد أقرب وإلى الرؤيا أمس
وما بين كل غارة
وغارة يترجلون قليلاً
ويسندون الموتى إلى حوائط الريح والسماء
ويسددون لها النبال والقسي
ولكنها تنحرف دائماً هكذا
فتصيب نجمة - وحيدة قصية - هناك في سماء ضالة
فينطفئ ضوء ظل مشتعلاً لقرون عديدة
وهكذا تغيب نجمة - وحيدة - ظلت مشتعلة ببهجة وفوضى ...
فيصرخ أحدهم:
لقد أصبت نجمة قصية...!!

فصل

[23]

آن لي أن أطارد نجمة أخرى
لعلّي أقدر على إطفاء هذه النجوم جميعاً
أليست لعبة طيبة
أن نصطاد النجوم واحدة فواحدة

كما نصطاد الفراشات
أثناء نهار مشمس
لكي تعود السماء إلى سيرتها الأولى
دونما فرح
أو محبة؟
ألا نقدر أن نعلق هذه النجوم جميعاً بخيط من نارٍ ودخانٍ
إلى سقوف بيتنا
بجوار الجثث الماثلة على الجدران؟
وما هي المعجزة إذن؟
فصل

[24]

كيف لي أن أصف ما أرى
نهر من الرماد
شجر من طلع يخرج من أحشاء نجوم الصيف
سماء تطلق نكهتها
قرب الجثث المغدورة
فوق رمال الصحراء
قيامات كثيرة وليست قيامة واحدة
ونساء يتحلين بترقوة الشهداء
خلاخيل من أرغفة التأوهات وخبز الوجع الأزرق
المصحون بزمرات الدمع الغامق
وفضاء لا شكل له أو وزن
يأخذ تخطيطات مدن عاد وثمود
وإرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد
أمراء يشربون حليب الماعز الجبلي
ويدخنون بشراهة
ودموية
كأنهم آلهة ولا ريب

أميرات يتناكحن ويتناسلن دونما رغبة أو مودة
ويعطين أجسادهن لأول عابر لقاء نزوة طائشة
ويكتبن على أبوابهن ومقاصيرهن
هذه مقاعد للسمع والطرب والغناء والفرح فمن أراد منكم أن
يسترق السمع - وهو شهيد - فسوف يتبعه شهاب ثاقب
والماء بيننا وبينكم علامة على الموت والحياة لا غير.

فصل

[25]

هل كتابة السنوات على منعرجات الأحجار
ومنايع الرؤيا
واكتشاف لحظة الخلق والجنون
وشقائق النهار المبصرة
وغير المبصرة كذلك لغة لا يفضحها سر
ولا يزيغ عنها إلا هالك
فلا تذاع على الناس
كافة

ولها مملكة بهيجة من التخيلات والرؤى
وهي آفة تصيب كل عاشق
بقدر ما يقترب منها
وبيتعد
فبها يحترق
وبها يبعث مرة أخرى عند كل دورة وفي كل قيامة؟

فصل

[26]

وحيداً يتقدم قافلة اليأس
ويزرع فوق الماء صدى حنجرة متفححة بدمٍ
كذبٍ
يترجل فوق رماد الورد
على مدد من قامته

ويصلي صلاة الغائب والشاهد
ويؤاخي بين الرملة والصحراء
فهل أرخى لعناقيد الظل غوايتها؟
أتراه إذن يعرف عدد الرمل
ويمضي لفلاة متشعبة
ويوازي ما بين القتلة
والقتلى

وسماء البلد المعمور بماء القتل؟

فصل

[27]

حان إذن وقت الصلوات...
يمسك حجراً ويخط عليه
تواريخ كواكب ميتة
وبخاراً
يتصاعد من جسد يعرف حجم فجيئته ويمد لظل الأرض جنازته
له الرماد كله
والورد شباك على حديقة الدم
له الغناء كله
والوقت صلاة دائمة لمحبه
ينحاز إلى لغة دامية
ويؤرخ للكلمات على مزولة الشمس
ويمسك بين يديه غبار الروح
فهل هذا جسد مغروس في جسد موشوم بالرغبة
وهو اجس البكاء الأولى
ونعمة الفرح العقيم؟!

فصل

[28]

أنهياً لكتابة مراسيمي بيديّ وأفك عن جسمي سطوة الجنس
وشهوة القراءات وأبحث عن خلية ناتئة لتكون مقامي

هكذا أتخلص من بقية الرطوبة الأولى
وأغتسل بماء الخلق
والجنس
ولا أحد يراني
وأنزل إليكم متسخاً بالبراءة الأولى والطفولة المتسخة
وحلم الشموس المراوغة
والقمر الرائق الأخاذ
وأهبكم لعنة الحلم
وأدور مثل نجمة غريقة على القاع
تبحث عن عشة غريقة في القاع
وتفتش عن بقية العبارة وأحابل الرمز والمجاز
لكي تفاجئكم
لكنكم هناك تنظرون:
جشاً بلا رؤوس
فأفر من صومعتي إليكم
وأدخل في عباءة الطقوس ومراودات الأحلام
ومذاود الأئمة
الغاوين فكيف أباغتكم؟

فصل

[29]

ها هي ذي دورة الفلك الأولى
تمر فوق الأرض
مثل شهوة معجونة بالنار
فيخرج منها الماء
والنارنج
والدبق الأسود
واليقطين
والهواء
فهل أتى عليّ حين من الدهر لم أكن غير توافقات اللغة

ودوران الفلك الساكن
وكتابة الخليقة بالماء الأجاج
على ألواح الحمأ المسنون
وانتظار لحظة الندم القادم والفرح المؤجل
لإرادة المشيئة والمعرفة معاً؟

فصل

[30]

إذن...

كيف أصبحبكم جميعكم إليّ
كيف أردكم على أعقابكم مقهورين مغمورين وفرحين بما أنتم
فيه

لا ما أنتم عليه

والماء بيننا نرجس ببيض في الفراغ ويفقس مثل الدرن؟!
- وبينما أنا هالك هكذا - أخذت أهدق في القاع وأترجل

وأفتح أبواب جسمي وأغلقها

وأسمع المصاريح وصدى المزايح

رأيت قططاً تتقافز هنا وهناك

وأقماراً تصطدم بالنجوم والكواكب

وشموساً تنفجر انفجارات هائلة

وإذ بيد بيضاء

تتقدم مني وتربت على كتفي

وتأخذ بيميني.

فصل

[31]

قلت: ما هذا...

أما من رحمةٍ واحدةٍ لتشملنا ونصيب بها من نشاءٍ

قالت: هو الباب فادخل

(1) محجر ألق يتزيا من السماء بالنجوم المرصعة

والأرض بكتابة أبجديات الخلق والنطق

وفرحة اكتشاف حروف جديدة مطمورة
وغير مطمورة بين الرمل والماء.
(2) ما بين الألف والسكون فرق شاسع وهول غير مأهول
ونوم أشد يقظة من الصحو
وصحو أشد فتكاً من الجبال وهي تندك دكاً
وتتكسر على مرأى من الشمس والقمر.
(3) ما بين حضور الألف وغياب السكون تتمخض الأرض عن شجر هالكٍ وذِرٍ
كثير من الناس
والحجارة المعجونة بالعظام النخرة
والأرجل المدماة
والبثور الناتئة.
(4) ما بين كل غياب وغياب
مرآة لزمان وغد وأرض مراوغة كامرأة غاوية لا ينفض
عنها طالبوها
فلا هي تقترب منهم إلا بمقدار ولا هي تستسلم لهم بغواية بل ثمة
غارات وحروب كثيرة أيضاً ومواجع
أفلا... تعطيهم مواعيد مستحيلة فيخلفونها؟!
فصل

[32]

قلت: كيف تسكن الأرض والسماء تتكسر كل يوم قطعاً كثيرة
والنباتات تطاوح مثقلة في الهواء بلا جذور ولا ثمر
والشمس تتقيح تقيحات عميقة ولا حد لها
وأنا واقف أرتجف كالشعرة المعلقة في فراغ ذاتها وأكتب
تواريخي وأسمائي
وأحصي عدد قياماتي وخياناتي.
م: الميم ماء غارق في الرمل
يهدأ قلب الذاكرة وتشتعل بقية الحروف والأسماء التي سميتموها أنتم وآباؤكم
وجع أبيض يغطي سماء المخيلة بالأعشاب والطحالب الخضراء
والنوارس المقتولة والسمك الطائر المتوحش

هل يشتعل الشجر الأخضر لكي تأتنس بالنار
وتتقرب إليها تحت سمع النهار وبصره..
بقدر ما تقترب إلى سماوات الوقت وأخوة الأضداد ونجوم
القلب التي لا تعد؟

فصل

[33]

هذه صلوات الموتى

انظر:

كيف يقفون صفوفًا صفوفًا ويشتعلون بالبكاء والسهر وبقية التراتيل
والحجارة تطلق طقطقات مواراة
وتطير في كافة الأرجاء
كأنها الجراد المنتشر ولا أحد يبالي
فهل أقسم بمواقع الشمس والقمر وبقية النجوم
لو انفلقت الأرض
وانفطرت السماوات
وخرج شرر أخضر من الماء يهتز ويتراقص كأنه جان - ولّى مدبراً -
لأخذ الناس يطاوحون فرادى وجماعات على الجثث المنتورة
ويقيمون النذور لآلهتهم الورقية
ويقدمون القرابين لأولياء نعمهم
ولا يعبؤون بوجع الأرض
وتختر الأجنة في الأرحام
وتراهم كالحُشْب المسندة فلا يتكئون إلا على الفراغ الباهت
ولا يتساندون إلا على الجثث
البائدة.

فصل

[34]

ها هي عربة يجرها الموتى وخيول الوقت

ويسير خلفها الموتى

اسمها الأرض...

جنازة دائمة
وجثة متقيحة
ولكنها تبيض وتفقس
في الأرحام.

فصل

[35]

أعرف هأنذا أغشي أعينكم بالغيبة الأولى والفجيرة
ولا أجعل بيني وبينكم
حجاباً

ثم آخذكم لجحيمي وأنا ولكم أورادي
وعرباتي المكسرة وهزائم بدني المقيم وأصلي عليكم
صلاة الشاهد والغائب ولا فرق لديّ
قد تكون السماوات أقرب إليكم من جبل الوريد
والأرض سلحفاة متحجرة فوق جبل عال اسمه اللذة والوجيرة
أيها الجسد المتسربل بإيقاع الجسد
وبقية الحيوانات الأخرى
كيف تدخل حظيرة الجسد وأنت مقضي عليك بالموت
والقطيعة؟!
أيتها المرأة:

كيف تسكنين إليّ وليس لي عليك من سلطان
أو محبة بيضاء؟
ليس بيني وبينك غير ما يربط الليل بالنهار والليل بالليل
والشمس بالكواكب المنتشرة
وها هي ذي عربات الزمن الفارحة تنحدر بسرعة نحو الهاوية
بينما أحصنة الموت الخشبية تقف شاخصة تترصد بين مصاعد
الجسد ومهابطه.

فصل

[36]

هذه هي هجراته الدائمة

ليس فيها شمس ولا نجوم فكيف يكون مقامي
وكيف أحاول كتابة اسمي
وتواريخ جسدي
وهجرة بلداني وغرق قاراتي
والحروف غالبية عليّ
ثمة بحر شاسع بيني وبينك لا يهدأ وبه سمك ميت
وغرقى كثيرون
وأمواج متلاطمة متزاحمة
ورياح سود.

فصل

[37]

هلكت المراكب
وانجرفت السفن في السيل
وطفا الضوء غريقاً
وتحول البحر إلى شياطين ومردة قاتلة
قلت: أخطو خطوات لي
فإذا بي أتدلى في الفراغ ولا اسم لي
أرسم توافقاتي ودوائر محبتي
وكلما أسير في اتجاه ما
أجده مغلقاً وغويطاً فأترجع تراجع الخائف المنجرد
وأنداخل في جسمي
كحشرة بغيضة إليّ
غير أنى أسقط.. وأسقط.. وأسقط والفراغ خال كهوة
سحيقة
وبئر بأدغال.

فصل

[38]

رأيت شجرة عظيمة تنبت في السماء وحولها خلق كثير
عيونهم ملآنة بالتهاليل والهزيمة

والنساء عرايا
قلت: ما هذا؟
قالت: هؤلاء قوم فقدوا المحبة
ثم انتشروا في الأرض جوايين
هيايين
قلت: أبني سفينة لهم
وآخذهم جميعهم إليّ هؤلاء رفاق لي
وأخذت أجمع الأعشاب وألتقط من الأحجار ما يتيسر لي
وأصل ما بين كل حجر وحجر بدمي
وأخيط ما بين كل خلية وخلية بمودتي وسُنِّي
وأشبك ما بين الأغصان بالأغصان لتكون سقيفة
للسماوات والأرض والمرأة بجانبني
وترجلت
فإذا بالماء يتفجر من كل جانب
والأرض غارقة في قشورها
ونفاياتها.

فصل

[39]

قال رجل كهل:
لمن تصنع الفلك ونحن غرقى؟
ومن يركب معنا؟
ألا ترى إلى الماء في كل جانب ونحن من ألف سنة هنا
ولا أحد يرانا
وتقلبنا الشمس ذات اليمين
وذات الشمال
ونحن ننظر ببلاهة
ورعب

نغطّ في رقود هو إلى الموت أقرب منه إلى الحياة
وإلى حياة ليس بينها وبين الموت سوى نفخة واحدة

وبرزخ وحيد

قلت:

لقد أُلقي بنا في متاهة غير مأهولة

وركن مهمل من كون مهمل

وغير مأهول

إلى أن تقوم الساعة

ألا ترى إلى الشجر وهو يخبي براعمه في جذوره

والنهار يموت واقفاً

والثمار حامضة تساقط وتهوي إلى الأرض.

فصل

[40]

أخذني الرجل وصعد بي إلى جبل عال وهو يصّاعد أمامي وأنا أسير

خلفه

وكلما دنا خطوة اتسعت المسافة

والرمل يتقبقب قبقات عميقة تتلوى كأعناق الحيات والأفاعي

وفي كل خطوة تخرج علينا الوحوش بغتة ونحن لا نشعر

فينهرها الرجل

ويتمتم بكلمات

فإذا هي كالفراش المبعوث تتبعنا

وتحلق من فوقنا

ومن تحت أرجلنا

وأنا أغذ الخطي

والرجل يغذُّ الخطي.

فصل

[41]

وكان فوق الجبل نهر من ماء غير آسن

فقلت:

أشرب؟!

فقال لي : اشرب
فشربت شربة ملهوفه عجلانه ولما أرتوى بعد
وكان أن أمتلاً جسمي بالدود والقروح
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة
والشمس حديقه مملوءة بالعناكب
والمراكب الغارقة
ورحت أدثر بالشمس فتدثر بي
وترقد ما بين سرتي وعيني
وأجفف خريقي وسراويلي من البلل والبرودة وأمشط لها شعرها
وأمسد جسدها بلساني وعجين سرتها بريقي
وهي تنام في حجري هائنة وغير خائفة
وأنا فرح بها ومأخوذ
وهي فرحة بي ومأخوذة.

فصل

[42]

أهذه هي - إذن - الشمس
تنام بين سرتي وعيني
ويلهو بها أطفالها
وليس بيني وبينها حجاب
أمشط لها شعرها
على أريكة القلب
وأفك عنها عقدة الليل والنهار
وأخرجها عن دائرة الألفة والعادة إلى حديقه الزمن
والدوران هكذا على الأرصفة إلى ما لا نهاية
والقمر أفليه يميني
وهو أخضر وأبيض وبه نساء من كل لون وجنس يقمن فيه
ويتشحن بالخلاخيل والبنفسج
ويتزين بالكحل والإثمد.

فصل

[43]

ولما خفت على القمر أن يضيع مني
وأنا ألّهت خلف الرجل
وعلى الشمس أن تفر إلى مساكن الغيبة
فأعود إلى الظلمة ثانية
قطعت شراييني وعلقتها أراجيح في الفضاء
وربطت الشمس في ناحية
ولففت بقية الشرايين حول عنقي وقلبي
وأنا أصعد خلف الرجل ذي الوطاء
فتطلع الرجل ذاهلاً إليّ وأشار
أن اتبعني وإلا فالغرق آت
لا محالة
وأخذ العرق يتصبب
وتجمعت القطرات الصغيرة كما اللؤلؤ تدحرج إلى أن امتلأ
الأنهار
فتشبعت السحب بالبخار
والبحر ليس بملاًن.

فصل

[44]

وقعدت أدعك جسمي بفصوص الحلم وشجر المحبة
وأقول للرجل:
كيف أفرق نفسي وأجمعها إليّ؟
كيف أبني توافقاتي
وألاقي محبتي الخاصة
ولا حد لي؟
كيف أصعد إليكم
وأهبط
وأنا في مكاني ثابت لا أريم؟!

فصل

[4 5]

أين هي المرأة...؟
فتقوم مقامي هذا
وكلما أنزلت عليها من مائي اهتزت وربت
وأخرجت من كل شمسٍ
وقمرٍ
وهي مليئة بالنجوم
والكواكب السيارة
المترججة في شعرها
وذيل جلابيها
وخواتهما الفصوص من البواقيت والمرجان
واللؤلؤ المكنون
ولها ألف وجه
ووجه
وجسد وجسد
ولها خرائط شتى
وبها جنات وأنهار
وعيون يتفجر منها الماء
وكلما دخلنا عليها وجدنا عندها من الطيبات والرزق
ما يكفل أهل الأرض
كلهم جميعاً
ولها أصدقاء حميمون يطوفون عليها بالموددة والكلام الرحيم.

فصل

[4 6]

أين هي المرأة فأحرثها بجسمي
وأفتش عن كل بذرة نيئة وحامضة في أرضها فأنضجها بشمسي
وأذريها بمذارتي
وألف جسمها بجسمي

وسرتها بسرتي
وقلبي عليها يتفتت
كلما غابت وآبت...
أو اختفت للحظة واحدة وبدت
وفي آخر الليل ننام منطبقين
كما تنطبق الأرض على السماء
بها أحرق وتحترق بي
ولها عرش عظيم من التخيلات والمباهج
إذا دخلته حسبته
لجنة
من قوارير وزمردات تلمع وتتلألأ
في غسق الليل
والناس نيام.
فصل

[47]

هل يكون لها من شغلٍ شاغلٍ إلاي
وهل يكون لي من شغلٍ شاغلٍ إلهي..
وكلما أتيت إليها وجدت عندها رزقاً كريماً وقوماً
يتأنسون
ويتسامرون
فأقول لها: بخ... بخ...
فيك محياي
ومماتي
وبك يتم فرحي
أقول: يا جنتي
فتقول: ويا جحيمي
أقول: أنت أرضي
فتقول: ويا سمائي
ويوم نبعث سنكون في جنّة

عرضها السماوات
والأرض
وأهبي لها نفسي
فتهي لي رقتي
ومواقيتي .

فصل

[48]

وتوقف الرجل في مكانه
وأخذ سبع حصواتٍ عجافٍ ورمى في كل اتجاه حصوةً
فغامت الدنيا وأظلمت وانطفأت الكواكب
وأنا أدعك عيني بالبكاء والسهر
وقال لي : انظر
هذه هي مدينة عادِ الأولى
ونظرت

فإذا الموتى كلهم وقوف
أعواد من الملح الجاف والكبريت الأحمر
وكواكب من الحجارة المندثرة
شموس معلقة في فراغ أزرقٍ ولا نهائي وبلا ضوء
رؤوس مدببة كأنها الإبر والحرايب المسننة
قمر أبيض صغير معلق
فوق رأس مقطوعة
ومتدلية من البيوت والنوافذ
ومشنوق من رقبتة
وفي جبينه بقعتان من الدم الحامض المتجلط
وكلما يغسلونه
يزداد اتساخاً .

فصل

[49]

ها هو ذا القمر يجرجرونه على الرمال والأوتاد والحجارة

ومنزلقات الوحل
والرطوبة
وهو يفتح فمه ويغلقها
ويشهق شهقاته الأخيرة
والسماء ثوب مهلهل وبه خروم كثيرة
وهي تنزف ليل نهار
بماء كالمهل
يشوي الوجوه.

فصل

[50]

وها هي ذي الأرض امرأة جميلة
وعليها من النهار والليل ثوب بهيج
وفوق ظهرها حشرات سود
تنفح فحاً غريباً كأن بها حشرة
وهي تنهش من ثديها
وجسدها
وسرتها
وفمها الجميل الحلو
فلا يتبقى سوى سلسلة الظهر
وبقية الأطراف
وجداول صغيرة من الدماء
تتفرق وتتجمع في كل اتجاه
وفي كل مرة تستغيث استغاثات مرعبة
ولا أحد يسمع أو يرى..
والرجل يضحك ويهذي ويلف سراويله
على منحدراته وأوديته
ويتقلب في الهواء كأنه جان
وأنا يقظ أتحسس جسد الأرض وأحفظ دقائق أوجهها
وعجين سرتها

ولا حول لي...
فقعدت تحت شجرة صغيرة من السنط
وكانت الشمس جافة
وأخذت أرتل ترايلي
وأصلي صلاة مودع...!!

دائرة انعدام الوزن

فصل

[1]

[يأخذ الرمل قنديله ويغادر صوب البلاد البعيدة واللحج النجم
من أوعز - الآن - للقمر المتلثم أن يتأبط صارية الغيم أو يتزيا بقافلة ضالة
وسماء رمادية حارقة
تتألب بين مميرين من جبل شاهق وبلاد أثيمة؟؟
طيور تحط على مدد شاسع وتغادر أحراشها
ثم تنكش ريشاً من الأبيض المتخضب بالدم لون خضرتها فاقع
ثم غيم يزخر في الأرض بهجته ويفضض أردانه ويسافر
غزال طريد يفتش في الأرض عن نائمة
يستكن إليها
ويبحث في الغور عن قطرة حرة
ليس فيها من الخوف ما يترأى له حين يفرد للريح ساقيه
أو يستقيم إلى بقعة خضرة.. وينام إذا..
شمس أعطت تفاصيلها لتفاصيله
فاستقر وحيداً
لموتٍ وحيدٍ.]

فصل

[2]

[يد الله آمنة

حين أرخت عليه شقائقها وانبلاجاتها

أَوْ كَانَتْ عَلَى الْأَرْضِ كُلِّ ارْتِحَالَاتِهِ؟
رَجُلٌ كَانَ يَتَّبِعُ سَيِّدَةً
حِينَ لَامَسَهَا الظِّلُّ وَالشَّمْسُ مَدَّتْ مِنَ الْغَيْمِ سَجَادَةً كَانَ سَنِبُلُهَا
يَتَفْتَحُ
أَوْرَاقُهَا قَصَبٌ مِنْ هَوَاءٍ صَقِيلٍ
هِيَ الْآنَ مُحْجُوبَةٌ بِالْكَوَاعِبِ وَالْقَاعِ رِيمٍ
وَكَانَتْ تَمُرُّ عَلَى الْمَاءِ وَالْأَلِّ
وَالْأَرْضِ مَقْصُورَةً مِنْ بَهَاءٍ
حَمِيمٍ [.

فصل

[3]

يَتَابِعُ رَجُلٌ غَيْمَتَهُ
فَتَصِيرُ نَوَافِيرُ مِنْ جَمْرَةِ الضَّوْءِ
تَبْعُدُ وَتَدْنُو كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِهَا وَاحْتِرَاقَاتِهِ
هِيَ عَلَامَتُهُ
وَهُوَ عَلَامَةٌ عَلَيْهَا
أَتَرَاهُ إِذْنٌ يَعْرِفُهَا قَبْلَ أَنْ يَلْتَقِيَا
وَقَدْ نَقَشَ اسْمُهَا عَلَى خَارِطَةِ جِسْمِهِ
وَافْتَرَشَ بَاحَةَ دَارِهَا لَيْلًا وَأَتَاهَا عَلَى حِينٍ بَغْتَةً مِنْ نَهَارٍ مُشْمَسٍ
وَأَرْضٍ رَطْبَةٍ
وَبِلَادٍ تَتَلَصَّصُ عَلَيْهِ
وَهُوَ يَقْظُ يَحْفَظُ دَقَائِقَ أَوْجْهِهَا وَتَفَاصِيلَ جَسَدِهَا الْمُنْتَصَبِ أَبَدًا
فِي الْفَضَاءِ
وَلَا يَفْصَحُ عَنْ اسْمِهَا لِأَحَدٍ فَيَعْرِفُهَا
أَمَّا هِيَ فَبَعِيدَةٌ كَنَجْمَةٍ بَازِغَةٍ
فِي سَمَاءٍ مَفْقُودَةٍ وَأَرْضٍ مَرَاوِغَةٍ .

فصل

[4]

هِيَ عَلَامَتُهُ وَهُوَ عَلَامَةٌ عَلَيْهَا

فهل يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر
وعنده من المعرفة فوق ما يعرف من النعمة
وما لا تعرف من الجحيم
وله فيها ما يشتهي من الخمر المعتقد أما مُدْنُهُ فخاوية
إلا من زهر أسود
وقمر منطفئ
وأجساد مضيئة وميتة
وحجارة متواطئة ومصقولة بدم كذب
والميثاق بينه وبين السيدة ماس مصفوف على الأسرة وفاكهة عطنة ومحرمة
لزمن قادم مستتر
وخواتم الجسد الخضراء
وسنابل الردفين الكهرمانيتين
وقناديل الشفاه البازغة والأسرة قطيفة وزعفران
وحجارة الجدران من ذهب خالص ولآلئ من طحلب حامض
فماذا سيفعل بأسمائك رغبته الحمراء إذن وماذا سيقول لها في آخر الليل
وهو لَمَّا يزل يستقبل الفجر بجلايبه المتلفعة ببهاء النجوم
وشوارد الأحلام؟!

فصل

[5]

كانت الرغبة المتوحشة شجرة متوحشة
ومليئة بالبرتقالات الناضجة والحامضة
والأغصان مشتبكة بوبرها وغبارها هل تحيل ممراتها فضة؟
حتى إذا أخذت الريح زينتها وأتت من كل فج رحب لتناوشها
وتتكئ عليها
خرجت الشمس محلولة الشعر وعارية الأرداف
والأوراق جنود مجنده وبروج مستنفرة تقذف بالحجارة والحمم
على كل من يقترب أو يحاول الملاسة هل يفكر في الرؤيا
والشمس على جذع النخلة تتأود

وتتخلع
كامرأة ثملة وغاوية
وما من رجل واحد يمر عليها أو يعرفها فيلقي السلام.

فصل

[6]

حمل الرجل صرته
وودع الشجر والجبال والبيوت والشمس والقمر
وطفق يضرب في الأرض مثل بائع متجول أو كعابر سبيل
ويلوح بذراعيه لسفن الورق الباهتة
وفراشاته المختبئة على أزهاره الحجرية
وأوما لجذع نخلة عجوز
- كان قد نسيها قبل ألف عام -
هي امرأة من دم الأرض والنخل
أغفت قليلاً على سرّة الضوء
قامتها تشرئب إلى قصر مرمرها
بيتها فضة
ثم ريم على القاع يجرفها بينما تتلفلف بالزهر والشمس هاضامر
خصرها

ومناديلها من سماء ترابية ودخان
حين لامسها كانت الأرض من جمرة
تتوقد
من يدخل الآن مخبأها
والطيور السماوية المشتتة ترفرف فوق ذؤاباتها وممراتها زبد
من فصوص الحقائق
والأرجوان.

فصل

[7]

خيول كمثل الحصى والتراب
ويخرج وجه وحيد بين حوافرها والتراب له شهوة

ليس لي أن أرج دمي فاستمع
أسمع وقع خطاي
دمي غارق تحت قمصان أشجارها والسما شرر وغناء رفيف
فتهتف بي: ما الذي أبقاك في الليل قرب فراشي؟
أنا... دثريني
تنهدت وانفتل العظم أرجوحة واختلطت بأوردة الماء والغيم
شعري يقطقط
وبإيماءٍ خفيفةٍ خفيةٍ منها دخلت إلى تويجة الجسد
وحانات الأعضاء
فعرشتُ عليّ وحللت عنها مئزرها الصوف
فانكشف الجسد عن هيئته الأولى
ومثلما كان في لحظة الخلق والأمر
وترجلت في أرض وعرةٍ وسماوات غريبة وقلت: يا هذا من
أسرى بك ليلاً إلى هنا؟؟
والدروب وعرة والمنزلقات خطيرة وليست هناك من نجمة تدلك
أو دابة تحملك وما من أحد يغويك على حرائة الأرض وفلاحتها
وليس هناك من نهر قريب فنشرب منه أو نسقي خيلنا ورحلنا
أمجنون أنت لتفعل ما فعلت؟ وماذا حل بك من خرابٍ ونقمةٍ
فتأتي إلينا

حيث لا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا كواكب؟؟!!

فصل

[8]

دعكت أعضائي بوهج المحبة السافر وتوضأت بالخمرة المزبدة
وغسّلت أطراف جسمي بريقي المحترق الجاف
ونشّفت جسدي بأريج الليمون وخمائر البرتقال
وانفلتت نجمة وحيدة
تدور في فلك جسدها المشع المسيح بوحشيته
وطراوة أعضائه وزهوره المتوهجة المترامية الأطراف
وتوجت نفسي ملكاً على فضاء نفسي

وانتظرت ألف سنة

فخرجت وردة صغيرة بورقة واحدة فقلت:

وردة وحيدة

بورقة واحدة؟

وفرحت بها وجلستُ.

فصل

[9]

وكانت قطرة صغيرة من الندى تتلألأ على طرف الوردة الوحيدة
وفجأة

رأيت شمساً تشرق من قلب الوردة الوحيدة فقلت:

دثريني.. دثريني أيتها الأخت الوردة

فنضت الشمس عباؤها الذهبية

ووقفت على مقربة مني لتستمع إليّ فقلت: دثريني...

أنا بردانٌ ولا من دابة هنا أو نائمة هناك فأنس إليها وأكلمها

ومذ أتيت إلى هذه البلاد لا أجد أحداً يكلمني أو يؤويني

فضحكت الشمس مني

وفككت عروة ثوبي

فأصبحت عارياً إلا من ... و...

كان عليّ أن أقطف الوردة الوحيدة ورقة.. ورقة..

لأستر بها عريي فلم أفعل...

ونمت تحت ظل الوردة الوحيدة ألف سنة

واستيقظت على صوت طائر يطير ويرفرف بجناحيه البنين

ويضرب في الفراغ بريشه المراوغ الأخاذ ويعلو ويهبط

في دورات متتابة وأنا أدعك عيني وأفتحها.

فصل

[10]

هل أنبتت السماء زهوراً ومن أين أتى الطائر الجبلي الوحيد؟

وماذا أنا في مثل ذلك اليوم؟ كيف أضرب في القاع وحدي؟ آه..

الصحراء شاسعة ولا أحس إلا بجسدي يعرش عليّ

ولا يمكن لجسدي أن يكون زوجين اثنين...!!
فأخذت أجدف في الرمل
وأقتل من حصيرة الهواء سلماً
وكلما أمر على واد غير ذي زرع أشعل فتيلة جسمي وأرتل أورادي
فلا أجده على النار هدى
فماذا تكون الشمس والقمر والنجوم إذن؟
وأفقت دهنلاً
فإذا بالطائر الجبلي الوحيد يقف على جذع جسمي
ويخلع بضع شعرات بيض من رأسي ويمسح على عيني
ويهدل هديلاً جميلاً طويلاً.

فصل

[11]

كيف أعطي لجسمي قانونه؟
ولشكلي هندسة فراغه؟
ولشهوتي طقوسها؟
ولبدني انكسارات ضوءه؟؟
كيف يكون الدم ماء
وأنا وأنت نضرب في العماء الغفل ولا شيء نصلي ونسلم به
على أهل هذه البلدة
وكيف يكون لشجرة مثمرة أن تعطي ثمراً عطناً
فلا يأكل الطير منه
ولا يتبقى بها غير فروع ذابطة محتضرة
ودم متخثر موبوء
وماذا عن قانون العالم إذا نحن لم نحاول اكتشافه ثانية؟
أما من امرأة وحيدة تكون سكناً لي وأقر بها عيناً؟

فصل

[12]

وكلما أحاول أن أعجن الرمل وأخبز الهواء
وأدثر بجرح الأرض

وأنتخب من الشجر ذرية
ومن الشمس
كرة
لأطفال لا يجيئون غداً
تنسرب الأسئلة من رأسي وأراود نفسي عن القتل والقنص
هل في ذلك قسم لذي حجر؟؟
تعبت عيني من النظر
وأذني من السمع
فماذا سأفعل بالبالونة الصغيرة التي تستقر في داخلي
وهي هي
مليئة بالثقوب والأورام
ومتى تشرق شمس الغد ثانية فأراها..
مثل خطاياكم متوهجةً
ولامعة؟؟

فصل

[13]

حصاة الرغبة الصغيرة ماذا أنت فاعل بها
وأنت جالس على عرش العالم
وفي يدك كرة ذهبية تدحرجها نحو الأرض وقتما تشاء
فمرة تكون حديقة من الدم مزدهرة
ومرة
تكون قطيفةً متدلّيةً متعددة الألوان والشرائع
وتارة تكون قطيعاً من الماعز الجبليّ
تسوقه للذبح عصر كل يوم
وأنت في مكنك الأبدى
تراقب أخاديد الدم المنسرب
صوب الأنهار
والبحر ليس بملاّن؟؟

فصل

[14]

هل تشتعل السماء وتنفجر كرة الأرض؟؟
ساعدوني على أن نشعل النار في العالم
ونقيم مكانه أعراساً جديدة
وخرائب أخرى
ولكنها

على كل حال ستكون أقل سواداً مما هي عليه الآن
كيف يمكن أن نسكن الأرض
ونعلم أولادنا سكنى الأقباط ومدن المستقبل؟
فنضع وردة على كل بيت ونقول لأهله انظروا:
هذه حضارة آتية
ومدن أخرى لم تطؤوها من قبل.

فصل

[15]

كانت الكائنات الحجرية حشرات بريّة بعيون تفح شرراً
وها هي أجساد على هيئة الآدميين تركب سفينة واحدة
في بحر لحي
ظلمات بعضها فوق بعض
وتطفو السفينة حيناً وحيناً تشارف الغرق
والموج طام
والصراخ يرتفع عالياً من كل جانب
قالت امرأة في السفينة لرجل وحيد: إلى أين نحن ذاهبون؟
فأشار إلى البحر..
وأخذت المرأة الوحيدة تمسك بجثث الأطفال
وكلما مروا بموجة
قذفت بواحدة إلى البحر
والرجل مشغول بقناديله المنطفئة
وهو يضحك ويهذى.. كالمجانين: ارفعوا الشراعات عالياً..!

عاليًا

غير أن موجة طامية طاوية أتت زرقاء مسرعة
ولها صوت عظيم كأنها القيامة
فانخلع لها كل من السفينة وانفزعت الأجنة في الأرحام
وأخذ كل واحد من السفينة يصرخ ويبكي
والشمس تتأرجح تأرجحات لا معنى لها.

فصل

[16]

قالت امرأة في السفينة:

تخلصوا من المؤمن والذخائر فازدادت الموجة علواً والسفينة
تمايلاً وصاح رجل كان مشغولاً بتمائيله
ألقوا بالعجائز والمسنين إلى البحر
والرياح تصفر صفيراً مجنوناً فازدادت السماء زرقة
والموجة علواً
والبحر تطفو وتطفو.. واحدة إثر الأخرى
وتغمز لكل من في السفينة
كانت اللغة غير مفهومة والحروف أخذت شكل كائنات رخوة
وصُلبة بأجنحة من نارٍ
وعيونٍ تفتح شرراً وسواداً وظلمة وسُمع ارتطام ما فتتأثرت
الشهب جارحةً
وصارت السماء ثوباً ممزقاً ومرافئ غير آمنة
فمن صعد إلى السماء ونزل
ومن صرَّ الماء في صرة؟!!!

فصل

[17]

احتوت الموجة السفينة

فتطايرت الألواح وسكنت الآلات وهذا كل من في القاع
وبقيت وحدي معلقاً بين البحر والسماء
فأخذت أهتف:

يا فضة النهار و يا زبد البحر
أين هي الأرض فأعيّد عليها عيدي وأقيم طقوسي وأقدم قرابيني
وأمسح جلدي بورقها الباهت المصفّر
يا فضة النهار و يا زبد البحر أين هي الأرض
فأهجم عليها بكُلّيتي
ولا يتبقى عليها من ذرة أو رملة
ولا شجرة معلقة في فراغ نفسها إلا وصرت ورقة من أوراقها
وخلية من خلاياها؟
أين هي الأرض فأمسح بها جسدي
وأدعك جلدي بفضتها
هأنذا قد صرت عاريًا ووحيداً
كلميني أيتها السماء فأسمع صوتك
دثريني أيتها الأرض
فأبدأ حلمي صاعداً إليك وهابطاً.

فصل

[18]

امنحيني أيتها الأرض حبة وحيدة من الحرية
فأوزع فصوصها عليّ
وها هو الجبل عالٍ وشجرتك بعيدة عني
دمي بَقَعَ وجه الأرض
ولطَخَ حدائق القمر
لقد خفت على ألوانك الذهبية من دمي المتخثر وموالي الحامض
أيتها الشمس
أين صورتك في عيني وبهاء نفسي؟
وماذا عن السيد الجسد والمرأة التي وهبتها كل شهوة لي
وهي ليست ملكي؟
أحترز منك بكائناتي الضالة
وقططي الميتة
وأحترز من كائناتي الضالة بك أنتِ..!!

فصل

[19]

غناء يأخذ شكل الحنجرة الخضراء
توقفتُ تحت عين الشمس الحمئة ونظرت إلى الوادي:
أ - نمل يسير كجيش بلا ألوية
عصارة السماء قطع متجاورات وغير متجاورات من الدخان والمُهل
وغرايب سود وأبنية هرمة
ومساكن خاوية إلا من السنط والعصافير مشتعلة
والمسافة بين كوكب وكوكب
أقصر من المسافة بين الضحية وقاتلها
ولا مفر.

ب - النمل يزحف على الشجر
ومداخل الطرق
ويتخذ من الجبال بيوتاً
ومن الشجر سكناً له وإقامة
وهو أبيض وله رؤوس مدببة كأنها الإبر وطلعُ كأنه رؤوس الشياطين
فقلت:

أما من رحمةٍ واحدةٍ؟!
فأصابني وابل من مطرٍ أحمرٍ ونفايات قمر مخنوقٍ محترقٍ
وكانت نخلة وحيدة في قلب الصحراء
والشمس والقمر في كل ليلة يأتيان إليها
والنجوم تتقرب على ذؤاباتِها كأنها جثة الزمن
وأشلاء عصر الطاعون.

فصل

[20]

ج - أهيب نفسي لعاصفةٍ هي الخلاص وخلص هو العاصفة
د - أصنع من جسدي خميرة المحبة الواهنة
وألهو به أمام الأطفال لعلهم يفرحون
فيذا بهم يرمونني بحجارة أرواحهم الضائعة

وشجرات طفولتهم الهرمة
وينظرون إليّ شزراً وأنا أقول لهم:
تعالوا إليّ يا جميع المتعبين وأنا أريحكم.

فصل

[21]

ص - أرفرف بجناحين مشتعلين وأرقص على زبد الماء
وأواخي سمكاتي الذهبية في كل الجهات وأدعو طائراً إليّ فأكلمه
وأراقصني تحت شجر الوحشة
وعناقيد الغضب المشتعلة
وأجفف مساحة أخرى من الضوء
وأوزع على كل الجهات دمي وبقاياكم ثم أباركه فيكم
وأدع في رحم كل امرأة طفلاً يحمل كل علاماتي وقياماتي
فما من أنثى تحمل أو تضع إلا وتكون المحبة هي شجرتها الخضراء
وبيتها الذي تأوي إليه
ع - أخبئ بين كل تويجة وتويجة مدينةً مطمورةً وملامح لذرية منقرضةٍ
م - أما من أحد...
ك - تحت كل زهرة شمس صغيرة وسماء لوطن يقوم أو مملكة تشبهه
س - متى يكتب كل منكم قصيدته بلغته التي تشبهه وحروفه
التي يأويها

ويربها تحت سقف بيته كالأرانبِ
وقطط الفخار المشتعلة وممياواته
ولا يحتاج إلى لغةٍ أخرى ليكون ابنًا من أبناء المستقبلِ
ن - أما من أحد...؟؟؟!

فصل

[22]

ياخذ الدُم شكل الأتربة ومخدّات النوم ومحارات الأرغفة
ومربعات الزجاج والألوان وإشارات المرور
وتذاكر السفر

وحانة قديمة

وجسد امرأة ثرة ورجل عجوز
فمتي نفر من أسماننا الضيقة إلى مسمياتنا الرحبة
ولا يكون لنا شكل الحلازين؟
وتأخذ الأرض شكلَ عباءة رجل كهل تعابته ريح عقور
وشجرة مقطوعة على ضفة نهر قديم
هجرت بهرجة المياه وظلال الحساسين
وليس على القاع سوى ذكريات ماء
ودم لزج
وضفدع يقرع ويتناسل بحيوية كأنه الجراد المنتشر
وتأخذ السماء شكل قبيلة مندثرة ولوحة فارغة
من الرسوم
والألوان والشراشف.

فصل

[23]

كيف أمسك الفراغ وأزين به نفسي
كيف ألون الضوء
وأضع بين كل فراشة وفراشة مقعداً لرجل وامرأة وطفل؟
كيف أضع بين كل زهرة واسمها مساحة
لحلم...!!
كيف أدخل جزيرة الهواء
وأتوج نفسي ملكاً عليه
وأجلس على أريكة الفضاء الخالية وأرتب أمراً ما
ليس الجنون أو الغفلة وليس النوم أو اليقظة
وأجلب لكم من كل حديقة
زوجين اثنين...
لتشهدوا عرساً لكم بعرض السماوات والأرض؟
وكيف أجعل اللغة سهلة فلا تقف على أبوابكم حائرة
فتفهموني ولا تطاردوني

من على أبواب حناجركم وأدمغتمكم المملوءة روثًا
وخرائب كأنها الضحية تُجز بالسكين؟!

فصل

[24]

هل اللغة قطط موبوءة وكلاب ضالة فتر كلونها كالنفايات؟
إذن احجزوني في قفص أرواحكم الضالة
وسيجوا على جدران سجونكم الباردة واقفلوا عليّ بالأقفال
كي لا أفر من زنازلكم
إلى متاهاتٍ لا أول لها ولا آخر...!!
بين اللون ونقيضه مساحات فارغة
وعلى الأرض
بقع من ضوء جاف وهواء أسود
ودم في الأركان...!

فصل

[25]

أقتنص من النوم ساعةً وأدخل في حديقة الجسد
الملبيء بالقطوف والوعول
وأركض في اتجاه البحر.
أقطف غيمة برية وأتشح بالضوء والإقامة
وأقول لجسمي: هل امتلأت؟ فيقول.. هل من م... ز... ي...؟!
أطلق نحوك فراشة الجسد المسكون بغواية الجسد
وغابات الشوك الحمراء
وأمسكها ساعة أو بعض ساعة حتى تشقق الأرض
ويكون لها طعم الكمثرى وبرتقالات الضوء الناشف
وعناقيد العنب المحمر وشجر الخشخاش الـ
مكتنز بجذوره وتشققات أوراقه ونزوعه وأفسح لنفسي
كوكبًا عن يمينك وكوكبًا عن شمالك
وآخر وراء ظهرك
فلا تعبئين بي أو تنظرين إليّ

هذه ساعة الإقامة في مدار الثبوت ووحشة الطريق في مدار سفرٍ

طويلٍ

ليس عليّ سوى الانتظار

إذن.

فصل

[26]

أفتش عن خيمة قريبة خضراء وأرتب فيها مراسيمي

بيديّ

غير أنك تأتين في ساعة متأخرة وتكشفين عنك غطائي

وبإيماءٍ خفيفةٍ منك أدخل حدائق النهار المزينة

بالإثم

والبراءة

وأطفو قليلاً على العشب

وتفاح الألم المخضر وأشلاء الحلم

وأكتب بحبر جسمك المرتعش

نشيد الطفولة الموءودة

ونشاز العالم المنهار

وأدعو غيمة ضائعة إلى مائدتي وسكنائي والإقامة في بيتي

وأغرس لك شجرة مخضرة تسمينها الحرية

فتغرسين أمام داري غصناً من غصونها المتفرعة وتكتبين على

كل ورقة

هذه دروبك الوعرة وجنتك الموعودة

المفقودة.

فصل

[27]

حينئذٍ..

أغزل لك ثوباً من بقع الشمس وبقايا النجوم وزبد البحر وفضة الماء

وأرصعه بجثث القتلى وحدقات الجرحى

وتأوهات الألم المشع

وخرائب العصور
فتضحكين ولا تبكين
فكم تكرهيني وأحبك
وأكرهك فتحبينني
يا أنتِ: أيتها المرأة الحجرية اللعنة عليك ثم اللعنة عليك وإلى أبد الأبد
فليس جسمي مركباً لك أو خفّاً تدوسين عليه
لنسم الأشياء بأسمائها
سرتك كأس مدورة ولا يعوزها شراب ممزوج
وخمرة يدك لذة للشاربين
جسمك قطيفة مصبوغة بالعشب والشقائق
ولا يقيم عليه حارس
ولا تؤدي إليك هاوية هاوية
ولا يقر لك جسد على شريعة ما
أما أنتِ فشريعتك حضورك الذي هو غيبتك
وغيبتك التي هي أبقى
من كل حضورٍ في نفس الوقت.
فصل

[28]

يمينك كرمة عنب ودوال لا مقطوعة ولا ممنوعة
وسرك ذائع في الآفاق
وكلما قطفنا من ثمرك الشهى شيئاً
تفتقت الكرمة
واشتعلت العناقيد
وتكشفت لنا سوءاتنا التي لا أول لها ولا آخر
عينك شمس الله
يا الله...
كيف أخبز لك الفرحة الدائم وأقدم لك المسرة
يا أنتِ
أيتها المرأة الحجرية

كم أحبك وتكرهيني

وأكرهك

فتحبيني...!!

فصل

[29]

أزين نفسي لبهرجة الطفولة وطقوس الحلم وإدراك الحواس

وغير الحواس من سفر وركض ولهو ولعب وزينة

وموت هو النعمة ونعمة كأنها القيامة ولا شيء بعد

وأتهياً لمنازلة النوم والسهر

وكتابة تمائم الشجر وأحجية الليل

وحشرة الأجنة

وأتبع منازل الشمس والقمر والنجوم

وأغفو على بوابات جسمك

إلى أن تقوم الساعة

وأفك طلاسم سحرتك وسحرك

وأسرق نار المواءمة بين جسدي وعجيتته الأولى

وبين الأرض ومسامها البعيدة القريبة وليس عليّ من سلطان إلا أنت

فأرسم فضاء نفسي بنفسي

وأزينه لعيني...!!

فصل

[30]

هل البحر كتابة أخيرة لسماء ثامنة

لا نرى منها غير الزبد والمحار والطحالب الميتة الخضراء وغير الخضراء

والمراكب الغارقة

والألواح الطافية

والسمك الأبيض المتوحش

وبقايا دم منقرض لعصور

باهتة منقرضة؟

أشتهي وردة بألف غصن

وامرأة ثرة تكون شجراً زاكياً ولباناً مرّاً
وعليها وبها يختصم الشمس والقمر ولها عرش نضيد.
يأخذ الرمل قنديله

ويغادر صوب البلاد البعيدة واللجج النجم
من أوعز الآن للقمر المتلثم أن يتأبط صارية الغيم
أو يتزيا بقافلة
ضالة

وسماء رمادية حارقة
تتألب بين ممرين من جبل شاهق وبلاد أئيمة؟؟
فصل

[31]

مشاهد الغياب والحضور لزمن محدوب مكسور
الوجه كوكب يدور

والأرض ناقة خضراء تسير تحت قبة الدماء
والشمس بقعة حمراء

في ثوبها المهدم المنسوج بالعظام والأشلاء
والريح مخبأ الجثث

رأيت نخلتين من زبد وماء

تخرجان من غيابة السماء

والطائر القديم

مسمر مصلوب في الفضاء

والريش شاهد القتل والدليل

هل كانت السماء علامة الدماء أم كانت الدماء علامة السماء؟

رأيت كوكبين من لجة ونار

يبكيان جرح الأرض

وينضوان زهرة الرصاص والحديد.

الوجه كوكب يدور...

والأرض ناقة خضراء

تسير فوق جثة الدماء!!..

كانت هي علامته
وهو قيامة عليها
تابع رجل غيمته ومضى ...

فصل

[3 2]

سنبلة في غرفة نومي تتفتح
شجر مسكون بالضوء وبالكلمات يكلمني
زهرة صبار تنبت في حلمي
وتنادمني
تأكل من خبزي وتشاطرني كل مسراتي وهزائم بدني وطقوسي
أشلاء عيون متبلورة فوق الجدران تحديق بي
ماذا يفعل طلع النخل المتبعثر في أرضي
وسفائن جسدي الغارقة بقاع البحر وأصداف الماء
أقدام عارية تدهسني
فتفتت لحمي
وتذريني للريح الهاربة من الجنات
ووحل الأزمنة الهرمة
وطواحين الموت
وبقع الضوء الغاربة المتعكرة.

فصل

[3 3]

وطواط يطوق بابي - مبهوراً - ويحلق في سقف الغرفة
أقذفه بالنوم
فيرجمني بحجارة أحلام متحجرة وبقايا شهوات نازفة وعصور
منطفئات
سيدة تشرق في الليل فتترك فوق الجدران مناشفها وضمائرها
وتحل على الشمس المخبوءة تحت وساداتي مئزرها
ثم تشير على بأن أتبعها
حتى هاجسة النوم ومطلع شمس حمئة

تفرد شالاً من وحدتها الخضراء على طرف غواياتي
وتفض على جسمي المتغضن أزياء أنوثتها
فأقوم وأتبعها مجنوناً من فرط الرغبة
جسد معجون بالعاج وبالحناء
وملفوف بحريير المحبة وسلاسل الضوء
وتنهديات الأجنة
وثدي كزمردة خضراء
وعينان من اللؤلؤ المصفوف على مقاعد اللون
وأرائك الخضرة المذهبة كأنها الزبرجد واليواقيت
والصدر خليج من العسل المصفى والمرجان المكنون
وسرتها كأس دامية ومصببات صاعدة وهابطة لنار لا يسهل
اكتشافها

وجحيم كأنه المأوى
تحت شمسٍ هي الرحمة
ومحبة كأنها النعيم.

فصل

[34]

أتأهب لمنازلة النوم
يمام يهدل في ذاكرتي
ويعشش فوق خرائب أرصفتي ومناراتي المعتمدة وبدني الشائخ
أشعل قنديلي المطفئ وأتبع بعض غواياتي
- الشرأشف والنوم أم حلم عابر غطسته المرايا
ذهولاً أفقت -

ترأت لي المرأة - الحجرية - واقفة بين ماء ونار
أكانت هي الجمرة المستكنة في مرمر العشب
ترسم وقع خطاها دماً...

وشموساً من الصلب
معروشة فوق قبة جسمي
والنجمة المستفيقة في الغيم نواره

لزمان مضى
وزمان يجيء؟؟

فصل

[35]

ترسم الشمس كحل جسدها على رمل الأفق
المزمر بتقاطيع البداوة بخيوط من نار وأرجوان..
ودوائر من بنفسج لدن باكتناز الأعضاء
وخصوبة البدن الحي.
كأنها الأرض فككتها شهوة العطش
والنعاس

ووجع انفلاق الرحم

وطفولة الحلم

هل هي الرحم

الأرض!؟

فصل

[36]

كان رجل يسير مشغولاً بفضائه وامرأة تسير مشغولة بفضائها
والتقيا فإذا هما..

ورقتان لشجرة وحيدة

آثرت أن تظل واقفة هكذا ومعلقة في الفراغ سنين عدداً
وكلما اقتربا أو تماسا كانت الشمس واقفة لهما بالمرصاد
والقمر يصعد ويهبط ليفر من منازل السكون والحركة إلى
مشارك الأرض ومغاربها
وهما يضحكان..

وينضوان من على جسديهما الشفيقين أردية القنوط ليدخلا طقس

الأشياء وطفولتها

ويجددان عهدهما بمواثيق لا تنفصم

وشرائع غير مكتوبة أو مدونة

هي علامة عليه

وهو قيامة لها
تعرفهم بسيماهم كلما التقى الماء بالنار
وأخرجت الأرض أثقالها.

فصل

[37]

واقف...

أنت في مكنٍ ضيقٍ حرج
تراقب تفتح الجسد لوردة الجسد وامتلاكه لزهرة الشهوة الرابعة
وتويج الأنوثة المنفرط على طرقات الليل الصلبة
والنهار قبة غاوية غازية لجسدٍ منهزمٍ
ومكنونٍ...

في سماءٍ بعيدةٍ
لا تشرق فيها شمس ولا تلتقي بقمرٍ إلا بمقدارٍ
فلا تتقابل المسارات
ويتفرق الحلم كأنه الفتات والأشلاء
وتنفك عرى الرؤى فلا يتبقى لديك سوى الحصى ووسوسة الحلي
وأزهار التراب المجففة وشجر النسيان الصاهل
على امتداد السمع والبصر والفؤاد وما أنت بمسؤولٍ
عن كل ذلك ولا هي بمسؤولة وكلاكما
في غيابتين من غيابات الزمن لا تلتقيان إلا في توارِدِ الأحلامِ
وسنابلِ الخواطرِ الدامعةِ.

فصل

[38]

متى يقبل النهار أعزل وكأنه الطوفان والليل من ورائه جيش محيط
بألوية ودروع
كانت هي وردته
وهو وردة عليها
يستند عليها بجذعه ويقدم لها القرايين فتقدم له كأس الدمع
وحموضة المحبة

وبرتقالات الوجع الأخرس
فأي علامة تلك وأي آية؟؟
ويقابلها في منتصف النهار والليل فلا تقابله إلا من وراء حجاب
ولا تكلمهم إلا رمزاً.

فصل

[39]

قائم هو بالليل والنهار عليها والناس نيام وهي مشغولة عنه بحدائق الندم
ومشاكل القنص والقتل
فلا يعرف أي طريق يسلكه
وأي الدروب يجدها مفتوحة ليفر إليها
حيث لا وصول أبداً ولا رجوع دائماً
وكانا...

إذا قالوا فاضا

أنت... مشغولة

بسقاية الحجيج وإطعام الضيوف من كل فج
وأنا في كل يوم

أجئتك مزدهراً بغواياتي وقوانين بدني المنهزم فتجئني إليّ
مكتوبة بوجعك الخالص وحكاياتك التي لا تنتهي
فكيف أفتح أمام جسمك بوابة العشق
وتطلين على من فُرج القنوط؟؟

فصل

[40]

ها هي متاهة الجسد إذن...
أنت مكتوبة بوجع القديسين وأنا مرشوش بالصلبان
وتمتعات المساجد
وأضرحة الفقراء
علامة أنت على السهر والحمى
وهذه هي شجرتك الضاربة عميقاً والضاربة
وجذوري شاهدة على ما أقول

شمسك منسوجة على جسمي أخاديد ووديان وهي بطقوسها
وتفتحاتها علامة لي
كانت هي وردته وهو وردة عليها
وهي قيامته
وهو قيامة عليها..!

فصل

[41]

شجر فككته السماء عروقا من الذهب الأصفر
المتوهج في الليل
والغيم حافته
كان لباس شهوتها بروقا
ضفائرها المليئة بالسموات القريبة والنجوم..
دخلت حجرتها الوعول البيض والزهرات
قادتني الخطى وجلا إلى طرف الحديقة والسماء زينت بلباس
خضرتها
وها يسابق النجم المطيف تجاه غرفتها أو طرفها حور
ونار فراتها زجل
لطير غامض يأتي من الأيك القريب؟!
زجرت نفسي وأدرعت بشالها المعقود ما بين الضحى والليل
محبوس أنا في لجة من ماء عينيها
فكيف أفر من برق لبرق؟
وكيف يكون صوت حصاتها سكنا؟

فصل

[42]

استفقنا..!!

كانت رجفة الفجر المغبش بالعماء الغفل والأمشاج تعتلك
الندى والعطر
والنطف الخبيثة تشرئب كغابة مطمورة ما بين صخر الأرض
والسموات

دانية قطوف الآل
هل قطعانها ذهب فأعرفها؟
أو اكتملت قوافل رحلها الحبلى بماء الخلق والتسليم وانسربت
تفتش عن سلاله قطرة مخبوءة ما بين شعبٍ ضيقٍ حرجٍ
تمر الريح بين ذؤابتين
وينحني جبل لصاعقة فأسكنه
ادرعت بشالها المعقود ما بين الضحى والليل
قلت: أخبئ الأشلاء من جثثي
وذاكرتي!!

فصل

[43]

هل ذاكرٌ أنت شكل المرأة التي في حوزتك ولون جسدها وطعم
قرنفلها وحنطة بطنها
وعجين سرتها؟
وماذا ستفعل ساعة المد والجزر
وهي ليست ببعيدة عن هنا؟
هل خلخالها خشخشة الماء وبياض اللبن الحليب
وفضة الغيم تطرز به الريح
وتزين به أخاديد الشمس ومعارض القمر ومنازل النجوم
وهي هي غجريّة لا تحب سكنى الأعالي
وقمم الجبال
هي علامة على الموت
وأنت علامة على الحياة
ولا تهبط القرية التي أنت ساكن فيها
فلا تجيء إلا متخفية عن الرقباء والبصاين.

فصل

[44]

عليها

عراجين وشهب وممرات وعرة كثيرة تسلكها

فماذا أنت فاعل بها
وهي عليك من الحسك والشوك ثوب لا يبلى ولا يزول فلا
تخلعه إلا لترتيبه
وأنت لا تزرع غير الوحشة
ولا تحصد سوى الهباء والذر؟؟
هي أهلة بك وموعودة وأنت أهل بها وموعود...!!
فكيف يكون لجسد ثمل أن يكون آية لجسوم كثيرة
والماء بينك وبينها نخلة
تتفرع فروعاً كثيرة وميالة
وتمد ذؤاباتها فوق أرضٍ هي الشيخوخةُ
وفضاء هو الجحيمُ
فلا تطلع عليها شمس أو يزورها قمر
إلا ساعة موتها
وحتفها؟

فصل

[45]

تمت لك النعمة والمجد إن هي أشرقت
لها ملكوت جسمك الرحب تتبوأ من الأركان حيث تشاء فمتى
ستأتي متبرجةً
ثملةً
وفي يدها تحمل عطايك وقطوف جسدتها
وأنت ذاهب نفسك عليها حشرات؟
ولها عرش عظيم
إذا دخلته حسبته لجةً من قوارير وزمرداتٍ من لؤلؤٍ مكنونٍ
وإن خرجت منه
تكسرت عليك النصال
وانفطرت الأرض
وتشقت الجبال ولا تدري بأي بلد تموت
وهي عليك واقفة..

فلا تذهب نفسك عليها حسرات وقل لها في آخر الأمر

سلام

هي قيامة عليك

وأنت قيامة عليها

طلعت شمس الفجر مذهباً عليك فاستفق.

ما قاله السيد للسيدة

فصل

[1]

اندهش السيد من كلام السيدة

ورنا إليها ببصرٍ منجردٍ

وهو واقف على حافة الليل يرقب تحولات النهار

أليست القيامة أقرب إليّ

من امرأة

أعرف تفاصيل جسدها

وحنطة بطنها

وعجين سرتها

وهي ممسكة بزمام وقتي

وأنا واقف على شجر التحولات

وأقاليم الرؤيا؟

عندئذٍ...

انتبهت السيدة إلى كلام السيد

وأخذت تقرأ بصوتٍ

رحبٍ...

فصل

[2]

ما بين سرتي وجسمي روضة واسعة

لا يعرف مداها أحد إلا بي

فخل عنك وتخل عني
فهل تعرف أيها السيد لماذا أتخفى عنك بالليل والنهار
ولا أنكشف إلا لي؟
قمصاني هي الماء
ولغتي هي الأرض
وما بين كل قميص وقميص مسيرة ألف عام من الموت والحياة
فكيف تصل إليّ أيها السيد وهي بعيدة
لا يبلغها السائرون إلا نياماً
بعد ميتاتٍ كثيرةٍ
وحياتٍ غالبيةٍ.

فصل

[3]

ما بين لغتي والأرض
أكبر مما بين السماوات والأرض من تفاوت
وكلام هو كلام البرازخ
ولكنك لا تعرف أي كلام هو لك وأي كلام هو لي
فلا يفك رموزه إلا أصحاب الضحى والليل
ولا يقترب من شفرته
إلا أولو العزم من الأخلاء والأصفياء ومن أذنت لهم
من أصحاب الحاجات من العشق
وطلاب الموت الحميم.

فصل

[4]

هذه سبيلي:
سهر بالليل ووجع بالنهار
إلى أن تقوم الأرض من قيامتها وما أنت بقادرٍ على أن تؤدي لي
ثماني حجج فإن أتممت عشرًا فمن عندك
وها أنت ذا باخع نفسك على أن تراني

فهل لك في حاجة أخرى
ورغبة دفينّة أوّديها لك
فلن تراني قبل هذا ومن بعدُ إلى أن تموت
ويخيم على الأرض الظلام
وتنشق الشمس والقمر
وما أنت بصاحب لي .

فصل

[5]

فعلى أي شيء تترقب وصولي من سفرٍ هو النصبُ
وهذي هي العير قد أقبلت
وما لك فيها من صاحب أو غلامٍ
فننظر إليه أو نسأله ؟
ارجع إلى أهل بيتك كي يكفلوك فلا حول لك في هذا
ولا حول لي

فقط

هي أحوالي

ومقاماتي أتقلب فيها كيف أشاء
ولك فيها من العذاب بقدر ما لي فيها من النعمة
فبها وعليها أترقى درجي
وأصعد منعطفاتي وبروجي
إلى أن تبلغ مني الروح الحلقوم
وأمضي إلى بلدٍ

قفري

فأنصب خيامي

وأعلن على الملأ نبأ استشهادي
وأقيم صلواتي وأقدم أدعيتي وأذبح قرابيني
إلى أن تشقق الأرض ويتفجر منها الماء
وأجمع الشمس والقمر حولي .

فصل

[6]

لكلامي شبهة المحبة
ولجسمي غواية الشياطين
وها أنت ذاهب نفسك حشرات ما بين شبهة المحبة وغواية
الشياطين
ولا تفتش في الأرض إلا عن قيامةٍ أخيرةٍ لي .

فصل

[7]

هأنذا أنظر إليك فهل تتعقبني أيها السيد:
اخرج من تابوت الجسد
وأزح غطاء جسمك عنك ولا تكن كصاحب الحوت
وتوقف أمام كل امرأةٍ فيَّ
فإن استقر الجسد مكانه
وثبت الحال على الحال
وانعقدت أطراف الموت الحمراء بين تراقيك وترائبك فاخلع
نعليك إذن
واخرج من تعبك ونصبك
إنا رادوك إلى أهلك في أدنى الأرض
كي تقر بهم عينا
ويقرؤا بك عينا
ولتبدأ من جديد موتاً متكرراً جديداً وسهراً تعباً
وأنت بأعيننا فلا تخضع ولا تبتس
وقف ...

قف

إلى أن أخرج عليك بطوفان أسمائي وشاراتي
وأنعقبك في كل واد تقيم فيه
وعند كل جماعة تحل بها ضيف سفر وعابر سبيل
إلى أن أتم نعمتي عليك وأهب لك لحظة واحدة لا تدخل في

عدد السنين والحساب
وهي هي ليست من الزمن في شيء
فلا هو موصول بها
ولا هي موصولة به...!!

فصل

[8]

أليست هذه رغبتك أيها السيد إذن؟؟
هكذا ذهب السيد إلى حال سبيله
ومضى...

لا يعرف في أي بلد هو
وأخذ يقطع الليل في النهار ويقطع النهار في الليل
وقال في نفسه:

سأنتظر سفينة أخرى
لتحملني إلى امرأة بعينها
فلم كانت المرأة إذن علامة على السهر والحمى؟؟
وكلما مر على أهل قرية وأراد أن يضيفوه أبوا وراحوا يرمونه
بالحجارة

ويطردونه من بلد إلى بلد
ويطلقون خلفه الكلاب الضالة وقطط الظلام الهرمة النهمة
فتنهش عظامه ولحمه
وهو يهشها فلا تهش وهي تتهارش من حوله وتزوم ويطردها
فتطارده

إلى أن دمي الجسد وابتلت العروق بالوجع
والظماً.

فصل

[9]

ورأى:

أن ممياواته تسير من خلفه على حجارة الأرض
جثثاً جثثاً وهي تصايح

فكيف يهرب من الوجع بالحمى ومن الحمى بالوجع
والبحر ليس ببعيد عن هنا وهو نائم ويقظان
ورأى:

رجالاً كثيراً يكون ونساء يطوقنه بمناديل الفرح
والوداع

أيها السيد: أين دار السيدة؟
أيتها السيدة: أين هي دار السيد فننزل إليها ونحتمي بها؟
انكشف ستر الجسد إذن
ولاذ كل من السيد والسيدة بالفرار إلى أرائك النوم الحمراء
ومملكة الحلم الرحيم
وبقيا حتى ساعة
متأخرة
يتقلب كل منهما على فراشه
فوق شراشف المحبة
وعناقيد الرغبة المحتدمة.

فصل

[10]

وانطلق حديث دافئ يعلن عن بدء وصول السيدة إلى
حافة النوم
فخلع السيد أعضائه عضواً عضواً وانخرط في بكاء مر
وانخرطت السيدة في لهو ولعب وزينة
إلى أن انتبه السيد إلى الوقت
فتشاغلت - عنه السيدة - بالحلم
وهي تشير إلى جثث الذاكرة أن تدخل طقس الرؤيا
وإلى الجسد أن يتخفى في سراويل النعاس الفضفاضة
هكذا امتلأت السماء بالسحب وأراقته ماءً على الأرض
بقدر

وغلقت السيدة الأبواب وقالت:

هل تريد أن تراني أيها السيد؟

فصل

[11]

أنا أقرب إليك منك
وأنت أقرب إليّ مني فما هو قولك
وعلام تقلّب علينا أهل بيت لنا وكل من يقابلك من صحبي
ونداماي
وها هم أهل بيتك يضحكون ولا يكون
وهمو ينظرون ما أفيء عليهم من محبة
وما أجزل من عطايا ومواقيت
آن للجسد أن يلتحف بعرائس النعاسِ الفضفاضةِ
وللنعاس
أن يلتحف بعرائش الجسد
فيسلطنه...!!

فصل

[12]

لمرمر جسمك أبدأ تذكرتي بالسفر
للمسافة مطوية في قميصي
أنحلُّ بارجة من بخارٍ قديم
فأبحر صوب الشواطئ والذاكرة
إنها لغة الحلم تشرق بي
من أول الصبح حتى حدود الضحى
وتقيم الكلام على حجر ناتئ وتصاوير من زبد فارغٍ
لتقيس المسافة بيني وبين ممالك جسمك
بينني وبين ممالك جسمك أرض بعيدة وهذا دمي...
يتربصُ
أو...

أصطفيه من النار والماء
أجعله قبضة في يمينك
والأرض خاتم عرس أسويه بين يديك

وأنسجه من رماد السماوات والأرض شعلة ضوءٍ

مبللةٍ

بالترائبِ

والرغباتِ.

فصل

[13]

افتحي جسد الحلم

وامنحي الذاكرة بهاء التخیلات والرؤى وصلابة التلاشي

وكوني إذا أخرج الليل أثقاله حلة ترتديني

وترتدي بي

كي أجوس خلال الديار

سأمنح صوتي بهاء الكمالات من جسد مورقٍ وأراضين

تغسل وجه النهار بأول حرف من اسمي

وآخر حرف من اسمك

اسمك: سيدة الأرض

واسمك:

جوهرة السماوات.

فصل

[14]

على بابك الملكي افترشت دمي ثم أولت ما يكتب الرمز

وما لا تقدر عليه لغة الإشارةِ

من معنى هو الحقيقة

وحقيقةٍ كأنها الحلم ولا شأن لي

خذي من جسدي وكلماتي ما يتعب في تأويله علماء الكلام

وأساطين الحرف

وهمو غير قادرين عليه

واسألهم... سيداً

سيداً

ورهُطاً

رهُطًا

عن هذا الذي يقول ما يقول وبأي لغة يكتب ما يعرف وما لا
يعرف
ولماذا يتقول علينا بما يعرف وما لا يعرف وما لا طاقة لنا به ولا
قدرة لديه على احتمالِه
ووصفه؟!

فصل

[15]

لن يجيبوك بشيء مما يعرفون ومما لا يعرفون وسيقولون:
ابعدوا هذه المرأة عنا
نحن نتصعب من تعبٍ وعرقٍ وهي تضاحك علينا
فبيننا وبينها ثارات قديمة
ورحى حرب لا نخرج منها إلا منكسرين
ومتسرلين ببقايا الدم
وخرائب الجنازات
وهناك قتلى وأسرى لا نحصى عددهم ولا هم يرغبون
بيننا وبينها أرض شاسعة لا نقدر على عبور مهامها
لا بالليل ولا بالنهار
ولا هي نائمة
ويقظانة
فخلع السيد أعضائه عضوًا.. عضوًا وانخرط في بكاءٍ مرٍ
وانخرطت السيدة في لهوٍ ولعبٍ
وزينةٍ
إلى أن انتبه السيد إلى الوقت
فتشاغلت عنه السيدة بمراقبة عشاقها
ولغة حوار بينها.

فصل

[16]

أوليت نفسي غواية تأويل حرفين ك.... ن....

كنت ناراً على قبة الوقت
آويت جسمي لجسمي ادرعت بشمس الضحى
عيونك منقوشة كالفراش على جبلٍ شاهقٍ
كيف أصعد نحوك أيتها المرأة الشاهقة
كيف أخلع قفاز جسمي
وأعلن للماء أني استويت على الأرض أغرس فيها جحيمي
وأبحث عن جنتي
... ليس لي غير قيظ اسمها...
وخطاي خطي تتعثّر في شجر العرش
والملكوت
وكيف أدثر نفسي بوقت هو الوصل
لا تبعدي عن خطاي إذن
نحن اقتربنا من الأرض
ها هي ذي تتلفع بالموت والرغبات الأثيمة
ها اثنيني على جنةٍ عرضها السماوات والأرض
كي أتبوأ فيها مكاني
وأشعل بعض خطاي
من أنت؟
ومن أنت...؟؟
فصل

[17]

بيننا: تسكن البلاد وتزدهر صناعة الكيمياء القديمة وغناء
الفلاسفة

ولا نعرف غير اللهو
واللعب وتفاخر المودات والنسب الكريم
ولا يكون لنا غير أصدقاء حميمين نتفرس في وجوههم
فنعرفهم بسيماهم
ونتقرب إليهم بالليل والنهار

فيتقربون إلينا بالمحبة والكلام الحسن
وليس لهم من حديث سوى حديث الغناء والطرب
فنشرب إلى أن تبطل العروق ويذهب الظمأ
وننتقل من واد غير ذي زرع إلى واد غير ذي زرع
ليله كنهاره

ومن أهل بيت إلى أهل بيت
فلا ندرك تكور الليل على النهار وتكور النهار على الليل
وإنما هي حركة موصولة وحياة دائمة لا تكاد تبدأ حتى تنتهي ولا تنتهي حتى تبدأ
وما بين الموت والحياة تحولات أخرى وأزمنة ضوئية لا تدركها
الأبصار ونحن بها فرحون
هكذا تكون المحبة أيها السيد
وهكذا يكون رباط الوصل أيتها السيدة.

فصل

[18]

بيننا: تتوافد الذكرياتُ على شجر الليل في وضوح النهار
وعلى مرأى ومسمع من الليل والنهار يدور حديث دافئ بيننا
فلا ينقطع إلا بغفوةٍ
ولا يبدأ إلا بميعادٍ
هو الحلم...!!

فصل

[19]

بيننا الحركة والسكونُ
وما بين الحركة والسكون علامات..

لأنجم كثيرةٍ
ضالةٍ

في المجرات تفتش عنا
فلا هي تهتدي إلينا
ولا نحن نقول لها:
اهبطي بسلام.

فصل

[20]

بيننا: من أول الخلق إلى آخر الخلق رباط من الذرّ والكلمات
المكنونة المنكشفة
ما لو أطلعت عليه
وخطر على قلب بشر
لوّلى مدبراً وقال لي:
هذا فراق بيني وبينك إلى أي أجلٍ تراه وأي زمن أراه حتى تقوم
الساعة
فأجلس منها مجلس أنسٍ وطربٍ وغناءٍ ورقصٍ ولن أبرح مقامي
هذا

إلى أن تأذن لي
أو أمضى حَقْباً إلى حيث تشاء السيدةُ
ويأخذ الزمن أبعاده ومسمياته
فأحمل فراغي على ظهري
وألقى بمتاعي في اليم
فلا أمكث في زمان
ولا أفتش لي عن مكانٍ!!

فصل

[21]

بيننا: من سورة يوسف وأهل سبأ والأعراف
ما لا يقدر على تأويله الفلاسفة وعلماء الكلام
ولا يقترب منه الصوفيون
وأصحاب الكشف والمقامات
إلا بمقدارٍ
لها أحوال النعمة
وله مدارج العذاب يتقلب فيها كيف يشاءُ
فبأي متاهةٍ هو
وفي أي غيابةٍ هي؟؟

فصل

[22]

بيننا: يتخلى الليل عن عاداته وحاجياته
ويواصل السفر والسهر إلى أن يحل في جانبٍ
آمنٍ..
من جوانب السماوات والأرض
ولا يبحث عن قيامةٍ أخيرةٍ
ويقول: بخ.. بخ..
لا رغبة لدي في لعبةٍ جديدةٍ اسمها الموتُ والحياةُ
أنا ثمل وسكران هكذا
يا هذا..

فمن ذا الذي يقودني إلى المنزل؟!
أنت هكذا
وأنا هكذا؟!

فصل

[23]

بيننا: من زليخةَ
وشجرة الدر وبلقيسَ
وامرأة لوط...
ما يخرج بنا عن حدود الكلام إلى متاهة الرؤيا
خلع السيد أعضائه عضواً.. عضواً وتقلب على فراشه
فوق شراشف المحبة
وعناقيد الرغبة المحتدمة وانخرط في بكاءٍ مرّ
وانخرطت السيدة في لهوٍ ولعبٍ
وزينةٍ
إلى أن انتبه السيد إلى الوقت
عندئذٍ...
اندهشت السيدةُ من كلام السيد
ومضت.

القيامة

فصل

[1]

كل خطوة وردة

وكل زهرة

فضاء

إذن اهبط للأرض وأعري الذاكرة

عن حجارة الوقت

وضوء الروح

ووعناء الصعود والهبوط

وعناء السفر

ومكابدة الجسد للجسد

بمطلع الفجر

وانفلاتة العين من طوابع الرؤيا وجواب المشاهدة

وثقل الأعضاء

بالأعضاء...!!

فصل

[2]

إذن...

أدخل إلى عتمة الصباح

وأسرج ظهر النهار بتراب الغيمة

وحنّاء الأصابع المحترقة

وحقائق الذكريات المعشوشبة

على جدران الزمن المثقل بالتاريخ الغفل

وجماجم الكائنات

ومواجيد الموتى الأحياء والأحياء الموتى

ونقوش الفراغة الباهتة

فوق مراكب الشمس

ومعابد الكهنة..
وبخور العجايز الليلي
وصلاة الأرقاء
ودعوات القديسين والصلبان من الأزل للأبد
فمن يأسر الظل لي
وجوادي الجموح مضى؟!!

فصل

[3]

إذن...

أركب خيل المهارى السلالات وخيول الرماد لتمر بي إلى...
عجينة الخلق الأولى
ونطف الشجر الطالع من سجين
ورجع الأرض
ووجع الولادة
وعند برعم الكلمات الواقعة من سنين عدداً في انتظار هجرة الشمس
من الغرب للشرق
وسفر القمر الأزرق من الشرق للغرب
وانهمار مطر اللقاح الأحمر بين
شجر الجوع الأخضر وعطش الكائنات
الطالعة من دم الفجر
وقيظ الظهيرة
وقيلولة الرؤيا
إلى أن تقوم الساعة ويتهيا الخلق لسماع الشهادة
ومعرفة حقيقة
الخلق والأمر.

فصل

[4]

الغيوم تظلل ناقة الليل في وضح النهار

- دمي بينهن أسير -

النجوم على سدرة الرأس أحد عشر كوكباً
والشمس والقمر في وسط الماء والرمل يسبحون وها هي
جنات عدن أعدت للجوعى وأبناء السبيل من كل فج
ادخلوا الآن أرجاءها

وافسحوا للندى يتبطن بين ممراتها وهو يدخل
هذي مماشيتها الصقيلات زُين بالخور والزنبق الغفل
والعشق يدخل مملكة
ويؤاخي الجسوم الكثيرة.

فصل

[5]

كل خطوة وردة

وكل زهرة

فضاء

وهذا فضائي

المدينة مخبوءة تحت شمس النهار
الأرض واقفة بانتظار المواليذ الميته والمحترقة معاً..

- هذا فضاؤك فلتدخل الآن في الضوء

بعض الطيور يرتقن أطراف ثوبي بأثوابهن

كانت تواتيك في مطر الفجر أبيض.. أخضر..

تنزع عنك ثياب الرقاد وتفتح محرابها النبوي أمامك

ادخل الآن ثوب التراويل فوق الحوائط

والليل من جمرة

كان أخضر...

فصل

[6]

كل النيازك مخبوءة في قميصك

بحر من العشق والريم كان الفضاء البهيج

الملوك السكارى إذا دخلوا قريةً
أفسدوها
وجعلوها جثثاً من الرماد مبصرةً وغير مبصرةٍ
وبركاً من الدم والوحل
لا يُعرف له أول من آخر
ولا بر من بحر...!!
فصل

[7]

وها هم الآن حولك قرب الحوائط
يمدون أيديهم إلى الماء فلا يلمسون قطرةً منه ولا يلبثون إلا
ساعةً من نهارٍ
ويولون الدبر
وجوعهم يسعى بين أيديهم ناراً
وقهرهم
باسط ذراعيه بين أرجلهم وعليهم نار مؤصدةٌ
وفوقهم ملائكة سودٌ
وعبيد يضربونهم بالسلاسل
فترى أعينهم تفيض من الدمع حزناً
وهم ينظرون
فلا يُسمع لهم صريرٌ
ولا هم ينقذون.

فصل

[8]

شجر يطلع من طور سيناء...!!
المسافة اشتهاات من الفضة والضوء
أرض بالغة الخضرة والورد
الطيور على أعتابها شجر الضوء والبرق ترقد واجمة وممزقة في
التراب الحي

والندى الوقت
وهذه هي خمائر من اللبن الفجري
تنزع من فوقها ريشها تحت شمس الظهيرة
والمدى القلب.

فصل

[9]

راحت تنقر الوقت
وتحكي عن نهارٍ كريمٍ وسماواتٍ مبللةٍ بمحاذاة الولادة
المطر الأحمر الساقط كالعهن المنفوش
الزرايبي
جميزة من فوقها يأكل الطير، والليل
النجوم ندى يتكسر من تحته الموج من فوقه الريح
ترقص بلا ضجر ولا استواء
ولا رهبة، ولا مودة...
أنا خائف أترقب

- والفضاء صنوانٌ وغير صنوانٍ
آيته جتان من نخلٍ حَفَفْنَاهُمَا بِنَهْرٍ
وجعلنا بينهما قتلى
وأشلاء جثث
وعظام حيواتٍ
أكان له ثمر؟؟

فصل

[10]

هجرته رطوبة الذاكرة وخيانة الوقت والأرض
فسكن القلب وخرائط الجسد وكل أولئك كان عنه مسؤولاً
وأرخ تأريخاً جديداً لجسده المصلوب بين فضاء الكتابة
وحداثق الدم المتناثرة فوق كل ذرة
وكل نائمة.

فصل

[11]

علامته الفوضى

وعلامتها القيامة

وما بينهما شجرٌ لا يخرج من الأرض

ولا ينقطع له ظل

أو ثمر

كتب نفسه على شقائق الموت

وكتبت خرائط الفوضى على جسده تاريخ القيامة

وبداية المعرفة

واعترته سوانح الخواطر

فخط على التراب المملوء بالبحث

والعظام النخرة

حرفين مشتبهين

مثل الألف والسكون

ك

ن...!!

فصل

[12]

كان الفضاء

وكانت سلالمة القيامة

وشهقة الجذور

وطوارق الليل

هجر فضاء الألوان

واشتجر مع الليل والبحر والناس نيام

كانت السماوات سراويله

وشمسها البالغة الخضرة والورد

فهل من أحد يعرفكم فيها

أو يعرفها فيكم

وكانت هي الماء واجتلاء الوقت بالوقت
وهي هي اشتباك الريح بالريح
والجسد الحي بالجسد الحي وانفلاق الحبة بالحبة
والنار التي توقد من شجرة زيتونة

مباركة

يكاد زيتها يضيء...!!

فصل

[13]

كل خطوة وردة

وكل زهرة

فضاء

ها هو ذا جسدي فادخلوا عرشه وسبحوه بكرة وأصيلاً...

ابنوا ممالككم تحت عرشي

وكونوا له خاشعين

اعترتني رعدة البدن

ومفارقة الأعضاء للأعضاء

والشمس على سرّة جسمي تتفتح أسرة

وتنفرج تويجات

ويأتي النوم فلا يكاد يعرفني

وأتى إلى الصحو

فلا أكاد أدركه!!

فصل

[14]

وها هو ذا رحم واسع بحجم الأرض والسموات

تسلل منه السلالات وشائج القربى

وكان الطير أخضر

والغزالات سابحة في الفضاء الغويط وما بينهن دُمى وقطاف

من السنط

وجميز العطش

وحداثق الزقوم
اقتربت الساعة وانشقت الأرض حاسرةً ثوبها
المملوء بجثث الخلق
وخضراء الدمن
ودود الخليقة
وسحب الدخان الأزرق والأبيض
وفوضى النهار المملح بجذوع النخل
وحداثق الجنازات.

فصل

[15]

هل تأخذني سنّة من النوم وغلبة الحال
فتأتي السيدة متلفعة بهواجس الامتلاء
وشقائق النعمان
وأجنة الزهر ونزوات البرق...؟؟
هل تأتي السيدة التي
قرطها من دماء الشموس الصغيرة والأنجم الزهر
والخلاخيل براقّة
ودمي فوق أعرافها سائل
مثل نهر من اللبن السائل المتخثر
والحمرة السامقة.

فصل

[16]

كانت الأرض نوارهً
والخلاخيل معقودةً في حمى الطير
والناس يومئذ ينظرون...
بين مصدق
ومكذب...
والشموس الصغيرة من غضب الرؤية وهواجس الاحتمالات
ترسم أشجارها اللؤلؤية

ومواثيقها
الأرضُ
والكائناتُ.

فصل

[17]

(أ)

كل زهرةٍ من دماءِ الشُّموسِ
الخلاخيل منصوبةٌ بين جرحين
والماء جار على فلكه الكائنات
وكنت أنا الشاهد الميت الحافظ الآن أسماءهم ومواقيت
أوجاعهم

والنجوم اجتاحت بكارتها
ودخلت وحيداً إلى عرشها وممالكها النيرات..
تهيأت للموت

أو للشهادة والصحو
همو ينظرون دمي قطرةً.. قطرةً
فوق أوراق عشب الحدائق
خوّضت في الماء والماء
جاءت دمائي مزركشةً
وطيور الحدائق مغروسة
في فضاء البراعم.

فصل

[18]

صبارة تنبت الآن في رحم الأفق...!!
لهم عرش الرحمة
ولي ملكوت الشهادة
لهم غرف بحجم السماوات والأرض
لا يدخلها الفقراء وأبناء السبيل والعصاة من كل فجٍ
والتائهون في ملكوت أجسادهم الضيقة

وأوجاعهم الرحبة..
وفيها مقاعد للسمع والطرب
ومواقيت للبكاء
والسهر...!!

فصل

[19]

(ب)

دخلت الأرض دورتها
والنساء افترشن قميص الشموس المزركش بالبحر والليل
والخضرة الشاهقة
انعصرن أواصر من شجرٍ
وأراكٍ..
وكانت هي الأرض نوارهً يتعمد فيها النهار
اليواقيت في بطنها
والنجوم على صدرها جثث
وعظام وأودية
ونخيلاً على ظهرها أوراق الدم
ماذا تريد؟؟
مددت يدي...

قطاف من النار دانيةً وجسوم من الملح تورق في الأرض والخيل
كانت على حافر تتواشب
والشرر الريحُ
منغلقات فتوق السماوات

من يرتق الأرض في شهوة الماء والضوء؟؟
فصل

[20]

(ج)

فوق أعتابنا ترقد الشمس محلولة الشعر
أرخت ضفائرها المستشزرات على جسدي

وطيور النوارس مصلوبةً
فوق قلع من الريح والبرق
وامرأة

يتراقص بين ضفائرها المستخرجات من البحر والليل سمك الماء

حناء ألوانها
الصباح والليل
(قدت قميصي...)

طفل من الماء يخرج رجلاه من قصب الضوء
والشمس مبلولة في قميص النهار
ترائبها قاصيات دوانٍ.

فصل

[21]

أكانت قطا الشمس - في الغيم - محجوبةً والرياح المغيرات
معقوفةً

في مدار السماوات والأرض...؟؟
أنا واقف فوق كومة قش وطين
دمي كان يجري كنهر يسيل بلا أودية.. وكنت الرقيب عليهم
أحرق...

أشهد على كل نائمةٍ ودابةٍ ورجلٍ وامرأةٍ وشجرةٍ وتوبجٍ
أشهد على الشمس والقمر
وهما يدوران متتابعين

وغير متتابعين
ولا يشهدان على شيء أو ينبسان ببنت شفةٍ
على الجثث وهي تدخل معراج النفي ودوائر الإعدام وطقس
المواليد

وعفونة الحواس
وشفاة الرؤيا

من سمع وبصر ولمس وإدراك... إلخ
أشهد على الحديقة وليس بها من ثمر غير الجوعى

والأرضِ وهي ليست برتقالة للأكلين
وليس بها من نهر لمن أراد أن يشرب أو يرتوي
فقط هو الظماً نهاية كل شيء
وكل شيء يلمع كأنه السراب!!

فصل

[22]

أشهد على كل أمة بملوكها وطغاتها وزنازنها وعبيدها وقتلاها
وجرحاها وسجنائها وسجانيها
على الأجنة
وهي تستصرخ الله الذي سواها
- كائنات رخوة -

ألا تهبط إلى الأرض الأكثر عفونة ودموية
على الأرحام وهي تنقبض وتنسبط في الخلاء
لكي تقذف بالأجنة
إلى الأرض البور
قرب شجر الوحدة وبنابات الظلم
وحيطان الخراب
وعمائر الفوضى...!!

فصل

[23]

أشهد على كل دورة
وهي ترج العالم رجا
وتشرهم جثثاً ورمما كأنهم جراد منتشر على أرضة السماوات
والأرض

وما بينهما برزخ من رماذ
أشهد على السماوات وهي تنفطر مدامع وقطرات من مطر أسود
كأنها النعمة

والأرض تنفلت براكين كأنها القيامة
ولا من أح... د... ي... س... م... ع... أو يرى!؟

فصل

[24]

أشهد على الجبال

وهي تضم الشفاه والعيون وعظام العشاق وقتلى المواجيد
على الشجرات العجاف وهي لا تمنح الظل أو تأوي الهوام وشعث
الطيور

على الآدميين وهمو يدخلون قراهم - في الظلمات - حتى إذا
أخرج أحدهم يده لم يكدرها يكاد البرق يتخطفهم
ظلمات بعضها فوق بعض
ويتلصصون على النهار من فرج البيوت وستائر النوم
الرجيم

ويفركون أعينهم بوجعهم خوفاً ورهباً
تحسبهم أيقاظاً وهم رقود
وخوفهم في قلوبهم شجرة من مسد
وإذا نودوا في الظلمات
يتحسسون قهرهم بأفئدتهم ولا يكادون يستطيعون حديثاً
وتقلبهم الشمس ذات اليمين وذات الشمال
فإذا هم كأعجاز نخل خاوية
لا ينظرون على الأرض أكانت مخضرة أو غير مخضرة
والسماوات تنبت بالدهن
وعين للآكالين...!!

فصل

[25]

كل خطوة وردة

وكل زهرة

فضاء

وماذا إذا أدخلوني زنازتهم وممرات هزائمهم وانكساراتهم
وغلقوا عليهم الأبواب
وسدوا منافذ الشمس والنجوم والليل والقمر

وأصبحتُ معلقاً بين الأرضِ
والسماءِ
لا من طائر يكلمني
ولا من شمسٍ تدلني عليَّ
أو قمرٍ يزورني كل يوم خمس مرات.
أشهد على نفسي بالوجع وعلى غيري بالمحبة عندئذ
انظر كيف أغتسل والورود بعيدة
وشقائق النعمان لا تغطيني
وكلما أهم بالعصيان يجذبونني
إليهم بالانكساراتِ والقهرِ.
فصل

[26]

أصنع وردة مخضرة من شراشيب دمي
وأعلق في رقبة الريح أوراقها ورقة... ورقة... وأجعل على
كل جبل منهنّ جزءاً
فمن يدخل الآن بيتي
حرائقه

بالحروفِ وبالصباحِ مزدانة؟؟

فصل

[27]

مزمور
انفتحت أسرة النوم
وانفجرت أسارير القنوط
أقعد تحت ورق الموت وأبكي بكاءً مرّاً فلا أرى أطفالاً ورياحين
وزيداً أخضر يخرج من طور سيناء
لا تدركه الأبصار ولا تصل إليه الأذان
والسماء تويج يحترق
والأرض سلة من الخبز المتعفن
وذبابه تغرق في وحل المجرة

وتمتلىء بالأوبئة
وجرائم النهار والليل.

فصل

[28]

قلت أخرج عن هذه الأرض
لعلي أعثر على الماء والظل
أو أجد على النار هدى...!!
سوف آتيكم بقبسٍ من جوع الأرض
وحداثق القتل
ومشاكل القنص ورمل الخوف
وشجر النجوم المحتضر فلا تنظروا إليَّ ببلاهةٍ ودهشةٍ
(كأنه الطوفان..)
سوف آتيكم كذلك بأزهار الجبال الذابلة
وحجارة السماء المحتدمة
المتواطئة.

فصل

[29]

ومشيت طويلاً تحت غيمةٍ وحيدةٍ منكسرةٍ
وكانت السماوات تتفجر بالبرق والرعد
وأنا في قلب المعركة
أحصي عدد القتلى
وخرائط الجرحى
وأعدُّ آهات الثكلى
فلو أن ما في الأرض من شجرةٍ أقلامٍ وأوراق الشجر دفاتر
والبحر مداد
ما نفذت شهادات الخوف والفقد
والملائكة فيما بينهم يتقاتلون من أجل زهرة
والنوم تحت ظل توبيج
والله

ممسك بزمام الكون لا يريم
ويضحك من بلاهة البشر
وحماقة الكائنات

وسخط الملائكة الصغار والكبار على السواء
ويزأر زئيراً شديداً فتزلزل الأرض منه
وتنهدم الجبال فتصير هباءً مندكاً
ويساقط الأطفال صرعى كأنهم أعجاز نخلٍ
خاوية

ويطلبون الماء فلا يجدونه ولا يلمسون سوى رعشة الهواء
الأبيض لرعشة الهواء الأبيض
وتحسس الجسد الشبق للجسد الشبق
وملامسة العضو للعضو
على أسرة الفزع والهول.
فصل

[30]

وها هو نمل يزحف مثل جيش بلا ألوية...!!

فركت عيني
فرأيت ما لا عين رأت
شظايا من الشمس تخرج
وحجارةً تطاير في الهواء
والأرض تتمرغ كامرأة عجوز في وحلٍ الحيزِ
وحمى النفاس الأسود
ومخاض الولادة
وجماع الكائنات المنفلتة من أسر الموت... والخوف
والنخل يأتي صفوفاً.. صفوفاً
متهاكّةً
وغير متهاكّةٍ

فلا أكاد أعرفه ولا يركن إلى ذاكرتي وموائدي المتناثرة على سرة
الأرض

ورحى الشمس الدائرة كدوامة
رعب وفزع وخرافة
ويأتي إلى حجراتي متأخراً
فأطرده منخللاً
وخائناً
والحشرات بشراهة تأكل وتشرب
من جثث الخلق
وأعضاء الجنس
والتوبج ضد التويجة تتقاتل
وتشهر سيفها المصقول
ثم تغرسه في جذر الهواء
فتساقط قطرات الدم
ماسحة وجه الأفق
ويبكي إله في وحدته
وتنفجر صرر الماء على جزائر الأرض الممتلئة بالشهوة وخميرة
الخضرة
ثم تخلع زينتها وتنكفى على قفا الذكريات الجريحة
وملوحة الزمن
تشاءب
فلا تجد غير الوجع والرمم وآلام الطلق
فتتأكل الأعضاء عضواً عضواً.

فصل

[31]

كانت الريح أرجوحةً
يعتلي الطير هاماتها
والشموس الكليلة في ذيلها الضوء والدم يختلجان على حافة
من جنائن خميرية
في منازل قلبي الأثيم
النخيل به جنة

هل يدلي قوائمه ثم ينشر فوق العشبات ألوانه الداكنات ويلفح

ريح المفازة

والقنفذ الحجريُّ يعري سراويله

بين شعث الجبالِ

وصفر الشموسِ.

فصل

[32]

حتى إذا أخذت الأرضُ زينتها وزخرفها

وتكحلت بشارة الصمتِ الأسودِ وشمس النهار المنجردة ووحل النطف

الميتة

وعظام الآدميينَ

وما يخرج من بين الصُّلبِ والترائبِ

وظن أهلها أنهم قادرون عليها

أتيناها نهاراً

على شهبٍ من خيولٍ سهوبيةٍ وغير سهوبيةٍ ونمارقٍ مصفوفةٍ

يكاد البرق يتخطفها وتكاد تحترق ولو لم تمسسها نارُ

ويكاد دمها يضيء من رجفة الزلزلة وغرابة العصفِ.

فصل

[33]

وكلما أتت غيمةٌ

وأفلت نجمةٌ

استيقظت ملائكة الحلم

وهبطت إلى الأرض خفيفة... خفيفة... تتوآب ذوآب قلبي الكليم

فتبين موطئ النعمة

وشقائق الجنات والأنهار

وفتحت عيني على قطيفة النوم الفسفورية

وتمائم المشاهدة

وماء الحدقات الرحيمة يعلو ويهبط

فإذا نحن خامدون

وإذا هم يتدافعون حول خمر المواجهين
وعطايا الذاكرة
وموائد الأكل والشراب
تحرصهم أبراج من فضة وقلاع من ياقوت ومرجان
ونورهم يسعى بين أيديهم فسألهم:
لمن كل هذه الأرض؟؟

فصل

[34]

الشجر الطالع بين الوريد وفضاء الوريد
علامته الفوضى
وأوراقه الفيوض...!!
لمن هذه الأرض
النخلة القائمة على سندس الوقت
وفوق حواف الترع الجافة؟
الأنهار القائمة التي لا تنبع إلا مني ولا تصب إلا في؟
لمن هذه الأرض؟

والكواكب التي انتشرت...
لمن كل تلك الرجوم التي تنبت على رأس كل طفل وكل شجرة وامرأة وتويع
وها هو حليب السماوات نار
والخطيئة آية الخلق وعجينة التكوين
فبأي خبز من النار يأكلون ويشربون
وتتناسل السلالات
وما أظن أن تبيد هذه أبداً!!

فصل

[35]

لمن هذه الأرض؟؟
والمخافة التي أعرفها ولا أعرفها امرأة بهيجة الطلع وحسنة الجسم والقوام ولينة
الأعضاء والتكوين
والناس بين مصدق لها وبين مكذب...

وهمو جميعاً ينظرون إليها
وعلى بابها الحجري المعلق بين قبة السماء المشتعلة وقمر الأرض
المنصهرة

يقفون صفوفاً... صفوفاً
لا تبدأ ولا تنتهي
وهكذا هكذا إلى أبد الدهر...!!

فصل

[36]

لمن هذه الأرض؟؟
أو كلما أردت أن أدخل من باب أو أخرج من آخر
وجدت عليه حرساً شديداً وشهباً
وملائكةً شدداً غلاظاً لا يسمعون نحيلي وطققة أعضائي
واختلاجات جسمي
وكلما أردت أن أقطف من ثمرة
أو أنحزم بحزام الشمس اللماعة كان القاع صفصفاً
والناس نياماً فإذا ماتوا انتبهوا
وكلما مرت غيمةٌ دعوتها إلى مائدتي
وأقمتها على جثتي سنين عدداً
وأردت النزول إلى حافة الماء
غاض الماء
وقضى الأمر...!!

فصل

[37]

أنا

تائه أتفصد عرقاً وأتصيب رعداً شديداً وفرقاً
أراود نفسي عن الأمر والأمر
وأتلو سورة الكرسي وأحمل فوق ظهري أجنة الحلم وعناقيد
الغضب المشتعلة
وأحاول أن أرفع مجرة السماء تتساقط

أشلاء وجذاذاتٍ
فيهلك الحرثُ
والنسلُ...!!
كل خطوةٍ وردةٌ
وكل زهرةٍ
فضاءً!!

فصل

[38]

الهوامش

(1)

هي الزهرةُ الآن أدخل بين ممالكها
وأمدد جسمي الكليل الكليم
وأشرب من جرة الحلم
أقطف من جمرة المستحيل
الورود لظى والشموس - لظى - والعيون الأسيرة بالحلم كانت
لظى يتفجرُ
أو يخرج الورد من بين أطرافه ميتاً
خائفاً يترقب
هل كنت أنظر؟

فصل

[39]

دمي كان أخضر والمطر الطير
هل مرت الريح مغسولةً
في فضاء دمي
والظهيرةُ محلولةً في قميصي؟!
من أدرج الريح تحت ثيابي
وأدلج في الليل هذا النخيل
وأخفي البروق بجسمي

وعلق فوق ذوائب شعري النجوم؟
هي الزهرة الآن أدخل بين ممالكها
وأمدد جسمي الكليل الكليم
أكانت شقائقها كالدهان؟

فصل

[40]

كانت الريح مصقولةً بالعصافير في مطر الفجر
والأرض مغسولة بغرائز أعضائها
والشموس عليها سوار من النارِ
قبرة

وملاك يضمّد بالورد جرحي
ويطلقني...

في فضاء النهار..!

فصل

[41]

(2)

شجر في تراب البلاد الندى ثوبه
والمدى خيمة من غبارٍ
كيف جاء إلينا؟
واتشحنأ بألوانه
فالفضاء جرحه
والسماوات من عرشه المستعار؟؟
اركبي فوق هذا الرداء
- انتزعت سراويله من طقوس الرمال -
ناقتي كانت الريح
والأفق قافلتي والشموس دليلي
فاقطني وردةً من قميصٍ دمي
وردي على الأرض بعض الرداء!!

فصل

[42]

... اقطني

واغرسى نجمةً في سمائي
وكونى إذا أقبل الليل معبودتي وجحيمي
- امنحيني على الرمل
شكل الفضاء -
شجر في تراب البلاد
أكان الندى

ثوبه

والمدى خيمة من غبار؟؟

فصل

[43]

(3)

جسد يفصح عن حقلٍ مملوء بالحنطة
والأشجار
امرأة

تجمع جمار النخل

وتلقي لفراشات الضوء

شقائقها

هل من رجلٍ يعرفها

في هذي الساعة من غزوات الليل؟

طفل يتوضأ تحت ينابيع الشمس

ويقطف ورد الأنهار

ويحلم بسكيتته

هل من أحدٍ يعرفه حين يهز الصبح الأبواب؟

هل راود نخل عشاقه

أو قام إلى جنب مردييه؟؟

فصل

[44]

قمرٌ يرقد تحت الجذع
ويرسم تحت السرة شكل امرأةٍ خضراء تكون بلاداً وسماواتٍ

جناتٍ

وأراضينَ

وتفتح نهراً ما بين السرة والأشجار المتطاولة

على جسر النهرِ

ونهرأ

ما بين الأشجار المغروسة فوق السرةِ

والأحجارُ

من ينقذ قمر الماء؟

ويحمل عن بعض العشاق مواجدهم؟

فصل

[45]

هذا النخل الراقد بين الجنيات ومطر الليل الأحمرِ

كان الجسد الطيني نخيلاً وعيوناً

يتفجر منها الماء...

قمر يلقي بتحيات الوقت إلى الأجسادِ

وجسد يلقي بتحيات الأجساد إلى الأجسادِ

فهل من أحد يعرفني فيهم

أو من أحد يعرفها في؟؟

فصل

[46]

(4)

زهرة تان تشرقان من عينيكِ

والحروف دمنّةٌ

على الكلام...

والمدى شجيرة تظلل المتاه

هل رأيت نارك التي أشعلت في الظلام
أم شربت من معرة النعمانِ
كأسك الحرام؟
فارتويت...

وانسللت من خبائها
تريق قطرةً من السواد
فوق ثوبها المدهون بالعظام
والدماء

فصل

[47]

والحروف أمةٌ
تؤمها في كل ليلة ويسهر المداد في عروقتها
وأنت قائم تراود الكلام
عن كينونة الكلام
تمسك الحروف أن تميل
عن غيابة الحروفِ
والسؤال...

فصل

[48]

هل أذاك ضوؤها في وحشة الظلام
أم سكنت خلف بهجة الرؤى
دجنةً
تسح ماءها سدى على الرمالِ
أو تويجة - وحيدة - في غمرة الصحراء؟؟
أأشرقت بنور شمسك الخضراء غابة الحروف أم صليت في
متاهة البشر؟؟

أأورقت عيناك

حينما توهج الظلام

خضت في دما الكلام

أم رأيت وحدك الحروف أمةً
تطلُّ من وراء قهرها
فصل

[49]

وأنت بين الماء والصحراء تائهة
تكلم الكلام عله يصير وردةً
وتعصر التراب بالتراب
من أدراك أن الورد في نهاية الطريق والمياه
تحت أرجل الخيول؟
هل رأيت وحدك الحروف أمةً
وأرؤسًا

ميالة

في معطف الرياح
أو مغروسة في مقبض السيوف
والجسوم خرقة
من الردى؟!

فصل

[50]

وأنت قائم بالليل في المحراب
تفصّل الكلام
بالكلام
أو تداهن الحروف بالحروف
أم تفتش النجوم عند يشرب
وتضرب الرمال بالرمال
أم ظللت في سكونك القديم كالإله
تراود الكلام عن كينونة الكلام
تمسك الحروف أن تميل عن غيابة الحروف
والسؤال

والمدى شجيرة تظلل المتاه...!!

فصل

[51]

(5)

شمسٌ ويواقيت
امرأة تغزل من عشب السرة
شجراً أبيض
وسماوات
ونهارٌ يتفصد عن رغبات حارقة
ومسرات
زهراتٌ بيض
يطلعن عرايا وخفيفات
فوق الرمل المبلول الناعم ويحاورن القمر الصيفي الأبيض
ثم ينمن إذا انتصف الليل
وأخرج آخر نجم
شطآنه

فصل

[52]

جبال تغرق في هدأتها
- قائمة
كالأطواد
يمامات خضرٌ تغدو طالعةً من بين جلايب الماء وتمرق من فوق
حدائق قلبي
وسماوات
دانية
ترسم بالكحل عليها
لونَ امرأتي
وحبيباتي
جسدي يفصح عن رغبات
لا حد لها.

فصل

[53]

(6)

سيدُ الضوءِ

يزرع أرضَ المخافةِ نخلاً

وزيتونةً

وكلاماً

المدى زهرةً في يديه والفضاء الحطامُ

هل تكون الفلاة التي بين جنبيه ناراً

يصلى

لريحها أو يصومُ...؟؟

أم كتاباً حروفه من جحيمٍ

وجواباً

عن الجوع كان الفطامُ...؟؟

فصل

[54]

سيدُ الضوءِ

يقطف النارَ حيناً

وحيناً

يزركش الأرضَ بالموتِ أو يشعل النارَ في الريحِ

كي يستقيم الكلامُ

آه...

يا سيدَ الضوءِ...!!

أنت سميتني خائناً

وأنا قد تبعت خطاك

- ... فسلام لك من أصحاب اليمين

وسلام لك من أصحاب الشمالِ ... -

سلامٌ.

فصل

[55]

شجر الضوءً باسطٌ جرحه في يدك والمسافة مطوية في يمينك
والأرض تلك التي
لا تزال كما كانت عليها من الغبار ركاًم
فاقطف النار يا سيد الضوء
وازرع وردةً في قميص الرمال
المعبأ بالخوف
وانثر على الجبال دماك
...- ثم أذن في الناس بالجوع
يأتونك سعيًا
وعلى كل
ضامرٍ ...
يأتين من كل فج عميق
ليشهدوا كسفًا من رؤوس هوت تحت أعناقها
وبلاداً ..

يلفها في النهار الظلام

فصل

[56]

شجر الموت طالع في كل أرض
وعلى كل زهرة
آثام
والرياح اليواقيت موءودةً في فضائك
مثلما تقتضي الأيام
هل تستثير الرياح المغيرات صبحًا
والنجوم
الجسوم
في بردتك احتدام؟!
أنت سميتني خائنًا

وأنا قد تبعت خطاك

فالشمسُ

كانت طريقي

والأرضُ

كانت سماك...!!

فصل

[57]

(7)

أعرف أنكِ الأنثى

تناوش جسمي المنهوك بالأعضاءِ

والشهواتِ

تنسجني خيوط دمٍ

مفتتةٌ

وتجعل من قميصي الأبيض المغسول بالرغباتِ

مئزرها

ونفس قميصها المنسوجِ

بالرغباتِ

والشهواتِ

تدهسني إذا انحلّ النهارُ الأبيضُ المغسولُ بالرغباتِ

والشهواتِ

هذا الورد يجر حني

فتغمس قطنها المصقولَ

بين دمي

وعطر الليل

فصل

[58]

هذي الأرض ضيقةٌ

وواسعة عليَّ

ولا نزال على صراط الموت معتنقين

قرب شقائق الصبارِ
والصبواتِ
نبحث عن حظائنا المليئة بالوعول البيض
والشجراتِ
في دمنا نفتش عن خطوط الله والأسماءِ
نمسك يومنا المبتل بالمطر الجميلِ
وبالكلام الحلوِ
والزهراتِ
آيةً
وأيقوناتُ...

فصل

[59]

أعرف أن مئذنةً بحجم الريح
أن حمامة بيضاء
تهبط من فضاء الروح
- آيةً -

من الجناتِ
والأنهارِ
تعرض عطرها المفضوح بين دمي
وعشب الأرضِ.

فصل

[60]

(8)

يتوضأ شجرٌ أخضر بين دمي
وسماواتٌ بيض يغسلن عباءتهن على ساحل ذاكرتي
قمرٌ يتسلل في الليلِ
كطفل بريّ وينادمني
أتواطأ ضد الأوراقِ
وشجر النخيل وهذا النهرِ

وأحمل صرة موتي مثل القديسين
وأيقونات الرهبان
وأترك فوق سراويل الريح
قياماتي
وأودعكم مثل الملاحين
فتنفجر سماواتي
ناراً أو جنات
فصل

[61]

ويمر يمامٌ مثل الخلق كثيرٌ
أشعل فيكم بعض علاماتي
أمشي فوق الماء
وقطع النار
وآتيكم - محجوباً بالشوك
وبالدعوات
وأسكن فيكم -
فانتظروا أن تجدوني فوق جذوع النخل قتيلاً مغسولاً بالورد
وبالصلوات...!

فصل

[62]

طيراً مصلوباً يعبر بين الورقة وفضاء الورقة
وجهي في المرأة
- أغربة -
ووطاويطُ
جسدي يصبح أيقونات
وسماوات
تنضح بالخضرة والألوان
شموس يتقاطرن نجومًا
وبحيرات

وامرأتي مفتحة
في برجٍ من أحجارٍ أو نارٍ
فصل

[63]

أحياناً تصحو في الليل
فتغرس في لحمي وردةً حنطتها
تمزج ما بين البحر
وبين قطيفات السرة
ما بين السرة
والأيقونات
أفتش في ذاكرتي عن هذا النهر وهذا النهر
وأرسم فوق الجدران
امرأةً أخرى
من سعف النخل
وخبز الفلاحين
وأحجار البنائين
ومن شمسٍ مائلةٍ
فوق جنائن قلبي
وسماواتي...
فصل

[64]

أحاول أن ألمسها
ينفجر الليل شظايا
ومجراتٍ
هل هذي الأحجارُ من الورد وهل هذا الوردُ من الأحجار؟
هل أفتح عيني
أم أغلقها؟
وامرأتي...؟!
وامرأتي مفتحة

الخضراء أحياناً تسمى الوردية

فصل

[1]

زبدٌ يستعيد استداراته
ثم يغفو على الصدر والبطن والسرّتين
فهل تستريح النهارات فوق انكساراته؟
أم سماءٌ تخيم تحت انحناءاته؟؟
ربما زبدٌ يستريح إلى زبدٍ يستقيم إلى زبدٍ
يتعالى به الموج شيئاً
فشيئاً

يصير امتداداً لشمسٍ تعرش أفياءها فوق صدر من العاج واللوز
تأج

به يبدأ النهر والسهل بعض اقتراحاته
هل يكون سلاماً...؟
نداءً من الروح تشهق إثر اهتزازاته؟

فصل

[2]

خضني اللون

حين انتزعت القميص عن الصدر كانت يماماته تتأجج شوقاً
غواياته ينكشفن أمامي سهولاً
أدخل أم أترأّج؟؟
بان لي البحر
وانكشف الستر

هذا الذي تتغطى به الفستقات اللواتي تفتقن في الخضرة المطلقة!!

فصل

[3]

استرحت قليلاً
وأومأت للجسد البضّ أن يتبعني

كانت زهورٌ تنبت في القلب والراحتين
ونخل يساقط أثماره
حبة.. حبة (كلي واشربي ثم قري سلام عليك..)
ويسقط فوق التويجات تلك التي تتغطى بعطر السماوات
والأرضِ
نار تفك عراها
ونار بها تبدأ الأرض في الدوران
من...؟؟؟
قلت: وعِل يؤم رؤوس الجبال
ويبحث في القفر عن سوسنات
وظبي يطارد ظبية
.. سراب كثيف يغطي سماءً ورمل يطاردُ رملاً
وهذا هو الغور صدرٌ ووردٌ
أكان الرعاء انتهوا
والمضارب خلّت شواغلها
واحتمت بالقبيلة هذى النجوم المغيرات
ليلاً؟!

فصل

[4]

من..؟

استطالت وحلت ضفائرها تحت وهج الشمس
انكشفت لنا والنهار احتفى بالنهار
فمن نبه القوم للسانحات الجوارح؟
أرخت على الصدر والبطن والسرّتين خصيلاتها
فافترقن خيولاً
تطارِد من يقترب
وانثنى الجذعُ
بانت بلادٌ
وحطت شمسٌ

غبار أتى من وراء السحاب الشفيف وها هي ذي
كان ليل يخيم فوق الجبال
(.. فمن سيعيد انتماءتنا للبلاد التي هجرتنا)
وراحت تنكر أشكالنا
فوقنا

أو كنا هجرنا مساكنها
ثمَّ شعب به يسرح الأيل قرب العشيبات
نوقَّ تحت خطاها ورحل يتابع سير النياق العصافيرِ
ريح تحط على هيئة الطير
مثنى.. وثلاثَ ورباعَ...!!
فصل

[5]

قالت: سلاماً....
فأومأت للركب أن يتوقف
أصغت لها الريح والطير
والشمس دانت لها جنتين من نخيلٍ وأعنابٍ
ألوف من الطير ترقب
هذا أنا أيها الركب أدلف نحو المدائن مزلزلات رواجف
أغفت قليلاً
فأنشد بعض السراة:
(لا تقل دارها بشرقيّ نجدٍ كل نجدٍ للعامرة دار.. ولها منزل
على كل ماءٍ
وعلى كل دمنة آثار..).

فصل

وقفة

[6]

الصفائر مبتلة بالحرّاق والغيم سجاداتان من العشب والورق
الأبيض الداكن
المتراكض تحت السماوات والليلِ

والعينُ

غمازتان اثنتان تحطان قرب النوافذ والبحر
والشمس هذا القميص من الدم ألبسه
والفم والشفتان اشتهاات بعض العصافير في غسق الليل
والنهد - زنبقة - تشرئب على جسدٍ يشرئب على جسدٍ من

زجاج وعاج

وها أنت لؤلؤة بالتويجات مغموسة في غبش الصباح

والعاج

هذا الأسى المترجرج

يهتز أو يتوهج تحت يدي كفقاعة من هواءٍ حميمٍ
وينحل فوق رذاذاً ثقيلاً من الماسِ
واللؤلؤ الحامض المتعصرِ
والنرجسات.

فصل

[7]

وهذا هو الشعر مثل الخلاخيل والوردِ

من يستضيف الرياح له؟!

فالسماوات به يحترقن أساري

فهل أنت لي

مثلما أنت للماء والأرض

والخضرة الغامضة...؟؟

أم أنت كما أنت هذي المليكة

سيدة طلعتها من دمي نابتٌ

بين أرض المسرة والعشق

زاهٍ

نضيد...؟؟

فهل أنت لي يا امرأة؟

آه يا امرأة الخضرة الشاهقة..!!

فصل وقفة

[8]

يصهل الفرس المتوجس حين يطارده البرق
هل كانت الرغوة الجبلية ناراً تراءت لنا من فتوق الظلام
فأنست القلب
وانفرجت وردة
تتطاير أشلاؤها فوق أشلائنا الطافيات على جسد الماء
كنا انحللنا معاً
وانطرحنا على سرة الرمل
كانت طيور من الضوء والفضة المرمرية تعبر
ثم تحلق راقصة في الفضاء البهيج
افترشنا الندى جسداً
والمدى قمراً
يتفصد عن رغبة العشب في الانطلاق النهائي
ثم انطلقنا
وعند الصباحات كانت تظللنا كالحديقة
أجسادنا.

فصل [9]

ربما لم نغب زمناً
أو بعدنا عن الأرض
كل الزمان تجمع في قبضة اليد - مثل الوريقة حين تدحرجها
الريح
قرب النوافذ
أو عتبات البيوت
أو لمت وقتاً فألمت قلباً
وهيأت للزبد المتأرجح - نخلاً به يصعد الضوء سلمه..
فاستراحت خيول

وحطت طيورٌ على ساعد النخل خضرٌ وخضبت
الشمس أطرافنا
فانحللنا كلؤلؤتين اثنتين
تدحرجتا صوب غور المودة
ثم انعصرنا رحيقاً من الماس والخمرة المطلقة
والسمك الأبيض المتوحش...
فصل

[10]

هل كان خيطاً من الضوء يفصل ما بيننا
والنجوم التي تتراءى على ساحل البحر في الفجر؟
أم كان خيطاً من النار يجثم فوق أعنتنا ومدائن أجسادنا
قصباً
- من حدائق مغمورة بالتويجات -
حين تصفقها الريح
والنرجس المبتل
والخضرة المترعة؟؟
آه...

أعنا بنا تتساقط فوق أسرتنا وهوادج أجسادنا خمره
أو كنا افترشنا الندى جسداً يتفصد عن رغبة العشب في
الانطلاق البدائي
ثم انتفضنا
وعند الصباحات كانت تظللنا كالحديقة
أجسادنا؟!

فصل
وقفة

[11]

كأودية من جحيم حميم تهبط المرأة المستريضة في داخلي
ثم تطلق طيراً حبساً وراء الشبايك في غرف القلب تأخذها
برهة

هدأة

وتفك صفائرها المستشزراتِ على حممٍ من جحيمي الحميمِ

فقلت: ائذني لي

فقلبت القلب بين يديها

وكانت حمائمها سافرات

دوانٍ

يراودني عن دخول الحديقة فوق الأرائك والغيم

وازورت الشمس عن داخلي

فاحترقْتُ.

فصل

[12]

لمن كل هذي الشقائق مزدانة بالبنفسج في غبش الصباح

والورد في غسق الليل؟؟

كنت تحسست جسمي

فأزَّ طويلاً...

وفار على ساحل من دخانٍ وماءٍ

ومرت حمائم برية من فوقها الطير يلهو

دمي كان أخضر

وجهها كان أبيض مثل الشقائق في الصباحِ.

فصل

[13]

هذي العيون أساري

الشموس انتثرن حدائق من عنبٍ وأريجٍ

مودتها أم دمي شاهد فوق قمصان أحيائها

وغزالاتها ينتفضن أمامي عرايا

وفوق مشارف جسمي ينمن

وقد خضب العشق أطرافهن فجئن إلى بلا وحشةٍ

فصوبت سهمي لم يستجب لي

وصوبت طاش

وصوبت ثالثاً

- فاستراب -

وحوّم فوق جناحي الكليلِ الكليم.

فصل

[14]

وطارَ

وحطَّ

ارتدي داخلي

فارتدت..

وأرديني

فارتديت دمي...

ثم قلت: ائذني لي...

قالت المرأة المستريّة:

هيئت لك...!!

هـ

ي

ء

تُ

ل

ك

هيئت لك..

ما أقتلك..

ما أجملك!!

وكأوديةٍ من جحيمٍ حميمٍ تهبط المرأة المستريّةُ في داخلي.

فصل

وقفه

[15]

أمسك شجرةَ جسمي أن تنهارَ على شجرةَ جسمك

أتشبث بالجذعِ

وبالسرة
أتعلق فيك كما أتعلق في آخر أعضائي
أتمرغ تحت سماء بفضاءين
وأحلم تحت شمس بسماءين
أداهنُ جسمي بالغيوبة والصلوات
أفارقكم فيها وأفارقها فيكم
هل جسدٌ وطنٌ أسكن فيه أم وطنٌ جسدٌ يسكن في؟
أسرّح خيلي كالرهبانِ
مساءً
كي ترعى في أعشابك
وسماواتك.

فصل

[16]

هذا السهل الجبليّ
الزغبُ الرطب على أرض السرة
والرائحة البيضاء المنتشرة فوق مسارب جسمي
وخلايايَ
وأوردتي
أعشابُ الإبطينِ
يمام البر المتنقل فوق الجسد الجسر...
وتفاح النهدينِ
ورائحة الصندلِ
والعاج المحروق على جسدي المبلولِ
وهذي الأسماك - المتوحشة - الخضراء
الخليجان المملوءة بقناديل البحر
وزهراتِ البشنيين.

فصل

[17]

ألففُ جسمي بالرغبات المطمورة والآلامِ

وأختبئ وراء الأكمة
كالقط البري المتحفز
عينك الوردُ وزهر الآكام
أشبك وردة جسمك في سترة جسمي
أو أشبك
سترة جسمي في عروة
جسمك
أرفع راياتي المثقوبة بالريح
وبالدعوات
وأعلن عن فرحي
ومسراتي
أطلق آخر صيحاتي حول جزائر بدني المعتم
وسفائن جسدي الغارقة
وأدعوكم
أنفجر رماداً
ويواقيت.

فصل

[18]

لحظتان
وينفلقُ الضوءُ
ثم يعود إلى كوكبٍ من سماءٍ رماديةٍ والشموس به يحتفلن
أساري
الغزالات سابحةً في الفضاء الـ ... الغويط
وهذا هو الركب يأتي بعيداً... يطوف على كل وادٍ
- حتى إذا أتوا على وادي الـ ... قالت.. -
ترى قادها البرقُ
أم دلها النجمُ صوب طرائق من ذهبٍ وحريرٍ؟
قطاف من الورد والقرز
أينع في ركبهن

وزَّيْن لي وحشتي فانتبهتُ
- وطني على طرف قلبي فراشاً كليماً
- وما مسني من لغوب -
وحذرني بالسكوتِ انتبهت... لماذا أنا؟؟ ولماذا أنا؟؟

فصل

[19]

- أنا صاغر كالنيازكِ مغروسة في السديمِ القديم - ابتدأن كما
راقصات الملوكِ
يغنين لي عشقهن ويرقصن حولي فرادى
على خضرة من جنائن قلبي
وفتحن لي بابه فانحدرت
- ادخل الآن هذي الممالك مطوية لخطاك وأنت المليك بها
والملاكُ
استرحت قليلاً على البابِ
أوقدن لي شمسهن
وأوفدن لي نجمةً
مصطفأةً -

فحطت على طرف ثوبي القديمِ
وشقت قميصي
ترى هالها الجرح لما رأته وازدهت بالدماء الجوارح
شقت قميصي
وخاطت خطاي إلى خطوهن؟!
انفضحتُ إذن
وانكشفت أمام العذارى.
فصل

[20]

يا أنتِ...؟؟
أنا واحدٌ بينكن أسير
ضحكن

وأغرقني في بحيرة ماءٍ أجاج وأخر جنني
ثم أغرقني في بحيرة ماءٍ فراتٍ وغسلني بطيوب الحداثقِ
والأقحوانِ

فنمت

وقلت: ارجعوني إلى أهل بيتي كي يكفلوني
فنادت على جمعهن

وجئن فرادى

وأدنين لي قاعةً من مرايا
أذى لجةً أتخوض فيها؟؟ سأغرقُ
تحلقن حولي

وغنين حتى انتهى وصلهن إلى وصل قلبي.

فصل

[21]

- أنا نائم يا صبايا الجبال الطريداتِ

خلين بيني وبين متاعي القليلِ

- وصحوي -

فأيقظتني من رقادي الطويل وقلبت أمري

وكانت شمسٌ بعرض السماوات والأرض تهبط حولي قريباً

ومرّ يمام كثير

وحط حمامٌ على زهر قلبي

- سنابله يانعاً قطاف -

ونفض عن متنه جمرات الطريقِ

وأوعزت للقمر البض أن يتبعني

فهل أفرخ الآن هذا اليمام الكثير

ومن ذا الذي دله أن ينام على زهر قلبي

وفوق حدائق

جسمي

يقوم؟؟؟

الجسد شيخ الوقت

إلى إكرام عبد الحليم

فصل

صيرورة

[1]

الشمس صائرةً باتجاه السيد الجسد

وأنا صائر باتجاه السيدة الأولى

الأرض

ينصب الجسد خيمته باتجاه الروح وعلى امتداد السمع

والبصر والفؤاد

ويتنصب مثل نافورة

خضراء

وهو قائم يصلي في متاهات أوديته ونشوته

وعلى حواف محبته

كيف أبني هزائمي وأوجاعي على مرأى ومسمع منه

فلا هو يرتقي إلي ولا

أصعد أنا نحوه؟!

فصل

[2]

يتعب البحر من شجر الماء في الليل

فببكر شواطئ النهار

وأتعب من شجر البحر في الليل والنهار فأبكر كلماتي

وأنكفي على امرأة بعينها

فأكتبها فوق جنتي

وجحيمي

وأقعد تحت شجرة وحيدة فأستظل بها

- في نهار صائف

وفوق صحراء ضارية -

إلى أن يقول السيد الجسد كلماته
حتى أتعب من النظر والسمع
ولا تجيء أو تروح
فلا أعبأ بمن يجيء أو يروح.

فصل

[3]

أمسك بقميص الشمس والريح المضيفة المنطفئة
وأكتب فوق جسد السيدة الأولى الأرض
هنا كانت قيامته الثانية
هنا كانت تحولاته واخضراره
وزمن شروقاته وأفوله
وهنا ابتنى السيد فكرته
وأنا
واقف أرقب تحولات الجسد وانحسار الروح
عن شهوة السيدة الأولى
الأرض...

هل أنا صائر باتجاه السيد الجسد وفتوحاته؟؟

فصل

[4]

ترسم الشمس على جسد الذاكرة امرأة تعدو تحت سماء بيضاء
وليل شاسع بهيم ولا أحد
والمرأة واقفة تحت قرص الشمس
تنسج خوص النخل عرائس من زبد لصبيات يتوافدن على سلم
الذاكرة
عرايا

ناعمات الطرف

ومفتولات الجسد كالحراب
ويخرجن من كل جانب
وعلى جسم كل امرأة منهن وشم

من فراشٍ طائرٍ وقمرٍ محترقٍ والقمر يتسلق فضاء الحكايات
وجثث الذاكرة الهرمة
وفي ليالي الصيف المصقول بالذهب والفضة يأتين
وبنات الحور يصفقن على سعف النخل
ويرتمين كالحيات على جسد الأرض.

فصل

[5]

رغاء يخرج من إبط الشمس كالماسات ولا أحد يراه
سما تنفتح عن أولها وآخرها
فإذا المرأة تعدو
ولا تنكشف إلا لي
وعند رأس كل وردة صغيرة وتويج
تضع قمراً مضاء
وسماء مخصصة لشمسٍ مخصصة لا يدخلها إلا أناس
مخصوصون
ولا تنفتح
إلا عندما تشير أو تقوم.

فصل

[6]

جبالٌ شاهقةٌ تقيم صلوات غامضةً في انتظار امرأةٍ تعدو
وما بين كل جبلٍ وجبلٍ
متاهةٌ
ومغارات بأودية
لرجالٍ ونساءٍ كثيراً ما
يتقاتلون فيما شجر بينهم
عن أي امرأة هي؟!
وعند أي كوكبٍ تقيم
وتحت أي سماءٍ ترقص
ومن أي ذرةٍ تجيء

وعلى أي المهاري تقطع المدن والفيافي
أفي الليل أم في النهار
وما هو لون دابتها وفي أي صدقة تقيم طقوسها
وتخفي أسماء عاشقيها
رغاء يخرج من إبط الشمس كالماسات
وعلى جسد الذاكرة
ترسم الشمس امرأة تعدو.

فصل

[7]

كيف أحتفي بجسد امرأة ما وأصعد سلالها خطوة خطوة
وعلى تضاريس جسدها يكتب الزمن تصورات
وأخطاءه

ويعض أغنياته

إلى أن تحل المرأة - في جسمي - كالباقوة الخضراء

فأنفض عنها غبش الوقت

ورداءة الطقس

وتصدعات الجسد

إنها الفقد والغياب

وتراجع الزمن عن أخطائه وتخوفاته

كيف تتخطى أيها النهار حواجز الليل

وتتخطى أيها الليل

كوبيس النهار؟

بيتها: سلة من الورد الأبيض

والذهب الإبريز والزمرد الأخضر والأرجوان المدهون بالبن والطريق إلى بيتها

مشكاة غامضة ومداين لا يدخلها إلا إياي سأحتفي بها وحدي

أيها الليل

وبيننا الماء والنار

على قيد ذراع

وما لها من خبز عندي سوى زمردات الروح.

فصل

[8]

آيتان

تخرجان من صدف الوقت

- آيتها الجنة الجحيم والجحيم الجنة

علي من آثارك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت -

سأفتح - لك - الطريق إلى جسمها لترى ما لا يرى

الليل والنهار قبتان

تكشفان

عن صلابة الجسد

وتؤرخان للغاته الكثيرة وحضاراته المزدهرة ومفانته الليلكية المشتبكة

وقمم ثلوجه الغارقة الطافية

الجسد قرارة موجة

وبداية طوفان

وأنا أنتظرها عند بوابة المرايا

هيئوا لها عرشها

واتبعوني

إذن...

فصل

[9]

تهيئي إذن أيتها المرأة لي

واكشفي لي ما خفى من كتابة الليل وكلام النهار

تهيئي إذن واكتبيني

مثلما تكتب الريح أسماءها وشاراتها

على واجهات البيوت وشجر الحيطان ونوافذ الأرقاء وقوائم

الأسرى

إنها المرة الأولى التي أرى فيها امرأة بطعم السماوات والأرض

تعرفها من الرمز بالإشارة

ومن الإشارة

بالرمز
وهي موصوفةٌ لي وأنا موصوف لها
سيل مجازات واستعارات ولا تكاد تُبين...
المرّة الأولى التي أرى الشمس تجري لمستقرّ لها وتقعّد عند قدمي
امرأة ولا تأفل
- القمر لا ينام إلا متبرجاً وثملاً تحت أسرة نومها وفوق أرائكها
ولها عرشٌ بهيجٌ من الليلك واليوافيت ولها عريشةٌ من
الأرجوان الناعم والحجر الكريم -

وهي غير هيابة مني
ولا - هي - أوبةٌ إليّ.

فصل

[10]

كيف أدّثر بك أيتها المرأة
وأرعى قطعانك اللانهائية
إلى أن تفيح الظلال وينهزم النهار؟!
هأنذا أدّخرج إليك كالياقوتة المنجرحّة وعلى منحدراتك أقوم
كالمصلوب فأدعوك إلى جحيمي
وأقول هذه امرأتي رُدّت إليّ وإليها يرجع الأمر كله
هأنذا أكتب على جسدي:
أنت محياي ومماتي
تهيئي إذن أيتها المرأة
وعلمي شهوةَ الحضور والغياب
جسمك قبة غاوية ولها ألف باب
وباب
وأنا أظاير إليك كالفرّاش المبتوث
فلا أخطُ أمامك إلا وأنا جريحٌ أو كالجريح إلى أن أموت وأشهد
قياماتي فيك
وقيامتك فيّ
ولا أدلّ عليك إلا بكلماتك أيتها المرأة المتسرّبة ببقايا دمي

وكلماتي...

فصل

[11]

هل أصطنع لغةً خاصةً لا يشهد مولدها إلا إياي
ولا يفك رموزها سواك أنتِ
أيتها المستحمةُ ببقايا البرقِ
وكلام الأسرةِ
وشقائق النعمةِ
كيف آتى إليك في غسقِ الليلِ
وأصعد نحوك كالتائه الضليلِ
وأهيمُ مفاتيح جسمك بيديّ إلى أن تقوم الروح مترجلة ثملةً
فترجني رجاً
وتوقظني من سباتي العميق لتدخلني في غيابة الجسدِ
وهو ثملٌ وسكرانُ
فلا يقومُ إلا ليقعدَ
ولا يقعدُ إلا ليقومَ.

فصل

[12]

أما من لغةٍ واحدةٍ فأعرف بها مفاتيحك
وأفك رموز كلماتك
وأحصى عدد أوقاتك وفضاءاتك
أيتها المرأة:
كيف أزرع تحت جسمك شجرةً وحيدةً لتكون مقامي؟
وما من طائرٍ يطير إلا وعندها يتوقف ويتذكر حكاية الطوفانِ
هذه
وتحت سقف بيتها ينام نومةً بهيجةً
وثملةً
إلى أن تطلع الشمسُ من المغربِ
فتقول الشمسُ

لمن هذه النجمة المضاء المسترّة؟
ويقول القمرُ:
أيتها الشمسُ
يا مليكةُ
امرأةً بهذا البهاءِ
وتسكن في الأرض؟
أيها الجسد: هل ترثُ شريعةَ الأرض وتقيم نوافذَ النهار؟

فصل

[13]

إنه الجسد..
يفصح عن تأولاته وتنزلاته الليلية وشعائره
فوق بنايات الوقت المثلث بالجنون والحزن
ثانية...
كيف أكتب الجسد
وأدون فوق كثرانه وأراضيه أسمائي وشاراتي هنالك ثمة قارات غارقة
وعلى كل قارة نجمةٌ وحيدةٌ لا تشرق إلا بعد فوات الوقت
وعندما ينحسر الماء أجيء كطوفانٍ
يحمل أعشابه
وتخمراته.

فصل

[14]

هأنذا أطأ حوافّ القارات بخياشيمي
وأمد جسمي
فأرى سفناً ملقاةً...
تحملني إلى ما وراء الجسد وتنزلاته الليلية
وشعائره.
سأحمل في يدي مشكاةً
من حروف طافيةٍ
وخاصيةٍ بي

وأضع على رأس كل حرفٍ
هلالاً صغيراً يحمل قرصاً صغيراً من النهار
وكبريت الماء الأحمر
فيتمم بكلماتي إلى أن أعبّر المضيقَ
وأخطى حواجز الجزرِ
وأقيم مناراتي.

موقف الغياب

إلى عزة وهذا اسمها يكفي

فصل

[1]

شجرٌ من الدخان يزهر - أيطلى ظبيٌّ وساقِي نعامٍ -
وأنا أفتش في فضاء الورد عن لغةٍ أضُم حروفها
وأكون بين تويجها شمساً
تُعَمِّدُ في فضاء الكونِ
أصعد سلماً في سلم
أكذا سينفجر الرماد المر في حلقي
وتبدأ هذه الأفلاك في الدورانِ
والرقص الفجائي المغبش بالعماء الغفل؟
أدخل غابة اللباب
تفجؤني حروف غوايةٍ في جوف وادي القفرِ
هذي الأرض دائرةٌ
يظل فضاؤها المعمود يظفر بالرمادِ
اقتربنا؟

من يشق الآن في شفتي جناجر وردة سقطت وداستها الأيائلُ
والظباء النافراتُ رمت عليها من ركام الغور
أوردةً
تنز دماً
وتزهر ياسمينٌ؟

فصل

[2]

سماءٌ تنزف الآن...؟!
انفراطُ حجارةٍ مصقولةٍ بالموت
غابةٍ أرجوانٍ ناعمٍ
تلتف حول القلب
مائدةٌ من الزهر المضمخ بالخضار الفدّ يحضرها رعاة الله
سوسنةٌ
تشق جيوبها المحمرة الأحناء
ثم تفك في عز النهار الأبيض المغسول بالربغات مئزرها وتأخذ
في الغناء / الصفو
تنكشف اللآلئُ
والنجوم يطفن من خجلٍ فرادى
أو جماعاتٍ
ويغسلن الندى بالعطر
ثم ينمن...
فصل

[3]

هل ستخط من لغةٍ على جسم الكؤوس الخمر أو جسمي
شقائى من لغات النار؟
آخر ما تبقى من شغاف الفستق المغسول في رمل الأهله والنجوم
اطاولت شجراً
ومادت شمسنا بالأخضر المغسول في زبدٍ
من الزبد النديف البحرُ
هذا البحر ينزفني رذاذاً أبيض الأمطارِ
يغسلني من القدمين حتي القلب
أمسح فضة العينين بالإبحار
نهرٌ
غارقٌ

ما بين ملح الأرض والتوتياء.

فصل

[4]

أحفر...

سوف تنفجر الشرايين الخبيثة في دمي
هذا أوار حدائق مصفودة بالنار أدخلها تصفق قاصرات الطرف
من يصطف الآن في لغتي ويخرج من دما الجناح والأنهار؟
بين حروفها والعشق قائمة من القتل
حدائق من بحار الدم
تزهو عاشقين
النار تعرف أنها لغة مصفاة
وأوردة وقديسون
ترتيلات موجودين في قيظ الصحارى الشاسع الأطراف
والمأهول بالنسيان
والإضم.

فصل

[5]

وها أورادها اكتملت أنوثتها وصار لاسمها زبد كموج البحر
أفراس تطارد ظلها في الليل
ثم تخب في الرقص البهيج إلى أن تبلغ الأعراف طائفة وبين
سمائها والأرض جناح
وأنهار
وهذا الطير منجذب إليها قدر طاقته أدخل؟
هذه الحجرات من خرز ومن حبات رمان ومرجان وعاج طيع
الشفرات
أدخل...
من سمك هذا الاسم
أعطاك البهاء الفذ
والروغان

كنت أظنك امرأةً من الآس المكسر واللبان المر والشجر العتيق
تشد في يدها خيوطَ الفجر
بين عينيها نجماّت وبحر شاسع الأعراف
منفجرٌ بأشلاء النجوم.

فصل

[6]

الكلام الذي للجسد..
علامتان للجسد
ورملتان تضويان للأبد
واستيقظ النهار بغتةً
يرش ضوءه المبلل الصقيل في مفارق الجبال والنساء والبيوت
كلما

هممت باقتفائه
أموت قرب شهوة الجسد
أموتُ
قرب شهوة الجسد.

فصل

[7]

تواطؤ..
أعرف أن ذاكرةً لهذا البحر
أوراقًا ستنبت من دمي مثل اليمام الحلو والزهرات
أوراقًا

ستورق في دمي كحمامة بيضاء
وأعرف أنك الأنثى التي اشتعلت أنوثتها أمام الله
فاختارت طريق الأرض للفنانين
كيف هبطت نحو الأرض أيتها الصبية
كيف خاطبك الذين رأوك خارجةً لأول وهلة
كالنطفة البيضاء ذاهلةً
وشاردةً إلينا نحن أهل الأرض؟؟

أعرف أن أقماراً ستولد من دمي
وأن نجمتك الصغيرة سوف ترسل من أشعتها إلى قلبي بطاقة
عاشقين
وسوف ترسم فوق خرائطي بيتاً ولؤلؤة
سأسكنها
وأروقة يداهم خبزها الفقراء مثلي.
فصل

[8]

أعرف أنك الأنثى التي خرجت تداهمني أمام الله
يا الله

كيف استنفرت عيناك ذاكرتي
وراحت تغزوان مناطق الموت / الجليد
بداخل القلب المسجى بين أوردة الرصاص
وكتلة الطين المسمى بالجسد؟
ألهذه الأشياء ذاكرة
كذاكرتي؟

أم أنها الشمس الصغيرة
سوف تشرق فوق أغوار الزبد؟

فصل

[9]

كانت الأرض قاتمةً
والسماء سهولاً من البرق والرعد
والناس من فرّق يهجعرون البيوت ويستدفئون من الوقت

بالعشب

والجمرات

ويتخذون من النوم طاولةً لاحتراف الغواية

بالموت

قلت:

أهجرهم وأبعد بيني وسوءاتهم

كانت الأرض خاويةً
غير أن دمي كان يعبرها كشريطٍ من الحزن أسودَ
والبسطاء
يصرون مثلي على الفقد والروغان
وينسربون كآنيةٍ من دماءٍ وماءٍ ...
أكلهم
يلجؤون إليّ
ويسترجعون عذاباتهم
فوق جسمي الكليل الكليم
وكنت أنا الشاهدُ الميتُ الآن في هوةٍ أتحدّرُ نحو متاهاتهم وأفارق
جسمي الكليل الكليم أبارك راياتهم
ثم أغرس في حبة القلب أشجارهم.

فصل

[10]

هجرة..

في الصباح

تغادر مملكة الطير والكائنات مواطنها
وتفتش عن حلمٍ ناصعٍ ومواردٍ أخرى من الـ... رزقٍ
والفيضانِ

من الماء والظل

تهجر بهجتها في الليالي الدفئيات
كي تتلف بالبرد والرغبات الأثيمة والحب
تلتف حول شقائقها اليرقات

ويتنشر الناس في الأرضِ جوايين

هيايين

وفي الفجر

يهجر كل السكاري مواجدهم ومسرات أوجاعهم
ثم تبدأ في الطفو والروغان
وترتج في الردهات القصية من غرف القلب بعضُ احتراقاتهم

أيهم يبدأ الآن نوبته في التذكر والصحو
أنا أم دمي؟
أيهم يترجل في حلمي ويفرق بين دمي وحدائق جسمي؟
أيهم يتأهب للصفو والسفر المر؟
حين نحزم أوجاعنا ثم ننسى حقائب أحلامنا
في زمان التسكع والقهر
هل حان وقت السفر؟؟

فصل

[11]

طراد..

يبدأ الجسدان مساءهما باحتفالٍ مهيبٍ من الرقص
والروغان
وينحدران إلى هوةٍ
من سماء زجاجيةٍ وطيورٍ
ثم ينقبضان وينبسطان كلؤلؤةٍ تتدحرج في آخر القاع والليل
والتويجات كاسيةٍ عري جسميهما في سكونٍ شفيفٍ أليفٍ
كان برقٌ
وكانت سماء رماديةٍ وشموسٌ
وبحرٌ من البوص والعاج
هل تتخوض فيه الأهلة واللجج النجم؟
والسمك الأبيض المتوحش يرقد في سندس القاع مختبئاً عن
ملامسة القاع
والدوران على ساحل من زبدٍ
والجسدان الأليفان يغوصان حول بعضهما ثم ينحدران
وينعقدان
كمئذنةٍ تشرئب على لجة الماء
كان طير يرفرف في آخر القاع والسفح منفلتاً من هبوب الرياح
ومنطلقاً في فضاء الحديقة
مصاعداً للأبد..

فصل

[12]

مداومة..

كرائحة الزهراء الصغيرة والعشب أذكر وجهك
أنت الخضراء المجلوة كيما مات الدغل وعصفور الماء فكيف
ألاقيك؟

من أيقظ الطفل هذا البريء المشاكس قرب النهرات في غسق

الليل

أطلق للبرعم المتشبث بالجذر نشوته فاستوى
ثم مال على سوقه فانحنى للرياح اللواقح من كل صوبٍ
وخضبت الشمس أطرافه بالنجوم القصية والطل
أشرك فيك الذين أحبك قبلي فأفرح
أسمع وقع خطاك فيهتز جسمي
أنت البيضاء الحلوة والمجلوة
هذا دمي يتشابه فيك أهلاً
(هل - لي - لو - يا)
(هل - لي - لو - يا)

وأعرف أنك مثل البحيرات والجرح قادمة من عصورٍ خلت
فادخليني إلى جنة عرضها السماوات والأرض ثم اصطفيني
وكوني

إذا أقبل الليل محبوبتي وبقيني وقرّني

سلام عليك.

فصل

[13]

استرحت قليلاً

وها أنت ذي تصرفين الرياح اللواقح
أو تركيبين المهارى السلالات تركض كالطير في كل وادٍ

سحاب كثير يمر عليك

يلل رجلك بالماء والبرق

والأرضُ
صاغرةٌ بانتظارك..

فصل

[14]

حال القبض على الجمر..
أثقل على حمأ من النيران والصحو
وأمسك بجذر شجرة الموت العتيقة وأهزها فرعاً فرعاً وورقةً
ورقةً..

فيساقط الرماد حمماً على عيني
وتأخذني براءة الحلم والطفولة المترعة العابثة
وأنزع عن عيني حدقاتها الفسفورية الغامضة فأبصر
وأرى:

أجنةً تخرج من بيوت أمهاتها
وهي في الأرحام مخبوءة وغير آمنة فيهلك الحرث والنسلُ
الشموس كراتٌ من الدم
ملفوفةٌ

في غلائل السماوات والأرضِ
من فرقٍ تتشظى لهيباً أبيض الدوابات
وتنتشر في كل واد يهيمن فيه وفيه يسبحون بنعمةٍ منها
ومتاعٌ إلى حين.

فصل

[15]

كتبت على جسمي العذاب
وكتبْتُ على جسمك الرحمةَ
وكنت أقول للوردة
أنت جزءٌ منها
وللشمس أنتِ هي
وللقمر هل قدرناه منازل حتي عاد كالعرجون القديم
ليسكن في آخر برجٍ من أبراجها المضيئة المنطفئة المنتشرة فوق

حدائق الألوان
وفي قبة من قباب الروح الغامضة
الهاربة؟

فصل

[16]

لماذا إذن تهجريني وتفرقين بيني وبينك وأنا كشجرة
السنديان العتيقة
فيك محياتي ومماتي
وكنت أقول
أنت لي
فتهجر - هي - بهاء الجسم وتغادر دوائر الإمكان والقوة
لتسقط في دوامة العشق والقطيعة
هل لها من عشيق بهذي المدينة
لتهجرني من أجل فضائه
وشجرات محبتها الغضة الصغيرة محبوبة لي
وساكنة في إلى أن أموت؟؟
ولماذا أشق على نفسي من الحزن - إذن -
وأنا أحج إليها آناء الليل
وأطراف النهار؟
تسرقين مني شجرة الحلم
فتورق في زهرة المحبة.

فصل

[17]

آتيك مسرعاً وجامحاً
والرغبة فيك يمام يتقاذز فرحاً وأنت تعرضين عني
وتبطينين
أطلق نحوك فراشة الجسد الخضراء
وسلالاتها التي لا تعدّ

فتغلّقين دونك الأبواب
كيف أنفذ إليك والمسالك وعرةً والطريق موحش والجبال
ذؤاباتها من دماءٍ ونارٍ؟!
هل من لجةٍ أتخوض فيها وحراسك كثيرون
ولا حول لي
أو قوة...
هل نهاية المودة موتٌ
وبداية المحبة
معرفة؟

إذن اشرحي لي كيف أفرق بين الموتين
كيف أفرق بينك وتلك التي لا أعرف منها سوى بيتها؟
كنت أخط على جسمي حروف جسمك المشتعلة
وأهش عليك بكلماتي
آه

أنت لي
أيتها السيدة الأثمة القلب.

فصل

[18]

الغيوم الغائبة تغيب عن عيني وأنا أنظر إليك
وأبارك فيك المسرة
وفي العالم رغبة الحنو والمحبة
فهل تجددين في بقية الأضداد وتناسل الأمم من قبل ومن بعد؟!
آه...

يا سيدة الزهر والسماء اللازوردية
والنجوم العالقات المنطفئات بآخر القاع والليل
هذا جسدي
يتشوق إلى جسديك

وملايين النساء غيرك لا يغنون...!!

فصل

[19]

أنت واحدة وأنا أول العاشقين
وآخر الذين يفنون ويسعون إليك رغم حمم الألم وبلوى الصبر
والوجد
هل تشرقين عليّ وأنا مشرف على الغرق والغيبة أم
تتلفعين ببرنسك الصوف
وحولك الغرقى وأبناء السبيل من كل فج يأتون إليك
ويلتفون بك
وبك يعرفون أول الصبح من نهاية الليل
ويطوفون حولك
فيسبحون باسمك
ويجعلون من دمهم بخور المودة وبداية الاتصال والمعرفة
أم أنك في الوقت الذي ستشرقين فيه ستطردينهم فينتشرون على الطرقات
كجدوع نخل خاوية
ويسألون عنك كل سائر وعابر
أين الطريقُ إلى حيث يسكن النور؟
فصل

[20]

شجري يسأل عنك كل عابر وواقف
وأنا أسأل عنك كل شاهدٍ وعارفٍ
ودمي يسأل عنك كل حاضرٍ وغائبٍ
فأين هي حدودُ المتاهة من حدّ الرؤيا والمشاهدة
وأنت أول القبيلة وآخر القباء
وهمو من حولك جدث ونشور؟ قلت: أسأل عنك من رآك ومن
لم يرك
وأسأل عنك قطرة الماء وطحلب البحر والغيم

وفلذة الأكباد والأحشاء وجنيات البر والبحر
وعرائس الحلم وحنوط الموتى
وكواكب الزهرة والشعري وأتبع خطاك إلى أدنى الأرض
فما دلني أحد - منهم - عليك
وأنت أقرب إليّ من حبل الوريد وتسكنين قاع العين ولكني لا أكاد
أبصركِ

بين حشائش القلب وشجره الكثيف الملتفّ
وما دلني أحد - منهم - عليك إلا دابة الأرض وهي تأكل منسأتي
مرهبة أنت يا حبيبتى
كجيش بالوية
ودروع.
فصل
[21]

تخرجين إليّ من الحلم
وأخرج إليك من فضاء الذاكرة والعيان
وتكتبينني ورقة خضراء فوق منازل القبيلة والشمس
واكتبك علامة على الموت والقيامة
فكيف أفرغ إليك وأنا
لَمَّا أزل أبحث عنك على شواهد الموتى وحدقات الأحياء
وبين حروف كتبهم الفارغة
وتمائيلهم المعجونة بفجيعتهم فيك وخوفهم عليك وتمائمهم
وصلواتهم خير شاهد على ما أقول
فرغ الصبر إلا منك ولم أعد بحاجة إلا إليك أيتها
الشاهدة الغائبة القوامة اللوامة
متى تكشفين عن نقابك لي؟
فسوف آتيك سعيًا
ومن حولي كثير من الناس والخلق يشهدون.

فصل

[22]

بك أفرح وإليك يكون تمام حلمي ووصلني
وأنتِ على ما أقول شهيدة
كيف تمرُّ طيورك عليّ
وهي مختلفة الألوان والشرائع
ولا تسألني هل بك حاجة إليّ فلا أقول لهم
إلا أن تتوقف عند منازل الرحمة وشواهد المعرفة وأن تأخذ
قبضةً بيمينها
وترش على قلبي بعضاً من طعم الرحمة ومسك الخلاص
لترد إليّ بقية من ظمأ الروح وعصف الخواطر
والقلب عندئذ يتصايب
فتميد الأرض وتندك الجبال دكاً
هل أنتِ لي مثلما أنت للماء والأرض؟!
ماذا أقول للأصحاب أيتها السيدة
وأين هو وصلك الذي به تعدين؟!

فصل

[23]

هل أقول لهم:
إنني خارجٌ من دهشة الموت وأنت خارجةٌ من براءة الحلم
وحانات الطفولة
المزدهية بنفسها؟
أم أقول لهم
نسيّني على شجرة المعرفة وحيداً كطير أخرس وأعمى
فلا هي تبصر ولا هم يسمعون!!
شهد الخلق أنه لا امرأة غاوية غازية إلا أنتِ
ولا جمال إلا وبه قبضة من جمالك

أراني أنظر إليك
أرضك ملغومةً بالنعمة وأرضي عطشى إلى الماء
فكيف لا تفرطين أرضك على سمائي فيتم الفرح ويحدث السرور
وتزدهر حدائق الرمان والزيتون والأعناب والنخيل
ولا يتبقى لنا من العتاب شيء
لنتوب إليه؟!

فصل

[24]

كشفتُ عنك غطاءك فإذا أنت غاويةٌ وإذا أنا شيطانُ
وكتبت على جسمك حرفين اثنين
فاشتبكت بقيّة الحروف وانكسر الألف على الياء وانتهزتُ
فرصةَ المشاجرة
فانسَلْتُ من بين غابةِ الدماءِ
فإذا أنا هالك إلا وجهك وأنت كما أنت من كل غاشيةٍ
تخرجين

ظافرةٌ

وتطلبين كلّ عاشقٍ جديدٍ
ساء من يحكمون عليك بالقطيعه والهجر
وساء من يحكمون عليّ بالجنون...؟!
فصل

[25]

قلت:

أخرج إلى الصبح وقناطيرِ الريحِ المقنطرةِ
والليلِ الراجفِ الكليمِ
... لعلّي آتيكم منها بقبسٍ
فما وجدت غير شجرتي لوزٍ
تقفان وحيدتين في الفراغ وتحكي إحداهما الأخرى

أيتنا يزهر قبل مواسم القحطِ
والجفافِ؟
فتبسّمت ضاحكاً من قولها وقلت:
من يدلني على شجرة الخلدِ وملكٍ لا يبلى؟

فصل

[26]

فكان أن كنتِ واقفةً
كزهرةٍ
بريةٍ
وحيدةٍ
بين صحراء العالم المتوحشة ومدنه التي لا تنسى

تنادين عليّ
وتمسكين بقميصي

المبلول
بالخوفِ

والفزعِ
وأنت آمنةٌ وجميلةٌ.

فصل

[27]

ونظرت فإذا أنت قدّامي

وورائي

وخلفي

وعن يميني وشمالي

وتسكنين قاع عيني

ونظرتُ فإذا أنت الشجرُ والماءُ والجبالُ والوديانُ

والجناتُ

والأنهارُ

ونظرت:

فإذا أنتِ كل شيء
ومن وراء كل شيء!!

فصل

[28]

هل يدلها أحد عليّ
وأنا واقفٌ على جبلٍ عالٍ من النار أتفصد عرقاً وأتصبب دماً
غزيراً

أنت حمامة بيضاء

- بجناحين مشتعلين -

وحممت حولي وعلت علواً كبيراً وفي منقارها غصن من
الزيتون

يقطر براءة وحلماً

والرياح تتعجلها أن تباعد عني
وفي كل مرة تهبط على رأسي وتأخذ بيميني وأنا منجردٌ

وساهم سهوم الموتى

وأطفال الحلم

فقلت:

هل أدلك عليها؟

قلت: رحمةً بنا ومتاعاً

إلى حينٍ...!!

فصل

[29]

مرهبةٌ أنت يا حبيبتى كجيشٍ بألويةٍ ودروع
تخرجين من توقد الذاكرة وارتطام الأفلاك بالأفلاك وعند

مصببات الأنهار

تخرجين غزاةً ظافرةً

تحل ضفائرها المستشزرات على حمم من جحيمي الحميم
وتعدُّ عشاقها بجسمها الأبيض المغسول

باللبن

وتتوعد من يحاول الإمساك بها

والاقتراب منها

بحوافرها التي تطق شرراً

وحتفًا.

فصل

[30]

على جسمك المغسول باللبن الأبيض يكتب العالم أخطاءه

وتبدين عشقك لعشاقك ومجانينك

فتنتسبُ الشمس إليك والقمر يواصل تصوراته وتخيلاته

وعلى جسدي تكون زلزلة القيامة ورجفة الموت وعمق الفجيعة

وجنون التوق والانعقاد

أكتبك شجرةً مزدهرةً فتكتبيني ورقةً ساقطةً أتقرب إليك

شبراً فتبعدين عني باعاً

وأتقرب إليك باعاً فتبعدين عني سنواتٍ وفراسخ

وكلما آتيك بالصحو والصفو

تشبكيني في قميص الريح المتناثرة شظايا وأشلاء في سموات

لا أول لها ولا آخر

أعدك بالعشق والمودة

فتعديني بالقطيعة والموت

قلت: أكون حكيماً أما هي فبعيدة...!!

فصل

[31]

لماذا تتحلون بأساور من ذهبٍ ودمي

حول رقبتكنَّ وصدوركنَّ وخصوركُنَّ وخدودكنَّ أبيضُ وأخضرُ

وأحمرُ

وعلى كل لونٍ
وأنتن تقمن بيني وبين حبيباتي
سراقات الألم
وسواحل الذكرى
فعلى أي جانبك تميل أيها السيدُ وهي من أمامك الرحمةُ ومن خلفك
العذابُ
والتهلكةُ
لم أنم
وملء عيني محبةً
ولم أقم
ولها عيان وشهودُ.
فصل

[32]

قصدتُ إلى البابِ
فمنعني الحرسُ الطائف في المدينة وقصدت إلى القصر
فمنعني الحرس الطائف بالباب فماذا أفعل
ولم يتبق لدي من الزاد سوى الوجع وعصارة الأحداقِ أعجن بها
جمارة الروح
وأخبز قطميري على نار قلبي لعلني
أسد بها رمقي يوماً أو بعض يومٍ
وهأنذا مغشي عليّ
يرجمني الصغارُ بالحجارة والأطفالُ يضحكون مني فلا أبالي
كدت أياأس وما وصلت
أجدل من ضفيرة السماوات سلماً
وأرتقي إليك درج الصلواتِ
هل أجدك عند قبة السماء؟
أي نار تكونين أيتها السيدة فنعرف كيف نتقيك
أو نحتمي بك منك؟!

فصل

[33]

وها هو ذا الطريقُ إليك حاسم وقائظ ولا من يدلنا عليك أو يصفك
فتتوسل إليك مرةً بعد مرةٍ ...
وصرةٌ خبزي سرقها اللصوص ... ها هو
الظلام حالكٌ وهالكٌ
وما من نجمةٍ تبزغ أو تلوح في الأفقِ
فتتفادى المسالك الوعرة
والشعاب الضيقة الحرجة المحروسة بالوحوش والصقور
وليس لنا من رفيقٍ في هذه الرحلة الشاقة
سوى قطرات الدم المتسرب
على أطراف الصخورِ
وقمم الجبالِ
وأنتِ
أين هي مكانك فنصعد إليك.

فصل

[34]

هدأ الليل
وما من نائمةٍ أو دابةٍ إلا وتأتي إليّ وتسالني وأنا قاعدٌ في مكاني
- إلى أن تقوم الساعة -
وفيك يختصمون
أرني أنظر إليك
ألم أقل لك: مرهبةٌ أنت يا حبيبتى كجيشٍ بالويةٍ
ودروع؟
أزرعك على بابي نجمةً
فتزعيني شجرة صبار على شواهد الموتى
وآتيك بالمودّة
فتصرين لي الألم والإثم

وأنحت اسمك على كل خليةٍ من خلايا جسمي
فتمحيتني من الذاكرة
والحضور
أليس لديك غير الغياب؟!

فصل

[35]

قلت:

أهجرهم وأتوبُ إليك
فإذا بهم يتشبثون بخرقي البالية وأسماي الرثة
وسراويلي
الباردة
الجافة

ويتعلقون بقمصاني المحبوكة على دمي

وخرابي

غارقٌ أنا لا محالة

أما من عاشقٍ واحدٍ فنسأله...؟؟

ومن بين أيديهم وأرجلهم تخرج النار كالمهل

فعلام تتعجبون يا أصحاب المواقيت

والناس؟!

فصل

[36]

ها هي تأتي كجرح يمشي على قدمين

فتسبقها الريحُ

وهأنذا قد جمعت لها الشمس والقمر فكانا رفيقي جسدٍ

أما الأرضُ

فكانت بساطاً من الماء الأخضر يُفرد ويطوى كل حينٍ بإذنِها

والناس يخرجون لتحتيتها من أكوأخهم الصغيرة

ويبوتهم الرطبة الواطئة

الجافة

فعلام تتعجبون ولا تبكون وأنتم سامدون

كالخشبِ المسندِ

والجدرانِ المتهالكةِ على نفسها...؟!

فصل

[37]

من يعصمني من الجنون فأحمل له الهدايا وأقدم له القرايينَ

وأكون أحد عبيده الموثوقين؟

قلت لها: أنت راحمةٌ وسحبتُ فوقِي غطائي ونمتُ

فإذا بي مصلوبٌ على جذوع النخل وفي مداخل البيوت والطرقِ

القديمةِ

والشمس تزور عني

فتقلّبي ذات اليمين وذات الشمال

والقمر لا يتهياً إلالي

والقصور زينت أبوابها وفُتحتُ وأنا في الفراغ أتلوى من الألم

والجوعِ

أراني:

أحمل فوق رأسي خبزاً تأكلُ الطيرُ منه

أراني:

في حدقات العيون منبوذاً وبه تقيحات

وفي كل وقت أعرف حرسك وعبيدك وجواريك بسيماهم

وهم يعرفونني بجنوني

ومتاهات روعي الضالة وقلبي الأثيم

من يدلني عليها أو يدلها عليّ

فأعمل لديه أجيراً؟!

فصل

[38]

وسمعت صوتاً يقول لي:

كسفينة غارقة
- على القاع -
تظل هكذا أبد الدهر
كشجرة زيتون
طرحها ناضج وغير حامض
ولكن لا تجد من يأكله
كظلة أنت
فرعها ثابت وأصلها في السماء
وهي تسير تحت حائط الشمس
والقمر الصافي
وتظل تبحث عن مثال
أما أنت فلا تنظر إليك.
فصل

[39]

غناك في نفسك فلا تبتئس وكن للمحبة بيتاً
من يسكن إلى جوارك وأنت غائب
ومن يسكن فيك وأنت غائب
هل يكون الغياب سمةً من سمات حضورك؟!
فصل

[40]

بيت من هذا الذي تدخله فلا تسلم على أهله وتقول
امكثوا...!!

من أين خرج حبيبي وما هو ميعاده؟!
فلا يكلموك فيما شجرَ بينهم وأنت عاتبٌ وغاضبٌ؟!
فصل

[41]

أكذا ستزرع الرماد في كل واد وتبني سفينة من الحسك
والشوك لتجوب بها البحار والآفاق؟

من يكون هذا الذي عَلمَهُ فوق رأسي محبة وشمسه على صدري
مودة وشعره يميني
ويده شجرة حنطةٍ وحدائق زيتون ورماني وكلما قطفنا من ثمره شيئاً
نقول هل من
مزيد؟؟

فصل

[42]

دخلت إلى بيت الخمرِ وقلت للساقي:
أريد خمرأً
فدلني عليك
وأخذت أشرب حتى مطلع الفجرِ
ولمّا أرتوي بعدُ
فقلت:

يا ساقِي...!!
أنت مجنونٌ وأنا ثَمَلٌ
فمن ذا الذي يقودنا إلى المنزلِ؟؟
فتبسم ضاحكاً من قلبي
وأشار لي عليك.

فصل

[43]

قلت: ابن لي بيتاً أدخله وقتما أشاء وأخرج منه وقتما أشاء
وليس لي عليه من حرس ولا له من جدرانٍ وبه يحل فرحي
الداخلُ إليه كالخارج
والخارجُ منه كالداخل
وليس بيننا سوى الهواء أنسجه قطيفة لجسدها وأعروش به عليها
وأسقيها بيدي وأسمع لكلامها ولا يحجبني عنها...
إنس ولا جانٌ
ولا تلهيني عنها صلاةٌ ولا فلاةٌ

فتركني الخمار وغلّق باب الحانة عليّ
فقلت:

من يدلني على شجرة الخلد وملك لا يبلى...؟!
فصل

[44]

واصطف الناس في الشوارع
وأنت أمم من كل فج
ليشهدوا عرس حبيبي...!!
أما أنا
فكنت أطرقع الهواء وأخصّف عريي من الشمس
بالماء

وأدحرج الأرض بقدمي
وأدحرج على بقع الثلج الجهنمية
وأصرخ فيهم كالمجنون:
ابعدوا عني يا جميع فاعلي الإثم...!!
ابعدوا عني يا جميع فاعلي الإثم...!!
فصل

[45]

وسمعت صوتاً يقول لي:
تشبث بالهواء واكتب على كل فرسخٍ من فرائس الأرض
اسمها
وأسماء عشاقها
ولا تتعجب...!!
فتلك سنة أمم قد خلت من قبل
وإنما عليك أن تتبع الأثر والخبر في كل بيتٍ تحل فيه
وكل عينٍ ترد إليها
وكل نجمة تضيء أو تنطفئ
إنما هي من نجومها التي لا تعد

ولا تبح بسرّك لأحدٍ
فتهجرك سنين عدداً
إلا ما شاء لها اسمها وأرادت المشيئة فحزمت أمري وكتمت

سري
ولم أبج به إلا لنفسي.
فصل

[46]

ووجدتُ دخاناً كثيراً
وظلمةً
هالكةً
حالكةً

فقلت: ما هذا؟؟

فقل لي:
طقسٌ من طقوسها
وعلامَةٌ على الغضب والشماتة
فقلت:

أصلي لها ركعتين متى ترضى...!!

فصل

[47]

أنتِ واحدة وأنا وحيد وليس مثلك شيء

ولي
على كل حجرٍ دمةٌ مشتعلةٌ ووجهٌ
ولي

في كل بيتٍ مثالٌ

وبين كل لحظةٍ وأخرى تخرجين على أجنة الحلم بعدد الحصى

والنجوم
وفيها من كل
زوجين اثنين ولا أبالي

وهأنذا... أصنع من جسدي خميرةً لجسدك وبرتقالةً بلا مثالٍ
ومن دمي أيقونةً وسواراً لمعصمك وأقول للريح:

هذا هو حبيبي
فتحملك كالفلك وتسري بك إلى حيث تشائين
وللشمس: هذه هي امرأتي
فتحنو عليك وتظلللك إلى حيث تذهبين
فماذا أصنع وقد استنفدت كل حيلة لي
ضعف الطالب والمطلوب.

فصل

[48]

أهتف:

يا فضة النهارِ ويا زبد البحر
يا شرقة السماءِ
والأرضِ
يا سواقي الألم
ويا أشجار التوت
والنخل
من رأى منكم وجه حبيبي
فيدلني عليه
قد شغفني حباً
ولم أتخلص بعد من إساره وأسرهِ.

فصل

[49]

إنها الموجُ
والزبد...
الحقيقةُ
ونقيضها
النهارُ

والفضاءُ
وثقُبُ الإبرة..

فصل

[50]

حين يبقى الحجرُ صديقاً لي
والحيواناتُ الكاسرةُ

أنيسي

ماذا أفعل؟؟

غير أن أعبر السماء من أيّما جهةٍ ومن كل جهةٍ

والأرضَ

أدحوها كرةً

وبالونة

توشك أن تنفجرَ

وأسوى من الطين كائنات

أخرى

غريبة عليّ.

فصل

[51]

أصنع شمساً وهالين

لامرأةٍ

لا تفيق إلا بغتةً وتعود لسيرتها الأولى ولا تليق إلا بي

هل قابض أنا على الماء

والنارِ

في آن واحدٍ

فأعجن الروح في خميرة الروح

والزمن

ألبسه خرقةً

باليةً

وأدور به في الطرقات كالضالين
إلى أن تنهزم الظلالُ
ويفيح النهارُ
وأراكِ
آتيةً
ومشرقةً
كجيش بالويةٍ
أتدلى إليك فامسكيني
لئلا أقع في الهاوية...!!
فصل

[52]

أجيئك مليئاً بالإثم فتحملين إليّ البراءة ومعفرأ بالترابِ
فتمسحين عني الأوساخَ
فكيف يكون لمثلي أن ينظر إليك...؟؟
أشهد على نفسي بالمحبةِ وعليك بالقطيعةِ والهجرِ
أشهد على نفسي بالقربِ وعليك بالبعدِ
أشهد على نفسي بالأسرِ
وعليك بالحريةِ
أشهد على نفسي بالرجسِ وعليك بالطهرِ
أشهد على نفسي بالغيبِ وعليك بالوجودِ
أشهد على نفسي بالغيابِ وعليك بالحضورِ
فهل بعدُ ثم شهادةٌ؟؟
فصل

[53]

أبعثر الهواءَ بالهواءِ
وأخيط اسمكِ
باسمي
كاف

ها...

يا...

عين

صا...

فلماذا تكتبيني في حرف الياءِ

وأكتبك في حرف الألفِ

والمدِّ؟!

وآتيك هرولةً

ولا تأتين إليّ سعيًّا؟!

كيف أصفو إلى الحلم

وأصف لك الرحلةَ

والبهارُ التي بيننا ضاريةٌ؟!

والمراكب التي تحملني مليئةً بالريحِ والشراعاتِ ملآنةً بالثقوبِ

آه...

ليس من طريقِ

سوى الغرقِ والغيابِ...!!

أشياء صغيرة

تقاطعات

فصل

[1]

بين وجهي وسرة هذي السماواتِ نخلٌ وخيلٌ
من الحجر الصلبدِ والريح
والشمس تشرق في داخلي وتمر بأطراف أثوابكم فتفيض دماً
وأفيضُ
أنا العاشق المتفرد نخل بلادي وليلَ بلادي وشمسَ بلادي وقهر
بلادي
فماذا عليكم
وهذا قميصُ من النار ألبسه
فتمرد المدائن بالهالكين
يجيء دمي مثل أيامكم
حارقاً
وتخر الصباحات صرعى كأعجاز نخلٍ
وأنتم سكارى حلم.

فصل

[2]

اسكنوا داخلي
واشربوا من توابيتِ أحزانكم
وارفضوكم معي
إنني بينكم واحد
فارفعوا موتكم
ارفعوا موتكم
واجعلوني عليكم شهيداً
وصلّوا عليكم
كنت ألبس قمصانكم
وأغسل نفسي بحنطة أسواركم

وزنازن أشجاركم
ومسرات أوجاعكم
فأرشف عليكم مودات قلبي
وأغرقكم بالولاءات والحب.

فصل

[3]

هذي زنازناكم فادخلوها معي وارسموا فوق جدرانها بعض

شمسٍ

وجوعٍ

ونارٍ

فهل تشربون معي نخب كأسين للموت
كيف انخلعت عليكم وبدلت ثوبي بأثوابكم وانحللتُ
بكم واحداً واحداً

ثم أشرقت نفسي عليكم وحيداً
وعلقت روعي على شرفات منازلكم

ومداخل أوجاعكم

وطناً فادخلوه

وطوفوا بكم

إنني واحد بينكم

فاسكنوا داخلي

ثم صلّوا عليكم وغنوا

سلام عليكم

سلام.. سلام.. سلام

سلاماً...

واصعدوا صوب أشلائكم واجمعوني بكم واحداً واحداً وارفضوكم

ارفضوكم

ارفضوكم جميعاً أو

فاسكنوا موتكم

اسكنوا موتكم.

غناء فردي

فصل

[1]

سأربط زنبقةً حول قلبي ثم أدخل هذي المدن
وأشجر فوق رمال الصحارى دمي
إنه قاتلي
وأسمي السماء بروقاً ورعداً
يكون الشقوق التي تتفجر من ساحل الأرض
هل تدخلون معي؟؟
إن هذي المدائن قد لوثنني
اعتصرت رحيق محبتها واحترفت غواياتها وغوايات أبنائها
واحترقاتهم... وعذابات أبوابها
وغرست دمي شاهداً فوق قمصان أشجارها.

فصل

[2]

لونتني

يا لهذي المدن!!
قمرٌ فوق وشم ذراعي
نخلةٌ حول سرّة قلبي
وشمس من النار تحرقني ثم تشرق فوق جنائكم
وردةً
وتحط عليكم
فادخلوها معي
ادخلوا

واتركوا فوق جدران هذي الزنازن أشكالكم ثم أسماءكم
وارسموا ببقايا دمي لونَ أشجاركم
ثم هاتوا حروف الكلام
وصبوا عليها من الدمع والدم

بعض احتراقاتكم
ووصيات أبنائكم واطركوني
اطركوني على عتبات الشوارع
قمرًا ضائعًا..

فصل

[3]

انبثوني

انبثوني... بأسمائكم واحداً واحداً
فسأربط زنبقةً حول صدري
وأدخل في غيمة العاشقين
وأقطف بعض التويجات حبراً وأكتب أسماء من صلبوني
وأدلق فوق الأسرة بعض حروف الهجاء

أبايعكم

بالقيود التي في يديّ
أبادلكم وطنًا بالزنازن والأغنيات
وكنت انقسمتُ

أنا ضد نفسي

وضد الورود التي تتناول في داخلي
ومنازل قلبي

وضد التي خانني دمعها

ثم كنت لها عاشقًا

وكانت لها صبغةُ الشهداءِ

فصل

[4]

توحدت فيّ

توحدت في جمعكم وخيانات أشجاركم وانقساماتكم

ثم كانت بلادي على غيمة الدمع ثكلى

تنز دماً حارقاً

ونجوماً من الفحمِ

كنت لها شاهداً
إنني سوف أدخل قلبي وأزرع حول حدائقه
وردةً
ثم أعبّر صوب بلادي.

سلام عليكم

فصل

[1]

النجوم الطوارقُ في الليل يدخلن بيتي
ويخطرُن فوق أرائك قلبي فرادى ويرقصن تحت الصباحات
مثنى
ويرحلن في الليل عند انتهاء المصاييح كالبعجات زمُر
أيركضن تحت خيام الجسد؟؟
ثم ينعسن قربي قليلاً..
وعند النداءات يرحلن ناراً وخيلاً مسومةً وغير مسومةٍ وغباراً
حدائقَ مرجومةً بالشياطين
أو سنبلات من النار خضراً أفتح؟ من سوف يدخلُ؟
هذى الرياح سهوم من البرد شوْك يحز عظام النخيل ويجرح
خد التويجات
يخرطها في بكاءٍ عنيفٍ مع الفجر والليلِ
هل نتكاشف؟ أو نتحاضن أو نتخاصم؟

فصل

[2]

يا أنتِ

أيتها الوردة المستحمةُ في الفجر نامي قليلاً بقربي
أو انعطفي فوق شباك بيتي القديم حدائق مغمورة بالتويجات
- في غيش الصبح -
ثم اغسلي فوق خيمات صدري عصارة نعليك

أو فانثريني ندى فوق أهلي
وهزّي سلام عليك
سلام على الورد في كل لونٍ
وفي كل أين وفي كل غصنٍ
سلام عليّ

- حين ولدت وحين أموت وحين سأبعث حيًّا.. سلام عليّ -

ويا أيها الداخلون حدائق قلبي سلام عليكم
وطبتم

سلام... سلام... سلام...

فصل

[3]

أيها الواقفون ببابي سلام عليكم
أيها الفقراء سلام عليكم
أيها الشعراء سلام عليكم
أيها الحقراء سلام عليكم
أيها المتعبون سلام عليكم
أيها الخائفون سلام عليكم
أيها العاشقون سلام عليكم
أيها الخاضعون سلام عليكم
أيها القانطون سلام عليكم
أيها السجّناء سلام عليكم
أيها التعساء سلام عليكم
أيها الميتون سلام عليكم
أيها الهاربون سلام عليكم
أيها التائهون سلام عليكم
أيها الضائعون سلام عليكم
أيها المبعدون سلام عليكم
أيها القادمون سلام عليكم
سلام... سلام... سلام...

رغبة تحت شجرة الدردار

فصل

[1]

تأثيني غارقةً في النوم فأمسح عن خديها السوسن وزهور
اللوتس والمرجان
وبضعة أقمار
وتميل الشجرات الخضراء المملوءة بزهور التفاح على طرف الثوب
القطني
فأقطف من تحت البقع الشمسية بعض فصوص التوت المحمر
أترجع للبيت؟؟
لماذا لا تطلق طير الرغبة كي ينسل إلى حقل الحنطة يجمع سبع
سنابل خضراء فيغسلها بالضوء
وسبع سنين ذهباً ذهبت وأنا أنتظرك أن تأتي
تخبرني عن كل عصافير الضوء فلا أبصرها
تأثيني غارقةً في النوم فتدخل كل جنائن قلبي
هل تسمع صوتي يا محبوبتي؟ لا...
من يشعل قنديل البيت إذن
وامراتي عاقر وأنا مسكون بالوقت وبالبرق.

انتظار

فصل

[1]

كان لون الفضاء كلون دمي حمرةً خارقةً
وطعامي صبرةً
والندى لجة فائقة
فرت الشمس من تحت أعتابها واستقرت
هل انتشرت في السماء الكواكب؟
أو مرت الريح مغسولةً بالشقائق والبرق وانفلق الضوء

- محترقًا -

بين هذي السحائب والأرض؟ جميزة - يخرج الطير من بين
قمصان أوراقها ميتًا؟
فاستمع أيها الطير يُوحى إليك
ويا أيها النمل هذي مساكنكم فادخلوها معي
وهذا مكان الوقوف على جبل الماء والنار من سوف يصعدُ؟
والماء ليجته لجة فائقة؟؟؟

فصل

[2]

أأبصرت ناراً؟؟
أأنستها؟
وانفطرت بها ثم حطت على جبل شاهق؟
هل سترجع يا أيها الطيرُ
أم سوف تُقلع وحدك
صوب الأهلة والشمس والموت أقرب منك إليك
فحاذر
وحاذر
ولا تقترب...

تخطيطات

قبرات من الضوء تصعدني أرتقي سلماً هادئاً - نحو غابات
أشجارها
هل نجومٌ تعشش في؟
تحط قريباً على يركات الفراش الذي يحتويني ندى فوق صدري؟
ترى أين خبان هذا القميص الجميل من النخل
من راودتنا؟ وحلت على الفجر مغسولةً بالبنفسج والحلم؟
من ذا يقود الضربير إلى بيته والنجوم خوافت؟
ربما شجر في المتاهة ينمو وتخضر في الجبل الصلد بعض

التويجات
أقمارنا غابةً
من أرائك أو أرجوانٍ
فمن ينزل الغور أو يصعد الليل يقطف بعض النجيمات
يجمعها في سلالٍ من الورد والقش ثم يوزعها فوق ذرات
أجسادنا
مطراً أو حدائق - مخضرةً - فاهبطي
واهبطوا بسلام..

انكشاف

النهارات ومض من البرق يختم فوق أعنتنا وخرائط أجسادنا
زبدًا
حين نملؤه بدماء الصبايا الجميلات يصبح مسكاً وزيتونةً
وحدائق غلبًا
فهل أنت سيده من أراضيها السبع تخرج سنبلة للزفاف
وسنبلة للقطاف وسنبلة
تخرج الملكات لها راقصات
ويشعلن ناراً
فيتبعها الطير في كل وادٍ
أم أنت المليكة سيده من سماواتها السبع يخرج لؤلؤها البكر
شمساً توهج
تنكشف الأرض أو تتفتت ينكشف الوقت أو يتفتت
مشكاتها في زجاج من الضوء والضوء حلتها مثل ياقوتة الحلم
مخبوءة تحت سرّة أشجارها الذهبية
مصباحها
أم كواكب درية تتوقد؟
كيف انكشفت إذن أيتها السيدة؟؟

زيتونة

نارٌ تخرج من زيتونة قلبي صوب هضاب الرغبة
لغةً تفصح عن جوهرها من غير أداة التعريف وكل حروف الجر
وكل حروف النفي وكل حروف التشبيه
فهل تفقد لغةً مرمرَ خضرتها كي تدخل في دائرة الرمز ووحل
اللمز

وبيت التيه؟

الإثبات.. المشكاة.. المشكاة.. الإثبات

أو يبقى المصباح المطفأ مضاءً قرب سماوات خضر
من يشعل زيتونة قلبي أو يقترب قريباً من لؤلؤها يجد الآن
شهاباً رصداً
وسماواتٍ غامضةً

تأرجح بين سماوات بيضٍ

وغيوماً حاملة برقاً تفرطه فوق ذؤابات فصوص الرغبة
- حُمراً وحشية -

أو سراباً من غزلان سابحة فوق محفات بيضاء وخضراء
وطيراً يتتبع طيراً

كي يخرج عن دائرة الطير

فكيف يكون المصباح المطفأ مضاءً

والبيت غريب وفريد في التشبيه؟؟

امراة

ينفسح البحر كآخر نجمة

قمرٌ يخرج من تحت الماء

نساءً يغسلن عباءتهن بأطراف البحر ولؤلؤة تنفرس في وجه امرأة

يتجمع تحت ملاءتها نخلاً

يتقرى جسد ميقاته

الأرض تكايعب عنب

والشمس طريق ذهبي
وأنا طفل النخل المتهىء - ملكاً - يحرسه الورد وجمار النخل
فهزي
هزي
هل تسكن قرب خيامي مريم؟ أو أسكن فيها؟ أم أنزل صوب
مدارجها؟
والمرأة
قبرة تتغسل تحت ضفيرات الشمس وتمسح نهديتها باللبن الكوني
وتنعس قرب بحيرات الماء فهل يعشقها الرب
ويصنعها من كل شآبيب الرغبة ثم يجمّلها بالشهوات..؟
ألهذا يتقرى جسد ميقاته؟
كم مر على بهذا الحلم دهرًا.. شهرًا.. لا أدري؟
اللحظة فاصلة حين تجيء وسنبلة خضراء
تمر على الأرض فيفتح القلب كآخر نجمة
أتكونين طريقي أيتها المرأة أم أزرع جسدي بالنار
وأتوضأ في عين الشمس الحمئة؟

السيدة/ تساؤلات

فصل

[1]

هل يمكن أن تهبط هذي السيدة الخضراء إلى الأرض
ويأتي السيد تحت النخل فيحمل كل جراح الرفض ويصعد
كالغيمة
نحو التل
ويقطف زهر الآلام
ويهدم كل متاهات القهر
الريح خواء
والشمس الميتة على شجرات الحنطة والزيتون وجبل الليمون

خواءٌ والنخل جذوع متهاكئةً
أعجازٌ تنسدل على وحدتها خاويةً
والموت بطيئاً يتقدم كاللص الدمويّ
فهل نعطي اسمينا للنار وللتاريخ القش المنزوع الريش الخائف
والأجنحة العاجزة عن الطيران؟

فصل

[2]

لماذا يطردنا التاريخُ
براغيث شعوب باليةٍ ويعلقنا فوق جدارات متاحفه نسخاً باهتةً
من شهداءٍ منسيين وصلباناً
من أوراق ساقطة.. يرفضها العصرُ
ويحملها الولدان نكاتاً هازئةً
ويزورنا ضمن حفائر الأثرية؟؟
هل يمكن أن تهبط هذه السيدةُ إلى الأرض
ويأتي السيد تحت النخل ومشتعلاً بالرفض؟؟
لماذا نعطي اسمينا للذاكرة المحشوة وهماً وخرائب؟
ولماذا...

نبحث عن لغةٍ أخرى لا يعرفها غير الله؟

أغنية صغيرة دافئة

فصل

[1]

جسدُ المرأة تاجٌ من نورٍ
والشمس عشيقتهُ
هل تبقى الروح على جسد المرأة أيقونة فلّ في صدر العرش؟
أم ثوراً يتخذ طريقه؟
أم تبقى المرأة حقلاً من حنطة تحرثه الأيامُ
وتسقيه الشمس بكفيها الخضراوين لآلئ من ذهب

ورحيقًا يتقطر من شهد رائق فوق محفات من فضة
أو قطرات من لبن مختوم زاهٍ
يحملة الولدان فرادى وجماعات
- يلبسون ثيابًا خضرًا -
ويطوفون على سررٍ ونمارقٍ خضراء وزرقاء بأيدهم أطباق
من ضوءٍ مسحورٍ؟
والمرأةُ مرآةً وقناديلُ
وقرنفلَةٌ بيضاء وحمراء وصفراء
أُتذبلُ؟؟
فصل
[2]
أُتذبلُ؟
أم تتفتح فوق خلايا الجسد المتوحشِ سنبله خضراء
على حقل من لؤلؤها المنشور؟
هل تمسك طرف الروح بأنملة محبتها؟
هل غيمَةٌ
- وحدتها -
ساكنةٌ في أعماقي؟
هل تسند قامته هذا الكون - بخيطٍ - من ريق أنوثتها؟
أم نظرتها؟
أو تخذُ السوسن قاعدةً تتكى عليها
والورد طريقًا؟
سيدة خرجت من تحت عباءات الليل وحلت من بين صفائرها
قمرًا
واستلقت فوق فراش الرغبة قرب حدائقها
وانتظرت شمسًا تشرق في داخلها أو ريحًا تسكنها في وحدتها
هل كان الجسد المسنون المتوقد خيالاً
أم كان عشيقًا؟

تماثل

فصل

[1]

يتواطأُ جسمي ضد الورد

وضد أنوثات الورد

وضد خيانات الأشياء

فتنكسر سماواتي فوقي أرغفةً

من ورق الموت

وأشجار النار

وسفناً ملقاةً

فوق شواطئ أفلة أبني أفقاً من شجر محروقٍ من شمسٍ متفتتةٍ

ومنازلٍ من أضلاعي المتناثرة على رمل الصحراء

أناديكم

فمر ينزل أغوار دمي

- بحر لجي .. -

فينازلني .

فصل

[2]

إياكم

إياكم،... أن تقتربوا مني حين يفاجئني صحوي

فيهزّ فضاءات الجوع

ومطر الموت المتشبث بعروقي

وزلازل أرضي وسماواتي

إياكم

أن تقتربوا من جثتي الملقاة على وحلٍ الطرقاتِ

وفي أرجاء حدائقكم

ودواخلكم

وبأحجارٍ منازلكم

وشقائقكم
إياكم أن تقتربوا.

فصل

[3]

هذا جسدي يتقراكم فرداً فرداً

ويؤاخيكم ويفاجئكم

في كل سرائركم

- حين تنامون وحين تقومون

وحين تمسون

وحين تصبحون...-

أدعوكم أن تتجهوا صوب مدائن موتى وسماواتي المشتعلة

ببقاياكم

ثم اقترحوا أن تتلاقى عند سماواتٍ أخرى وأرضين من الماءِ

كثيرة أرضٍ... لم تطأوها من قبل

- شمس ذاكية... وغزالات بيض -

وأقيموا حين تجيئون هناك ممالك لصبياتٍ يأتين من البحر

ومن خصل الضوءِ

فيرقصن عرايا تحت القمر الصيفي الأحمرِ.

ثم يباركن شظاياكم واقيموا

مئذنةً من سنبله الدمعِ

ومن صلصلة الموتِ

وغنوا

غنوا

هذا حقل من لؤلؤة العشق ومن ورد الماءِ

وأشجار الزيتون المر

وحبات الحنطةِ

ودمايَ

وصلوا خلفي... صلوا

فمدائنكم خبزٌ من نارٍ معجون بالجوع

وبالفزع الأكبر
والصلوات
انفجروا حين يباغتكُم وجمعي
وخياناتي
ثم انتشروا في الأرض
كآلهة
ونبيين.

رمل

فصل

[1]

إنه الرملُ يلمع متقدماً
تحت وهج الجروح
ويبرق من رَهج الذكريات
انظروا
كم تكون الرمالُ
مغامرةً
تجمع الشرق بالغرب
والغرب بالشرق؟
كم يكون الندى خالغاً سترة العشب
ومرتدياً شكة الحرب
أكثر مما يكون له الرمل عشاً
تحط عليه العصافير
ثم تنام
وتحلم بالبحر والسفر اللؤلؤي.

فصل

[2]

انظروا

إنه الرمل
كان دمًا
يتناثر فوق التويجاتِ
بعد التقاء البنادقِ
بالعشبِ
هل كان رملاً؟؟

منج

فصل

[1]

المرأةُ

تعطي مقودها
للرجل البنيّ
الرجل البنيّ
يخصّص
أعضاء المرأة بالوردِ
فهل تعطي المرأة
ثوبَ قطيفتها
للرجل
الأخضر؟
أم يعطي الرجل البنيّ
رداء اللون إلى البحرِ
ويرحل صوب جزيرته؟

فصل

[2]

الرجل الأخضرُ

يتساقط

فوق الجسر الممتد
ما بين القدمين
إلى تاج الرأسِ
والمرأة
تتساقط
ما بين الغيمةِ
وخيوط الفجرِ
فهل تخرج شمس
من قلب
المرأة؟
أم يخرج طير الرغبة
في زي طرادٍ
جبليٍّ؟
قطعان
من ثلج أبيض
يتصاعد
فوق ضواحي الوقتِ.

ثنائية

فصل

[1]

ها هو القنفذ البشري
يعرّض
أعضائه للنهارِ
ويطلق أفخازه للرداذِ
الذي يتصبب
من قطرة الجسدين

الذين
يغوصان
في بقعةٍ
لامتزاج الرقيق المقطّرِ
بالبتلات التي تتعري
على شهقات الخيولِ
التي تتراكض
فوق السهول الفسيحةِ
والغيمِ.
فصل

[2]

يبدأ طير الهدأة
في الرقص
على جسدين
اثنين يغوصان
إلى
قاع الخضرة.

طلقة

فصل

[1]

الطلقةُ
تتبع صوتَ الطلقة
ثم تحوّم
فوق حواف الأشجارِ
الخضراءِ
فتنفجر الخضرةُ

والطلقةُ
إذ تتبع
صوت الطلقةِ
تكشف عن عرس دمويٍّ
تنشق إلى نصفين
فنصف للطفل المتمايلِ
فرحاً
والوردِ
ونصف للضوء الساقط
فوق العشبِ
البري
وأعشاب البحر.
فصل
[2]
والطلقة
- إذ تتشظى
تأخذ شكل الموتِ
المتساكبِ
بغتةً
هل كانت هذي الطلقةُ
آخرَ ما
يكتبه الإنسان
على الأرضِ
أم كانت
شكل بنفسجةٍ
محترقة؟؟

مشهد

إلى حسب الشيخ جعفر
يهبط من شرفته في الليل ويسأل عن ماهية شيء ما
كان يقول أمنح نفسي للماء
أُسمى بالقمر الأزرق وخرافات الوقت
أُسمي أحلامي شجر الإسمنت
وأهرب من ذاكرتي في سقف اللحظة أو أتصيد خطأ ما لامرأة ما
تركت نكهة شرفتها فوق سريري
حين سأخرج من وقتي
قد أعطى امرأة أخرى
مفتاح دمي
وخرابي
أيتها الذاكرة المسكونة بالفوضى
لا يشبه هذي الفوضى إلا ساعات الألم الزرقاء
انتهى أيتها الروح
سأفتح أدغالي
وأضمد فوضاي على طاولة الأمس
الآن
هدأت شاحنة أخرى قرب الجسر
بعض رجال الدرك يثرثر في نوبته عن قمر أحمر وضالة راتبه
رجل يغمز لامرأة ويواعدها عند الفجر
ثمة خطأ ما في هذا العالم
قطرات الملح على جسم امرأة خارجة من ماء البحر تتشف
بالفوضى وتحاصر أبعاد الوقت
كيف أعيد اللحظات الهاربة إلى مأواي أنا مسكون بالذكرى
لا شيء يلامس قلبي إلا رغوته
حسناً سأعيد على ذاكرتي نفس المشهد وأهين نفسي للنسيان.

موسيقا أزهار فاضل

لماذا يتجمع دُمُكُ الأبيض قَدَّامَ الموسيقا؟

هل رائحةُ النارج

وزهرات اللوتس

والبشنين وعطر الماندولينا في الليلِ مع الذكرى

لا يجرح قلبك

مثلي؟

لا أعرف كيف أضمد قلبي

كيف أفضّ وساوس روعي

وأزحزح نفسي عن طاولة العشقِ

وأنسى..؟

هل يجرحك الليل

وحين تباغتك الذكرى؟

ماذا نفعل بالموسيقا إذ نهبط كصبيينِ غريقين

أمام اللوحة؟

هل

نمسح دمها المنسابَ على أكمامِ القلب

بأطراف العين؟

الموسيقا...!!

أعرف كيف تطاردُك الموسيقا

كيف تزلزل جسمي المنهوك أمام غوايتها

هل

لون القلب هو السلوى؟

أيتها السيدةُ الآثمةُ القلبِ

لا شيء يلامس قلبي حين يجن الليل مع الذكرى

إلا صوتُ

الموسيقا

كيف أعلّق أقمارك فوق الأبواب الموصدة

وأكتب فوق الحيطانِ

ونخل القلبِ

وأغصان الماءِ

أحبك؟

هل هذا القلب يورطني في شئنين نقيضين

الحب

أو الموت؟

هل هذا القلب سينقذني

أم

سيورطني أكثر؟

لا أعرف

حاولت كثيراً أن أنسى

كانت موسيقا روعي تختلط بموسيقا روعي

فأحبك أكثر

وتعذبني الذكرى

لا أعرف ماذا أفعلُ

هل أهرب منك

وإلى أين

إليك؟

يا الله؟!

ماذا أفعل بالموسيقا

عينك موسيقا

شعرك موسيقا

صوتك موسيقا

صمتك موسيقا

عطرك موسيقا

يا للموسيقا
إذ تخرج من معطفك الشتويّ وتفجؤني قدام اللوحة
بالعشق الخارج من بين العينين الصافيتين الرائعتين
ومن خلف دموع الفرشاة
المتوحدة بهذا الكون
اللون الموسيقي
لماذا يتجمع دُمك الأبيض
قدام اللوحة
وتجيء الذكرى
طافيةً
من خلف سماءِ الموسيقا؟؟

ثنائية

(1)

في متاهة باريس كان السيد بيكاسو
يمسك الضوء من خشب الماء
يشغل حبة خرز بكاملها
ويسوي بين الـ
جورنيكا
والـ
ما
تا

دور...!؟

يدخل دالي ممتشقاً سيفاً بنطاقين
ويمسك غدارته المحشوة بدماء اللون
على مددٍ
من قامته

يرسم سيده خائضة لجح الأنديز
تفتش عن شمس الله
وعن خبز الشوفان
لماذا يتمدد دالي فوق قواربه المطاطية
ولماذا

يتذكر لوركا فجأة...؟؟
يخرج من كراسته كارلوس ألبيرتي
وينادي الثور الهائج
كي يدخله الحلبة
يلمع خبز الشوفان
ويتشمم رائحة الماريجوانا
فيدوخ اللون أمام بصيرته
ويخر الثور على عتبات الضوء
صريعاً
مغشياً
ينطح بالقرنين الضوء
ويترك دمه المنساب على قبة الـ
ماتادور

يخرج لوركا محتضناً زند فتاة من فتيات الباسك
ويحسو كأسين من الفودكا
عن أي فتاة يبحث دالي؟
أين ستشرق شمس الله
وفي أي نهار سوف تجيء الحرية؟
هل كان السيد بيكاسو وهو يهدئ من لوعة باريس
بلوحته

يدرك أن الماتادور يفتش عن دمه
تحت عطور الطروديات

ويبحث عن نوع فصيلته
بين الثورات
العرقية
أم سيفتش عن وطن آخر كي يسكنه
ويخبئ دمه الأخضر تحت الماء إلى أن يأتي خبز الله
وتشرق شمس الحرية؟
آه

هل جاء السيد رامبو؟

إذن
سنقوم إلى طاولة
أخرى..

(2)

أحياناً

كان الأملع بيكاسو ينقل ريشته فوق اللوحة

من شلال الضوء

إلى شلال الماء

وأحياناً

كان اللون يراوغه

والفرشاة المجنونة تفلت من يده

وتفر يميناً

ويساراً

حتى ينسرب اللون من اللون

وتنسرب الفرشاة من الفرشاة إلى خارج ناصية اللوحة

ينتظر قيامة شيء ما

يتردد ما بين الظل

وبين الظل

ويلقي بالفرشاة بعيداً حتى يدهمه اللون على أرض الحلبة

يلقي بطفولته ويفتش عن شيء ما
هل يرسم نهراً
أم وطناً؟
أم ثوراً يطعنه الماتادور على أرض الحلبة؟
ما زال الجمهور يصفق
والثور الهائج ينطح بالقرنين نهايته
وها هو ذا
يخرج من غرفته
مفتوناً بالضوء
ومسكوناً
بالألوان.

أبو حيان التوحيدي

كان إذن...
يتحاور في الليل مع وحدته
يمسك بالأوراق
وأقلام البوص
وبالزمن الخائخ
يتوقف قرب نهايته
يتساءل:
ما معنى الموت؟
وما معنى الكلمة؟
ماذا يعني الفقر أو العجز؟
وماذا تعني اللذة
والإثم
الأمل
اليأس

الظلمُ
العدلُ
الوحدةُ
والخوفُ
ما معنى المعنى إذ يسأل؟
كيف أفك رموز الكونِ
وكيف أفسر هذا النور بهذي الظلمةِ
أو هذي الظلمة بالنور؟
وما معنى أن تشرق روعي بالإصغاء إلى أصغر شيء ما؟
هل سيعود الجسم إلى سيرته الأولى؟
وما معنى هذى الروح
وكيف ستفقد معناها أم ستعود إلى صيرورتها الأولى؟
ماذا يعني هذا؟
هل أتبدد في اللاشيء؟
ما معنى أن يتلاشى النورُ وتنهش هذي الروحُ خفافيشَ الظلمةِ؟
ماذا أفعل بالأوراقِ وبالكلماتِ؟
وهل تُجديني اللغة
وإذ أتفتت في البحث عن الكينونةِ
والسرِّ؟
سأغلق داري
وأواري سوءة جسمي
أنطرح كماء الجلمودِ على مدد
الصحراواتِ
آه
سأقوم إلى مخطوطاتي كي أحرقها
قد تشرق شمسٌ ما
في أقصى الروحِ.

الغجريون

في الفجرِ

يأتي الغجريون وفوّهة بنادقهم

تتقدم ركباً

من غجرياتٍ بيضٍ

محلولاتِ الشعرِ

ومنسدلاتِ

الأردافِ

والغجريون وراء العربات الخشبية ينطلقون فرادى وجماعات

ما من أحد يعرفهم

العربات الخشبيةُ

مطفأةٌ

إلا من مصباحٍ أجردٍ يتناوم في الضوء ويستأنس بالعتمةِ

والغجريات يراقصن النجمَ

ويرقصن عرايا

أو يتشممن العشب

ورائحة التتراتٍ ويشعلن الرغبةَ بالرغبةِ

والغجريون يغنون ويعتصرون الوحدة بممارسة اللذةِ

والقسوةِ

فوق العشب المبتلِ

وينسربون إلى العتمةِ

حيث بنادقهم

تلمع

أو تطاول كالنصلِ

وخلف العربات الخشبية بضع كلابٍ

متناثرةِ

تترقب

أو تتشمم رائحة الصيد
وطعم الترات
في الفجر
يأتي الغجريون وينسحبون الواحد بعد الآخر
ما
من أحدٍ
يعرفهم؟!

الوعل

إلى حسب الشيخ جعفر مرةً ثانيةً
كنت أراقبه
حين يفكُّ الليلُ الشتويُّ أخايدَ الوحدةِ
والشيخوخةِ
ثم يصير شظايا
وأراجيحَ
حيوانات هاربةً
غجريات يتسكنن أمام الدور الخاليةِ
ويضربن الرملَ
ويسكن - هنالك - في جسد الماءِ
وفي آخر دورتهن يمارسن السطو ويخطفن القمر الصيفيَّ المخنوقَ
ويجلبن أريج الحنَّاءِ
وكان يقهقه مثل الوردِ حين تباغته السمكاتُ الذهبيةُ
يشعل بعض لفافاتٍ
باقيةٍ
من علبة تبغٍ
متأكلةٍ
ثم يفتش عن حلم أخضر كي يمسكه

ما زال الليل كما أعرفه
أغفت نجمتك السهرانة في مخدعها
كيف أفسّر هذا العالم بالشعر؟
تحزّر...؟
هل عندك خبز ونيذ؟!
من هذي المرأة كالشمش
تفرّق صحوي وتقض مضاجع حلمي
أو تعرفها؟
تمرق خارقة - كالسهم - وتترك فوق ثيابي نكهتها
حنطة أرض
قاصية
لون صفائرها
والكحل المتأجج في عينين نبين
فهل من أحد يشبهها؟
خذ نجمتك الخضراء
وخذ
وردتك الحجرية
وارحل
ارحل
تبعني...؟
والشعر...؟؟
ينفتل الدخان سحائب من مطر أحمر ورذاذ مندثر
نجمات بيض يتقاطرن حواليه
فرادى
وجماعات
والليل الشتوي
يغادر شرفته

والوعل يفر إلى حيث أراضيه
فهل من أحدٍ يعرفه؟

المغوليون

كان المغوليون ينسربون مثل النملِ
يقتربون من النهر في الصبحِ ثم يمرون قرب البناياتِ
والشجر الخائفِ
المتربِّ
كانت بنادقهم
تترجل في العشبِ مثل الغزاةِ
وكنا نشاهدهم في انتصاف الظهيرةِ
يجترحون الطفولةَ
أو يخطفون النساءِ عرايا
وكانوا يجوسون بين البراءة والحلمِ
يقتربون من الموتِ
بالموتِ
يبتعدون عن الموت للموت
كانوا برابرةً يشربون دماء الضحايا
وكنا نمالئهم
بالأغاني
ونأوي لمخدعنا كي ننامَ
يطاردنا الجندُ
والحرس المتحفز بالطلقاتِ
فتتكسر الأعين النجلُ
ينكسر الحب بين الفضاء المضمخ بالموت والخفقانِ
وينكسر الوقتُ
وكنا نُطارِد مثل القطا في الفلاةِ

فلم ننجرف صوب أحلامنا
مرة
لم نتعلم من العشق غير اسمه
أي أرض تمد لنا غيمها
أي عاصفة تحتوينا
أي دم نخالطه في الصباح
أي ظل لنا نرتجيه
أي شمس تضيء مدائننا كي نراها
خدعتنا المدن
واستباننا ملوك الطوائف
ضاعت فلسطين
والقدس
غرناطة المستحمة في الليل بالفجر
والشمس
جند من الروم
والترك
جاؤوا بقرطبة كالقنينة ثم تسابق كل الرماة إليها
ولم يتركوها سوى جثة
وفروا فرار العبيد إذا ما انتهوا
ثم كبر فينا الطغاة
وأما الصلاة
وكنا نتمتم بالدعوات والكلمات التي ليس فيها سوى رنة
الخوف
أيها المغوليون
سوف تنكسرون في الصباح
سوف نخدعكم بالكلام المنمق
والضحكات

نفاجئكم بقنابل موقوتة تحت هذي الأسرة

والعشب

نبددكم كالغبار الملوث

ثم نباغتكم كالفريسة وسط الرمال

ونرشقكم بالحجارة

والموت

نترككم كالنفايات فوق الصحارى

فهل تخرجون

سوى جثة؟!.

ملح جاف
فوق إبرة الحقل

متهات

نعم نعم..
سوف نعرف كيف نلوّن السماء
بماءٍ
منهمرٍ
وسوف نعرف كيف نقود الضوء
إلى متهاتنا التي لا تنتهي
ونجر جره إلى جزيرةٍ
صاخبةٍ
بينما نعرف كذلك كيف نوضّي النهار
على شفا جُرْفٍ هارٍ.

جسدي

إنه جسدي
قاتلي!!
سوف يعرف هو الآخر كيف يقود الطبيعة عبر مسالكها الوعرة
ومن خلال المخيلة
إلى حظيرة اللغة
ولا ينتظر أن تفقس أو تبيض
عند أية هاويةٍ.

صرخات الغرقى

ليس للنجمة أن تتسمى باسم الحديقة التي تعرفها
ولا تعرفها
ليس للبحر أن ينام في حجر امرأةٍ وحيدةٍ
ممدداً رجليه
على أريكة السماء الفضفاضة
فقط..

عليه أن يتسع لمراكبي
وأن يضحك من صرخات الغرقى
ثم يبحث لنفسه
عن حصيرة
بالية
ويترك حصوات الزمن الجاف
على شواطئ الوحدة!!

شاي الوحدة

أحياناً

أصنع أنا والوحدة شايًا نشربه
أعلق اليأس أيقونةً في رقبة النهار
أصنع من الموت جرسًا من الرخام على باب غرفتي
وأجلس إلى قطط الفراغ الهرمة
لكي تتناوب الضحك
والبكاء على شفا الوحدة!
ربما

نتلصص على الزمن
وهو يفرك بيديه البنيتين
شجرة الحياة المُرّة
وينام متواطئًا مع الغبار
على صخرة
منجرفة.

لا ضوء هنالك

الوحدة

كأس مترعة من الألم
الزمن

حجر من رخام وكهرمانات
اليأس شجرة يابسة على هواء البحر الصخّاب
لا ضوء!!
لا ضوء، هناك
ليأتي من بعيدٍ
الفجر!!

مريم (1)

يا أمنا المباركة
يا شفيعة الربّ
يا سيّدة التهنّدات الصغيرة
والصبر
ويا صانعة الرغبات اللانهائية
عند بوابة الليل
فجركِ نهار يحترقُ
صوتك من ذهبٍ مصهورٍ ولماعٍ كذلك
كلماتكِ
من عنبٍ
وشفاعات
يأسك من أملٍ كاملٍ
جسمك ماسات تلمع عبر الآفاق
حناناتك اللانهائية تقف على البواباتِ
عذبٌ سلامك الأكيد
الذي يتخلل المسامّ
لننضم إلى قافلة الرب بلا مباركةٍ من أحد
بلا سيمفونيات تعزف
وبلا إيقاع
يرن

مثل بحر يغرقُ
أو
صاريات تحترق!!

مريم (2)

السلام لك يا مريم
يا أمنا المباركة
يا تعويذة اليأس الخالدة
ويا شجرة الرب المباركة
اشملينا بحناناتك التي بطول طبيبتك
وبطبيتك التي تضاهي الألم
عينك نافذة على حديقة الرب المباركة
أطراف أصابعك كلها شهواتٌ وأمطارك ما لها من مثيل
إذا ناديتُ عليكِ أنتِ
دقت نواقيس الفرح
بالليل
صلواتك
صحراوات تقهقهه وحبّات من الخرز والدمع
بك يهتف النهارُ
ومن خلال شفّتكِ
يخرج الذهب الحار
أيضاً.

خيمة الرب

ما هذه العزلة التي تتكدّسُ
ما هذه النوارس التي تموت في الأعالي
شموسك قاسية
وصدى صوتك

عظاءات
وأفاع
آثارُ نعليك
طلاسّمٌ لسحرةٍ قدامى
وكتابات
لأنبياء من العهد القديم
في الأركانُ
ينتصب الزمّنُ كشجرةٍ واثقةٍ
تحت خيمة الربّ التي لا تقهر!!

مطرقة الفجر
القوارب تأتي وتذهب
البحر نفسه يستيقظ وينامُ
الفجر يدق على الأبواب
بمطرقة التي تشبه يد الرب الهائلة
الرياح تأخذ بوصلتها الأخيرة وتسافر
عبر الجهات الأربع
لأن تصل تلك الرياح اللعينة
إلى بحرٍ إلا لتدخل في بحرٍ آخر
ولا تلقى الشباك أبداً
أنتِ علامة على الضوء
والضوء
قمرك الذي يسيل على الجدرانِ دائماً.

مريم (3)
نعم
كنت أنتظرك
أنتِ أيتها الأم المباركةُ

يا شفيعُ
إذ يعتم الليل
وينطفئ كلام الأرض!!
ولأنك
كلمة الربّ الأكيدة وعملته الغير مزيفةٍ
ولأنك شجرة الروح المصوبة نحو السماوات دائماً
والمبللة بالخطيئة حيناً والخطأ أحياناً
لم أكن أسمع إلا صوتك
عبر السماء الواسعة التي تصغي وتنحدر
ومن خلال مطر الصحراواتِ
الأحمر
وظلمة السديمات
اللانهاية!!

صناجات الحصى

فيما نعرفك من آثار الحصى
والليل
فيما نعرفك من خلال نعمة أصابعك
الرّنانة
كلماتك تشبه البرق والرعد
فمك يشبه قبلة الرّب المرسومة على الأحجار والحصى
وعلى حرير النجوم الفضفاضة كذلك
ليديك
نغمة الموسيقى
ولأصابعك
صناجات
الأبد
والأزل.

وشيحة

وحيداً

أجثو على ركبتيّ في مواجهة الرب
حيث أستند بذراعيّ على الصمتِ
حيث الكلام في اللانهايات
يشبه عربة الرب المطهمة
وغناء الفرشات الضخمة
على شجرة الأبدية
المسيحة
بالموت
والوشيحة.

عبور

بقدمين فارهتين أعبُرُ ممرَ الوحدة الشاق
وأرتكن
على الهاوية
مثل قمرٍ منجرح وفمٍ بتراتيل
بلا سلامٍ واحدٍ للقلب
وبلا شجرة واحدة للروح
بلا ندمٍ أخير
على سلام العالم الحيّ.

أغنية المحارب الأخيرة

أيها البحرُ

يا ندم الرب الحقيقي
ويا دمعته المنكسرة
أين ذهب كل هذه المراكب
أين ذهب كل أولئك الغرقى

أيها البحرُ
يا ظل المسافر الأخير
ويا أغنية المحارب المتمثلة
لا نجوم لك
ولا خلاص لي
سوى ندمك الحقيقي الذي ينحت
جسد الشواطئ
بشفتيه
المستبسلتين.

تألق
في الصمت
تتألق الوحدة
وينهدل الزمن
على صخور
الليل
الصلبة!!

فتحي عامر أيضاً
نحن الذين صنعنا من الصمت
أرغفة كسيرة
على موائد الرب الرنانة
لكي نجلس
إلى جوار اليأس على مائدة
واحدة
وتحت شجرة الزمن
المتحركة
نترك لفراشاتنا الميتة

أن تضحك
نحن الذين كتبنا بالدم
والدموع
ضحكاتنا التي تشبه الأسي
في ليل الفراشات
المقموع
نحن الذين سرينا - وبعيداً عن فتنة البحر -
لكي نحیی إخواننا الذين ماتوا
وهم يجترحون نسيانهم الأخير
حتى يكشفوا لنا عن سلامهم الذي يرقد تحت
صخرة الموت المستنة
لشد ما يآلف الهواء الندم؟!!

مجدوا الألم

مجدوا الألم
لأنه يصنع الحياة
مجدوا اليأس
لأنه يصنع
الألم!!

أيها البحارة

لا ممر لهذا البحر
ولا سكة لتلك السماء
ابحروا بعيداً أيها البحارة باتجاه
العاصفة
انقذوا سفنكم الراسية من الغرق
والنسيان
لسوف يتلعمكم الموج

الموج الجبار الهائل
في مياه بَرَكَته الأُزَلِيَّة!!

أنهارنا التي تلمع

سنواتنا التي تلمعُ عبر المَدَّ والجزر
مثل ضغينةٍ مدويةٍ
أنهارنا التي تلمع بالملحِ
والحدادِ
كلماتنا المستعمرةُ مثل جزيرةٍ
لكافة الطغاةِ
حلوقنا المحشوة بالرمادِ
والشوكِ
صلواتنا التي تستنفر اليأسَ
وتنطفئ على شفا ذاكرةٍ
مسننةٍ
عزاؤنا الأكيدُ الذي لا يَمَجِّدُ
حكاياتنا التي تتعدد عن مزايا الريح
والخسارة
لحننا الجنائزي الذي لا يتوقف أبداً
أَرْضُ صامدةٍ
تحت سقف الريح
المحدبة!!

يقنعنا الهواء

كل يوم
يقنعنا الهواء
بعيشية
العالم.

حديقة الفراشات الميتة

تلك خاتمة النهار
ليكن كل هذا الهواء الكريم
شهادة ميلاد
لشفئك الكهرمانيتين
ليكن كل هذا الليلك الزاهي ملك لعينيك الإلهيتين
قمرك الأكيد مثل أبجدية سومرية
قصتك المدورة حديقة لفراشات مسورة
لتكن نجمتك السوداء هذه
فلئلك الذي لا يتوقف
عن الدوران أبداً
لتكن كل تلك الأرض
أرجوحةً لقدميك الملكيتين
بالتعب والرشد.

الشمس المتألهة

هذه الشمس المتألهة بنصف عين
هذا القمر الراقد
إلى جوار نافذتك المبجلة
لم لا يمكنها جميعها
أن تحاصر
ألمك النضاح
هذا؟!

صلاة

سوف نكتسب صلابتنا اللامعة
من خلال
عملنا المشترك.

معرفة

لم يلدنا الموت

فقط

كبرنا

بمعرفة النعمة.

ذلك هو العالم

صحراوات من ندم

بيوت من أطلال

وحيوات

غالبة!!

ذلك هو العالم

وتلك -إذن - متاهة الروح

التي تقع في الشرك

الموت السيد

سنواتنا المتوحشة

سنواتنا اليقظة الجافة

أرض

راسخة

المجد للموت السيد

المجد

للحياة السيدة!

زجاجة السماء

الأيدي الكسيرة الناعمة

الأيدي الكثيفة السوداء

تفتح وببطء
نوافذ السماء العليمة
الزمن
الرنان
ذو الأيد
يكنس
وبرجاجة عقل
زجاجة السماء
الأكيدة!

جديرون بالحياة

جديرون بالحياة
لأننا نتشبث بالجذر
جديرون بالعالم
لأنه
ما من حياةٍ
خالدةٍ!!
ما يوحدّ اللهب
هو ما يربط الجذر
بالجذر
حياتنا التي من نعمةٍ خالصةٍ
قمرنا الذي من عينٍ جامدةٍ
نهارنا الذي من ليلٍ وحصى
ليلنا الذي من حجرٍ ودمٍ
دعواتنا التي تصاب بالغبطة مثل طبلٍ بصنّاجات
شفاهنا التي تصطك بالعدم
أصابعنا التي تقبض على اليأس
مثل سبيكةٍ من الذهبِ

جراحنا التي تسود مثل غابة من الأرجوان والفحم
ونحفرها مثل نبع
جديرون بالحياة
لأننا نتشبث بالجذر
جديرون بالعالم
لأنه ما من حياةٍ
خالدة!!

تماسك

تماسكي أيتها الروحُ
فلم يعد ثمت شيء
لا أمل في السلام الخالصِ
ولا أمل
في الحقيقة الغالبة.

مواصلة

سوف نواصل السعي
بنفس الطاقة
وقوة الروح
بنفس لطافة الجسد
وقوة
الجدور.

لا أحد لا أحد!

لا أحد!
لا أحد
يعلم حقيقة ما يجري هنا
أو هناك

كمن يتسلق جدار الروح الأعزل
كمن يمسك بيديه الغريبتين
عن العمل
طاقة الإبصار الوحيدة
لمجموعة من الفئران الضالة
وخلد الماء
كمن يهب الضوء
حيوية الإمساك بالسلام
والسكينة
كانت روعي التي تصغي
وبضراوة.

تقوى الجذور

ينهزم الليلُ
ويتعب النهارُ
الحقيقة بألف يد
والفمُ
- الراسخ -
بنصف عين
تقوى الجذور
وشهادة الحواس
كلها
أبادِ تعملُ.

الطبيعة السيدة المرحّة

سوف نتعرف على صلواتنا الصامته التي تؤدّيها الطبيعة نيابة عنا
الطبيعة العاقلةُ
الطبيعة المجنونةُ

الطبيعة السيدة المرحبة
لا ثمرة في الحقل
ولا عين في الشمس
والليل يرق
بألف فم
هذا النهار
منجل حصاد
لصديقه الزمن.

مصنع الآلهة الجاف

بعيون
شرهة
وعالمة
تطبع السماء قبلة أخيرة
على الأرض
وهأنذا
لم أزل أوصل السير
ومنذ أكثر من عشرة آلاف قدم
لم أقطع سوى بوصة واحدة
ما بين صخرة الأمل وشفتي امرأة
ماذا يفعل هذا القمر بعيونه الكهرمانية الأثيرة
وهو يجلس قريباً
من مصنع الآلهة
الجاف.

يتشكل الألم

سوف يتوقف الزمن على شفا حفرة من الألم
وسوف يقول لدقائقه المنتصرة:

هنا
يفقد النبعُ دورتهُ وهناك
سوف يتخلى الشجر عن ليله
الأخير
المعولُ والبلطةُ
يدُ الإنسان المكفهرُ
السكينُ
والخنجرُ
حضارة الوردِ الداميةُ
أوقفوا
التاريخ
على عجلة الخطأ
وحده يتشكل الألم على الأرض
وتلك - هي -
هزيمة الروح
الكاملة.

يخرج الواقع من الخط

النهارُ
بتفجراته اللامرئية
البحر بانغماره المدوخ بالزبد
واليودِ
النبوءة الرثة للأحجار
ملاءة الخريف الملونة بالملاط
والمطرُ
سوف يتوقف اللون عن تقديم أي عزاءٍ
للمشمس
وسوف يخرج الواقع عن الخطِّ

يا للحظ الأعمى
للبحار.

عين السمكة

رغم كل شيء
سينبت النور في الأصابع
رغم كل شيء
سيخرج الفجر
من حذقة الصخر
رغم كل شيء
الواقع أقل حكمة
من عين السمكة!!

المجد لله في الأعالي

المجد لله في الأعالي
وبالناس المسرة!!
ما الذي يجعل السمكة تبكي
ما الذي يجعل النهار يتوكل على عكازه
في الليل
وينام في غرف الدفن كشحاذٍ وأعمى
ما الذي يجعل الوردة تعترف
وحتى الرmq الأخير أنها سمكةُ الحظ العاثر
ما الذي يجعل الشجرة تنقى رائحتها من الألم
ما الذي يجعل الشمس تشعر بالحزن دائماً
وتنام على المنحدرات مجرحةً
ما الذي يجعل الهواء أشد كثافةً حتى من الزجاج نفسه
اربطوا ذراعيَّ في جبل الصهد المبجل
جففوا روعي المسيجةً بالندم على صخرة الوخذ هذه

كللوا رأسي المتوج بالشوك والندى
ما جئت لألقي سلاماً على الأرضِ
سلاماً أيتها العاهرة المقترحةُ
يا أمنا الرؤوم
سلاماً
أيها الهواء المتوجُّ
يا سلمنا المكسور.

قتامة الحزن

سأجعل روحي الأشد قتامةً من الحزن
تكتب عن الحزن ذاته
سأجعل قلبي - المبعجل - يتناول طعامَ إفطاره مع الملائكة
والشياطين على حدٍّ سواء
وسأسمح لهذه المنضدة الملوثة بالنفايات
والدم
أن تنام فوق روحي الجريحة
وأقول لهزائمي المتوالية
أنتِ ملجئي الوحيد.

التوقف المفاجئ لكل عمل الرب

سأكنس هذا النهار بيديّ
وأقول للزمن
ابتعد عن مائدتي أيها المراوغ اللصّ
ماذا تعني كل هذه الوحدة
الضحكة الهازئة لرجل يحتضن الهاوية بكلتا يديه
الافتقار الحميم لكل ما هو إنسانيّ
ومبجل
التوقف المفاجئ لكل عمل الربّ

السماء العاكفةُ على النولِ
والنوى!!

ستسامح مع الألم والرغبة

ستسامح مع الألم
لأنه لا يعرف ما هو الخلاص
ولا ما هي مادّته
ستسامح مع الرغبة
والفعل
لأنهما
لم يكونا جديرين وكاملين
بكل رغبةٍ حقيقيةٍ
وفعلٍ حقيقيّ.

الفراغ المباغت

سوف نتوقف بإزاء الفراغ المباغتِ
ونقول له:
أنتَ يا نبتة الظلام الممرّة
لِمَ كنت هنا بالأساس
ولم تكن هناك!

تأكيد

سننتصر على الشرِّ
لأننا بشرٌّ من عجينة مغايرة
ولأن الشرَّ في ذاته
غير موجود
وسننتصر على الخير كذلك
لأننا بشرٌّ

وفانون!!
الشرّ
والخيرُ
علامتان أكيدتان
على وجودنا الإنساني
المضمحل!!

مريم (4)

هي الاسمُ
وهي المسمّى
لها الوقتُ والفوتُ
ولها البدءُ
والانتهاءُ
تحت رايتها يقف كل علمٍ
وباسمها تنبض كل شفةٍ
ما أوردَ على شجرتها غير اسمائها التي لا تحصى
وما انحرفَ عن سمائها
أي طير!!

آيتها الليل

إليها
طار كل واقفٍ
ومشى كل طائرٍ بجناحيه
صوتها يأتي من الجهات كلها
وصورتها تنطبع في الرئات والأصابعِ
ما رآها أحدٌ سوى بالخواطرِ
وما سنحت على قلب كل أحدٍ سوى بالظنّ
هي الحصى

ومنجل الذهب الحصّاد
هي الليلُ
وآيتها الشمسُ
هي النهارُ
وآيتها الليلُ.

شجرة الرئم
لها حَجَرُ الفلاسفةِ
ولها
غناءُ المنشدين
هي شجرةُ الرئم
وأنشودةُ الإثم
في صحراوات البراءة التامةِ
ونقا الآل والدلالِ
رؤيتها غيبُ
وغيبها مشاهدةُ
لها الظاهر المتلون في كل لونٍ
وهي الخبيثة عن كل لونٍ
هكذا
هي الاسمُ
ولها المسمى !!

قبائل
أسمائها
أشياؤها
أحيانًا
تكتب الكلمة بالحرف
وتكتب الحرف

بالنفس
وتخلق من النفس ألف طائرٍ
وتخلق من كل طائرٍ
قبيلةً
من الحروف
واللظى.

طائر الكلام

منها ما يكون طائر الكلام
ومنها ما يكون طائر الحروف
ومنها ما يكون طائر البهجة
ومنها ما يكون طائر الظلمة
وعلى تلکم الشجرة
تقيم كافة القبائل
ودائمًا
ما تتقاتلُ كافة الأسماء!!

كلمة

العينُ كلمة
والقلبُ كلمة
الروحُ كلمة
والجسمُ كلمة
اللهُ
كلمة
والطبيعةُ كلمة
الإنسانُ كلمة
والجمادُ كلمة
الألف هي عين الياء

بلا منازع
والياء هي نفس الألف
وما تمّ فرق
سوى في الصورة
فقط
تلك أنشودة المرايا.

العبارة بمفردها

أحياناً
يتعرف الحرفُ إلى الحرف
فتصير الكلمةُ
وتتعرف الكلمةُ إلى الكلمة فيكون المعنى
الحرف بمفرده قيدُ
والعبارة بمفردها
ساحلُ
وما تمّ هنالك إلا بحرُ
هلك الساحلُ
والموجُّ!!

في مثل هذه المتاهة

هناك كلماتٌ بلون الدم
وهناك كلماتٌ بلون الحصى
هناك كلماتٌ بلون النار
وهناك كلماتٌ بلون النور
هناك كلماتٌ بلون العقيق
وهناك كلماتٌ تشبه الحجرُ
ماذا يفعل العاشق
في مثل هذه المتاهة؟!

أَسْمَاؤُهَا أَشْيَاؤُهُ
وَأَشْيَاؤُهَا
أَسْمَاؤُهُ
يَا لَكَ مِنْ رِيحٍ صِرْصِرٍ
وَعَاتِيَةٍ؟!

الحجر الكريم

قالت لي:
ظاهرك
في كل شيء
في النبتة
ومثلما يكون في الحجر الكريم
في الفلك الأطلس
ومثلما يكون في النملة المتربصة
باطنك
هو الظاهر
رغم حجاب السوى
وظاهرك هو الباطن
رغم غلبة الظن!!

سرابٌ بقيعة

قالت لي:
لا علامة لديك فنعرفك بها
ولا مكان عندك
فنقصده
تعب الليل من سهرك
وارتج على النهار من تقلباتك وشهواتك
أليس لك عين شمسٍ واحدةٍ

أضلنا السير في الليل
برقك حُلْبُ
وما ثم سوى سراپ
بقية
يحسبه الظمان ماء.

يا لك من طاغية

قالت لي:
في الليل
آتيك خفية فلا أجذك ومثلما تلوح لي ألوح لك
وبالنهار
آتيك متلصصاً فلا أكاد أبصرك
أطرق على بواباتك السبع ومدائنك التي لا تنسى
إلى أن أفقد السمع والبصر والكلام
وأقع في الخلط
فتلوح لي
من وراء كل
وجه
يا لك من أثيم
ويا لي من مُراوِدة؟!

خارج الزمان والمكان

قالت لي:
لَمْ حَجَبْتَ نفسك عني
إرادتك جبرٌ لي
وإرادتي اختيار لك
وما أنت لي
مثلما أنا لك

لَمْ حَجَبْتَ نَفْسَكَ عَنِّي
وَلَمْ آوَيْتَنِي فِي بَيْتِكَ وَأَخْرَجْتَنِي عَنْ مَدَارَاتِكَ وَأَهْلَكَ
مَا هُوَ زَمَنُكَ بِالْأَسَاسِ
وَوَقْتُكَ مَا لَهُ
مِنْ وَقْفَةٍ
أَنْتَ خَارِجُ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ
لَأَنَّ يَدَيْكَ الْمُدْرِبَتَيْنِ هُمَا اللَّتَانِ تَصْنَعَانِ الزَّمَانَ
وَالْمَكَانَ
وَتَمَحْوَانِ الْمَكَانَ
وَالزَّمَانَ
فِي نَفْسِ الْوَقْتِ
حَنَانِيكَ أَيُّهَا السَّيِّدُ
حَنَانِيكَ أَيُّهَا السَّيِّدَةُ.

انصهار

أَنَا تَرْسُكُ
وَأَنْتِ حَرْبَتِي الْوَحِيدَةُ
أَنَا قَوْسُكَ
وَأَنْتِ سَهَامِي الْمَصُوبَةُ
جَرَّتْكَ
وَفَخَارُكَ أَنَا
مَنْجَلُكَ
وَأَلَّةُ حَصَادِكَ أَنَا
أَنَا غِيَمَتُكَ الَّتِي لَا تَهْطُلُ
وَأَنْتِ
مَطْرِي الْمَنْهَمُ
أَنَا قَوْسُكَ الْمَشْدُودُ بِالسَّهْرِ
وَالْحَمَى

وَأَنْتِ يَقِينِي الْمُنْدَثِرِ
شَدِينِي إِلَيْكَ
لَثَلَا أَنْكَسِرَ
أَيْتَهَا الْمَجُوسِيَّةُ الْمَصْبُوبَةُ
مِنَ الْجَحِيمِ
وَالصَّخْرُ !!

أَرْضُ مَلُوحَاتٍ

كَلِمَاتِكَ
حُرُوفُ
مُضْمَرَةٍ
وَكَلِمَاتِي
أَرْضُ مَلُوحَاتٍ
أَقْذِفُ إِلَيْكَ بِالْجَسَدِ فَتَعْلِقِينِي عَلَى أَنْشُوطَاتِكَ الْقَوِيَّةِ
إِلَى أَنْ يَنْقُضِيَ اللَّيْلُ
اللَّيْلُ عَلَيَّ سَرْمَدًا أَبَدًا
وَهُوَ عَلَيْكَ سَمَاءٌ وَوَشَاحَاتُ
وَهَآنَذَا أَتَلَصَّصُ عَلَى النَّهَارِ مِنْ فُرْجِ الْبُيُوتِ
وَمِنْ خِلَالِ أَصَابِعِكَ الرَّنَانَةِ
فَلَا يَخْرُجُ لِي سِوَى الْجَمْرِ
أَمَّا أَنْوَارُكَ
فَشَهَبٌ
مَصْبُوبَةٌ
وَنِيَازُكَ !!

أَيْتَهَا السُّوسَنَةُ الَّتِي تَشْبِهُ عَمَلَ الرَّبِّ الْآخِرِ

أَضْمَكِ بَيْنَ شَفَتَيْ
وَأَقْضِمَكِ قِطْعَةً قِطْعَةً

إلى أن يخرج إليّ صوتك
وصورتك
فأقف أمام قلاعك القوية
وحصونك
المدججة
كالجاهل
أنا مأخوذ بالرسوم والتقاويم
وهأنذا أرفع أنقاضك المنجرفة
بيديّ - المستسلمتين - إلى قمم جبالك الضارية
وأرضك الرحبة
المسيجة بالوحوش والضواري
أنت الظاهرة لديّ
أيتها السوسنة التي تشبه
عمل الربّ
الآخر!!

الزيتونة والمشكاة

أهي المهالك لك
أم أن مسلكك الرديّ
شمسك منارة على كلّ طريق
وشمسي لا تقف إلا على كتيب مهيل
غربتي
سكن لك
وغربتك
سكناي
أنت أيتها المنجردة
ما لك من مشكاة

وما لي من زيتونة
إحاطتك بي
تفوق قدرتي على الفعل
واحاطتي بك
تتفوق على السوى
من يسكن في منزلك أيتها المأخوذة بك وليس لك
من أجير
وحامل مشكاة
سواي؟!!

سرمدية اللذة

إذن
تأتيني بالليل والناس نيام
فأتيك ضحوه
وعند مضرب كل فجر
أعلمك بسيماك
فتعلميني بحروفك وكلماتك
عيني عليك
وعينك علي
رغم ما بيننا من الأزل
إلى سرمدية اللذة
من هاجس الحكايات
وحتى مطلع شمس حمئة
لن أشرك فيك أحداً
ولن
يشاركني فيك
سواك.

ما بين رمز ورمز

أنا صورتك المركوزة
في الطرق
وعلى حواف اللحاءات
وأنتِ صورتني
المبثوثة في كل خلية
وعلى طرف كل حصاة
قائمة أنتِ لي بالمرصاد
وليس ثمة ميثاق بيني وبينك
سوي ما تتطلبه الروح من الشهادة وما يعرفه
خيالك الذي يتغلغل في كل رمزٍ
سأكتب ما تبين لي
وستكتبين ما أبيت لك
وها هو زيت المشكاة
قد أشرف على النفاذ!!
فيالك من ريح عاتية
ويا لي من سراجٍ
وهاج.

صوى

سأقول لك
من أي البلاد أنتِ
وما هي وجهتك
وما ولأكِ
عني
وما هي قبيلتك يا شفيعة
هل أنتِ مدينة الرغبة
أم بيت العصمة

والطاعة؟
هل أنتِ سرمدية الأنوثةِ
أم أبدية اللذةِ
وما بين سرمدية الرغبةِ
وأبدية اللذةِ
علاماتٌ وصوى
فراثك
زجلٌ لطيرٍ يحترقُ
وفراثيَ
ماءٌ
أَجَاجُ!!

ظهيرة الآل

لماذا

تتركين على شفتيَّ طعمَ ملحك الحارّ
ورائحةَ حرائقك
وها هي ذي شجرتك العاليةُ
تنتصبُ أماميَ
وعلى مرمى حجرٍ
ولا ظل لي
أنا في متاهة صحراواتك اللانهائية
ألمع مثل الآلِ
والسرابِ
وبينما يقصدك الهلكى
والمتعبون من كل فجٍ
أقف أنا في العراءِ
والبردِ
إلى أن تحل عليَّ عطايك

أيتها الواهبةُ
الموهوبةُ
يا شجرةَ الإلّ
ويا ظهيرةَ الألّ.

جلجثة

أردكِ وأنا على شفا الماء
وأرتكنِ إلى حقيقة اسمك
فأسمع بشبشة النزولِ
ودهمش الرؤيا
وصليلَ الضحكات التي تجلجل في الحلقةِ
ليس للظلام سوى معنى واحدٍ
هو حقيقة النور
وليس للنور اسم
سوالكِ
أنتِ.

الماء الجارح

طعمك بلون الماء الجارح
وطعمي بلون الأسي الرنانِ
كافة مسالكك وعرةٌ
وعلى بواباتك المسيجة باللظى
أسمع ديب حرسك
ولمعان شهبك
لا أهل لي
وسكناي عندك
وكأنما مسافر بجراحات
أحمل عصاي بيميني

وبشمالي
أجر جر متاعي
وكانك سرابٌ بقيعة
يحسبه الظمآن ماء
أما مأوك فلا هو عذبٌ فنشرب
ولا أجأج
فتتلظى.

حشرة الزمن

الزمنُ

حشرة تقرض ويبطء
كل ما عملته الأيدي
لم يكن لنا من عملةٍ غير هذه الساعات
لكي ننشر على صارياتها الصدئة
أرواحنا التي تعملُ مثل فخاراتٍ
تتكسّرُ
على عتبة البحر
الذي يضيءُ!!

خطاب الموت

الكلماتُ

التي نربّيها - كل صباح -
تحت أسقف بيوتنا الواطئة الضالة
تتحول كل يومٍ
إلى نبات ظل راسخةٍ
لكي تسهر هي الأخرى - وبمفردها -
على شرفاتنا المغطاة
بالألم

والندم
هل لهذه الكلمات
أن تتأثر من الزمن
ومثلما يفعل خطاب الموت
الأعمى
بآلته التي لا تتوقف
عن السمع
والطاعة.

انصهار
ذات مرّة
سيكون الألق للنهاية
وسوف تكون الوردة
نفسها
من نصيب الألم.

تبدد
إذ
يتبدد الهواء
يظل القاع عالقاً
وجريحاً
بقطرة
الماء
التي تتفحم.

سكنى
سوف يتوقف الغيم
على إناء تلك الشجرة

كهفٌ وحيدٌ
تسكنه الشمسُ :
القمر .

صلاة الورد

القطُّ التي تتفحم على نوافذ الروحِ الهرمة
أجنحةً لفرشاتٍ ميتةٍ
سوف تنسلق وبعفويةٍ
صلاة الورد
من يملك أن يقول لملاكِ النظرة الأخير :
من ثقب الإبرة
يولد البحر
والبحرُ
هو نَفْسُ الطبيعة
المفخخة .

إبرة الحقل

بيدٍ مسننة تكتب الريحُ
وبيدٍ مشتعلة تخططُ العاصفةُ
أيادٍ تعمل
وأيادٍ
تطحن الذاكرة
ملحٌ جافٌ
فوق إبرة الحقل .

نزوع

ينزع الجسدُ إلى الوحدة
وتنزع الوحدة - إلى مرايا الغرف المقبضة

سوف تظل هذه الجدرانُ
بزواياها الأربعُ
علامةً
على فعل الزمنِ
الذي ينزَعُ إلى
التحليلِ.

هواء الشجر الأسير
تهتف النجمةُ المستقيمةُ
لقمرٍ وحيد
على إناء الليل البردان
إذ ذاك
يقف ظل الوردةِ
كشاهدٍ أخيرٍ
على التغيرات التي تطرأ وبكثافةٍ
على هواءِ الشجرِ
الأسيرِ.

سلاماً أيها الحجر
الحجرُ
بأغلاله
وغلالاته
نفس أخيرٍ
لهواءِ الغرفِ المقبضةِ
لا شيءَ
يسبر أغوارَ الجسدِ الرّنانِ
غير تصدعاته التي تتكفلُ بنشارة اللدّةِ
من على مائدةٍ

الوحدة
سلاماً لك أيها الحجرُ
بأغلاك
وغلالاتك؟!

مجد الشواطئ

ها هي السماء الواطئة
تلتف على أشجار الروح مثل سرطاناتٍ هائلةٍ
وعلى طاولات الزبد والرّخام هذه
سوف ينحسر البحر على إيقاعاته التي ترتفعُ
مثل موجةٍ ضريقةٍ...
أي علامةٍ على مجد الشواطئ
بينما يعزف الموجُ أسطوره اللانهائية
بأصابعٍ من زبدٍ
ترتعش!!

أيها الهواء لا تذهب بعيداً

لا تذهب بنا بعيداً إلى هذه الناحية أيها الهواءُ
أيها الهواءُ لا تذهب بعيداً
فسوف نكتشف كيف يكون الهواء عميقاً في كل تلك الناحية من الليلِ
أن تلك الأيام التي تتكدسُ
ما هي إلا جثث متراكمةٌ
لحيوانات ضالةٍ
في جسد الليل الميتِ
بينما صخوره التي تنحدرُ
تسقطُ
وبضراوةٍ
فوق فوهة العدم الشرهة.

أبداً أبداً

لم يكن لهذه الشجرة أن تكتب على الفراغ:

الزمن بلا تاريخ
والماضي قد يعني الحاضرُ
والحاضرُ

قد يعني الماضي
أبداً

لم يكن لهذه الكلمة أن تتفوه بالحكمة
تلك التي يعزفها الجذرُ
ثمّة هواءٌ يتأهب لليلٍ
لا غنى عنه!!

امتثال

من ذات اليد التي تحمل الحربة
يخرج النهار على عجل
إلى ممرات الهزيمة والنصر
الليلُ بنجومه الأخاذة
كنظرة الأجير
مغفلةً من الاسم
أخيراً
يمثلُ الظلُّ للنبته.

أيها الموت الحطاب

من ذلك الاسم
يولد من جديد اسمٌ آخر
من تلك السماء الموضوعة
تخرج سماوات أخرى غير موضوعة

من تلك الوردة
الجهمة
تنبت وردةً جديدةً وغير جهمةٍ
لا شمس
ولا قمر
فقط هاويةٌ تتربصُ
طوبى
ليدك التي تعمل بأنشوطاتٍ وخطاطيفَ
أيها الموتُ
الخطابُ
بلا مساندةٍ من أحد.

قاب قوسين

هل أَرُدُّ الماءَ صفوًّا
فلقد خلعتُ عنى النعلينِ وما أحمل سوى متاعب الطريقِ
وقلة الزادِ وبُعدِ السفرِ
أرى طائرَكَ بجناحيه الأبيضين يقف منجرداً في الأركانِ
وها هو ذا يومئ لي وما بيننا من إشاراتٍ سوى الوصلِ والقنوطِ
وإذ أهمّ
ينتقل من وادٍ غير ذي زرعٍ
إلى وادٍ غير ذي زرعٍ
ومن خطوةٍ نائيةٍ لسفرٍ دانٍ إلى خطوةٍ دانيةٍ لسفرٍ ناءٍ
تقع المسافة ويبدأ الطريقُ
فلا أستظل إلاً بِي
وأفرد مظان الرؤيةِ
ومراصد السككِ
وأتبع خيالاتي الهائلة الضحلة
وكانما وقعت في الشركِ

وحاق بي النسيانُ
فتأخذني حيث تشاء ولا آخذها حيث أريدُ
فبين المشيئة والإرادة
هولٌ غير مأهولٍ
وسماواتٌ بلهبٍ وشواظٍ
إلى أن يشقق الحلق من العطش
وتنعدم الرؤيةُ
وأقف في الفصلِ والوصلِ ولا تلوحين إلالي
سهرك لا يحلو سوى والناس نيام
وعلى طاولاتي يأخذ المجازُ حقيقةَ الرؤيةِ
ويصبح الماءُ
قاب قوسين!!.

طائر الموت الأخرق

أيها الموتُ
كن رفيقاً بي
ولا تأتِ سريعاً
مثل طائرٍ أخرق
فقط
توقف أمام منزلي
مثل سيدٍ مهذبٍ تماماً
واركن درجاتكِ الهوائيةَ
وخذ معاولك
وقفازاتك
وكافة لوازمك
إلى حقلٍ مجاورٍ
وانتظر
انتظر

لبضع دقائق أخرى
ريثما تجفّ سراويلي
وانتهى من إعداد قهوة لي
ومائدةٍ لآخر أصدقائي الموتى
وأهيمى سريراً لتلك الشمسِ
الخالدةِ
وربما
أكتب قصيدةً تشبه هواء
هذا العالم المتوحش !!

خبزنا كفافنا

الألم يجري على الأفاريز ويقفز من النوافذ
الألم هذا الهواء الملبّد بالمكر والخديعة
مثل أسماك ميتة
يزيح أغطية الليل البردانة حتى
عن أطراف الليل الرطبة هذه
الألم يحوّل الخبز إلى سلاحف وتنانين
ويجعل الأعضاء التناسلية
تنمو أكثر من اللازم
ومثل حقل من النباتات الشوكية
الضوء - نفسه - يتسلّل هارباً من الضوء
آه

يا روجي التي تتسع لألف قبر
و يا قلبي الذي يتسع لألف هاوية
ويقيم - بمفرده - على حافة الأود
لَمْ كانت كل هذه الساعات الهَرمة
أيها القمرُ يا خساراتي المتواليّة
لَمْ كانت كل هذه الرحلة - المربكة - بالأساس

أيها الليلُ يا هزائمي الأكيدة
لا صوتَ هناكَ لطائرٍ حتى ولو كان أعمى
ولا حنينَ لشجرةٍ حتى ولو كانت زائفة
صارت الشوارع
لا تتسع حتى لروحي الدبقةِ
أو حناناتي الميتة
المتوحشة
ومثلما تتسع لملايين الحفر والمكائد
وملايين النجوم التي تنطفئُ
يا إلهي
أعطنا خبزنا كفافنا
خبزنا كفافنا
أعطنا
يا إلهي!!

عن محمد آدم برواية محمد آدم

لكم كانت حياتك يا محمد آدم
خربةً
وخاويةً
أنت يا قائدَ جيوش الفوضى العارمة وكافة المدن المحاصرة
بشكتك الخشبية هذه
سوف تقف على كافة الأرضفة المبللة بالخديعة والندم
لتقاتل في صفّ الخسارات الدائم
ولتكون بشرائعك المنقرضة هذه
وسُنتك البالية
البطل المأساويّ في ملهاة التاريخ الضخمة
أنت
يا مرساةً ترفع مضخاتها الصدئة على صدفةِ العدم الرّنانة

أعرفُ

أعرفُ

لقد كانت حياتك الموقوفة على الزنازين والسجنِ

مثل حصاةٍ متدحرجةٍ على سفحِ جبلٍ

أو قشةٍ بين أمواجٍ بأنيابٍ

ومخالبٍ

أنتَ

أيتها الكلمة التي ما خرجت من بين شفتي إلهٍ قطُ

بل

من فوهةٍ فجعيةٍ!!

زنجي

الأسودُ المثيرُ للضحكُ

الموسيقيُّ كثيرُ الحركةُ

اللونُ التراجيدي

للعالمِ

صورة العم توم المطيعُ

ذلك الزنجي الذي يرثُ الأرضَ

ويهبُ السماءَ حيويتها المفرطةُ

أنتَ

أيها الزنجيُّ الأسودُ

المثيرُ للضحكُ

سوف يكون لك - وفي نهاية الأمر -

حنجرتك الملونة

التي تعرف كيف تقضمُ

سكينة الكراهية

بفمٍ

ضاحكٍ.

بيلاطس البنطي

كيف نصل إليك أيها الآب السماويّ المبجلُ
الجالسُ خلف سحباك الرنانةِ

المدججةِ

بالشهبِ

وملائكتك الشدادِ الغلاظِ

أنت!

أيها السيد الآب المدشّن بكلّ قوةِ

والمحاط بكلّ مشيئةِ

سماواتك السحيقة الغور مثل قيعانِ

بألف بحر وما لها من قرار

نائيةٌ

وقاسيةٌ

كصحراواتٍ تفهقهه بألف فمٍ

وتصفّر فيها الدببة المرنّةُ

والسحالي الصخّابةُ

وسطاؤك كثيرون ولا يحصى لهم عدّ

بدءاً

من إبراهيم الذي وفيّ

وترك امرأته الأثيرة كالزمردة

في العراءِ

والبردِ

بلا كسرةٍ واحدةٍ من الخبزِ

أو حتى

قطرةٍ من الماءِ

ومروراً بمعجزتك البحريةِ

يونان الذي ابتلعه الحوتُ وألقاه في اليمِّ

مثل فقمّة هائمةِ

إلى هرمس
وأفلاطون
ومريم امرأتك الوهابة
وأسطورتك النسوية المدوية
عبر العصور
إلى الرب الإله
مخلصنا

يسوع المسيح
ابن الناصرة والطفل الجليل للسيدة العذراء
الراكب الأعزل للأثنين
والذي لا يظهر سوى للفقراء
والمعوزين
وكافة خرافك الضالة
في براريك الشاسعة المتوحشة
والغير مأهولة
أنبيائك العراة!!
أولئك الجوّالون البررة
والمطهرون
لا يظفرون سوى بالطيبات
والبركة
بينما نحن الأثمون والخطاة
لا نجدف إلا في الضلال
والوحل
وبلا مصاييح تضيء لنا حتى طرفك الوعرة هذه
مثل مجموعة من الفئران الضالة
وخُلد الماء
وأسفاه!!
ما لنا من محيض

كُتِبَتْ عَلَيْنَا اللَّعْنَةُ
كَأَنَّمَا
جِئْنَا إِلَى هُنَا
إِلَى الْعَالَمِ
مِنْ أَجْلِ خِلَاصِ الْعَالَمِ
بِدُونِ إِرَادَةِ مَنْكَ
أَوْ حَتَّى مَشِيئَةٍ مِنْ يَدِكَ الَّتِي تَخْطُ فِي اللَّوْحِ
بِلَا مَحْجَةٍ
أَوْ حَتَّى أَسْرَارٍ
كَذَلِكَ

لَمْ نَكُنْ فِي حَاجَةٍ إِلَى جَنَّتِكَ الْعَالِيَةِ
وَلَا إِلَى أَرْضِكَ الْوَاسِعَةِ ذِي الشَّعَابِ وَالْأَخَادِيدِ
فِيمَا تَخُوفُنَا كِلَابُكَ الضَّارِيَةُ السَّعْرَانَةُ
مِنْ الْجَحِيمِ الْمُسْتَعْرِ
وَنِيرَانِكَ الْقَوِيَّةِ الَّتِي تَشْوِي الْوُجُوهَ كَالْمَهْلِ
مَاذَا نَفْعَلُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَتَاهَةِ الْمَهْلِكَةِ
أَيَّدِينَا مَعْرَاةً مِنَ النِّعْمَةِ
وِخَالِيَةٍ مِنْ كُلِّ إِرَادَةٍ
أَوْ حَسَنَةٍ
وَلَا نَقْفُ إِلَّا عَلَى الْخَطَا وَالشَّرِّ!!
جَنْدُكَ مُسَلَّحٌ بِالْيَقِينِ الْخَالِصِ
وَلَا سَلَامَ لَنَا
عَلَى الْأَرْضِ
لَتَكُنْ مَشِيئَتُكَ
أَيُّهَا السَّيِّدُ الْعَادِلُ
لَيْسَ لَنَا مِنْ سَلَامٍ حَقِيقِي سِوَى مَا تَفَرَّغَهُ
الْأَرْوَاحُ الشَّرِيرَةُ
مِنْ صَلَوَاتٍ لَا تَنْتَهِي
وَأَدْعَى تَشْبَهِ الرِّكْشِ وَالْحِجَارَةِ

على بواباتك المغلقة بالرصاصِ والسحرة
نجلس كالقردة والأفاعي
وأبناء آوى
ولا خلاص لنا
سوى ما يقوله الروحُ القدسُ من ترهات
وأكاذيبَ
لا تحمل أي أملٍ في الخلاصِ
أو النعمة
فيما نعوي نحن الموصومون بالخطيئة الأبدية
والخطأ الخالصِ
كالكلاب الضالة
عبر بواباتك الواسعة الرحبة
والتي تعجُّ بالمن
والسلوى!

نوبة صحيان

ما الذي يجعلني أنتظر
ما الذي يجعلني أنتظر الشمس أن تشرق
ما الذي يجعلني أنتظر البحر أن يمر من أمام منزلي
وقبل أن ينام
ما الذي يجعلني أنتظر الأرض أن تكف عن الدوران
ما الذي يجعلني أعلق هذه النجوم جميعاً
وإلى أعلى نقطة
فوق سطح بيتي
إلى جبل غسيل
ما الذي يجعلني - وعندما أريد أن أنام -
أربطها كلها في طُرفِ حذائي
ما الذي يجعلني أتصيّد للسماء أخطاءها البجمة

وانتصب في الشتاء عارياً
مرجحاً كينونتي
كينونتي الزائلة
كينونتي الهشة
ما الذي يجعلني أسحب القمر من رأسه
لأفليه
وبعيداً عن المنحدرات
وقانون الجاذبية
ما الذي يجعلني أنظر إلى الموت شزراً
وأقول له:
أيها الحصّاد الأكبر
مهما ضحكت
واجتهدت
فلن تأخذ مني أي شيء
سوى كومة من العظام النخرة
والأحوال.

أيها الموت

يا صديقي العاطل عن العمل
لأنني أعرف أولاً وأخيراً
أن الكل باطل وقبض الريح
ما الذي يجعلني أنظر وبضراوة إلى الوحدة
وانتظر الليل في الليل
وفي هدوء
وتؤدة
أتلصص على النهار من فُرج البيوت
ما الذي يجعلني أقبض على الهواء متلبساً
وأقول له

أيها المراءوغُ اللصّ
لماذا تتخفى في شعرِ امرأةٍ
ما الذي يجعلني أقول للبحر
أيتها السلحفاةُ الهائلةُ
ذات الدرقاتِ
سلاماً
سلاماً
سلامه...

أيها السيدُ الغامضُ
ألم تتسلق شوارع الوحشة واليأس الجهنمية هذه بعد
ولم تمشي في الأرض مَرَحاً؟
ينبغي أن تتعلم السير في الطرق المنزلة
والمعتمة هذه
ولو لمرة واحدةٍ
كمتسول
ولاعب سيركٍ
وأعزل
وجامع قمامةٍ
وأجيرٍ
كيف يمكنك أن تكنس شوارع الغبار هذه
وبيدين عاطلتين عن العمل تماماً
وكالحتين
تجلس على الأرصفة
ممدداً أرجلك الخشبية
التي تشبه أرجل سرطانات هائلة
ولابساً عويناتك القرمزية المضربة
ومعداتك التي لا تعمل
من نهارات صدئةٍ
وأجولةٍ من الأساطير

والحكاياتِ
لا لتعمل ومثلما يعمل الآخرون
وإنّما
لترقب المارة
وعابري السبيل عن كُثْبٍ
وهم يندفعون نحو موتهم المجاني
وحياتهم التي لا تساوي بصلّة
وتماماً
ومثلما كان يفعل ملك من ملوك الهنود الحمر
وهو جالسٌ على حافة الندم
يحصي أشلاء جنوده وعدد قتلاه
بعد انتهاء إحدى معاركه الأخيرة
وإصابته بطعنة نافذة في القلبِ
وفي نوبة صحيانٍ
طاغيةٍ
كان عليه أن يتذكّر
كم هو عميقُ
كل هذا الألم!!
كم هي واسعة كل هذه الحفرة
من اليأس؟!

أيها الوقت

أيها الوقتُ!
هب لنا بعضاً من الحركة والفعلِ
دون أن نشعر أو حتى نحس
أعطنا بعضاً من حياتنا التي سرقناها سوياً من الموت
وامنحنا مزيداً من البركة
لكي نمارس رغباتنا الصغيرة

بحيوية جذع أعزل
وتأهب عربية
تالفة!!
سوف ننفض الألم عن ثيابنا المتسخة
وبضراوة ثمرة معطوبة
نخلص أيدينا من ثرثرة اليوم الفارغة
وسوف نملاً جيوبنا التي اكتظت من الأسى
بحبوب النسيان الخالص
ونعمل كما لو كنا ملاحين
وبلا بوصلة واحدة في ليل أزرق
وبلا سماء باتجاهات
على طريق الآلام والدم
كانت حياتنا التي بلا ضغينة واحدة
في حديقة اليأس الخالدة هذه
زرعنا - وبكل بساطة - أرواحنا المتفحمة
على حبال بالية
وأوتاد مكسورة
لم نسأم من الوحدة الضريبة
أو حتى نكرها
بل على العكس من ذلك تماماً
تعاملنا معها بطيبة قلب وحيوية
خلد أعمى
ولا مبالاة نرد!
لم نسأل عن وضعنا الإنساني المرتبك
كلا
بل تقبلنا كل ما يأتي به القدر
كأنه نوع من الاختيار الحميم
أو الرغبة الحاسمة
أيها الوقت!

لم يمهلنا الوقت حتى
لنمسح عن دموعنا كثيراً من العطب والأعاصير
أو نجفف بعض ضحكاتنا
التي ضربتها الشيوخه المبكرة!!

شاعر

بلا نياشينَ حقيقيّةٍ أمضي حياتي
مثل ملكٍ مخلوعٍ
بلا تذكارات
أو حتى أكاليلٍ غارٍ
أعمل مثل درقةٍ
مشوهةٍ
أعمى
وأصمُّ
أحياناً أقول لنفسي في محاولةٍ يائسةٍ لانتشال روعي الميتة
من الوهدة
إنني شاعرٌ
شاعرٌ وكفى
من ذا الذي سيهتم
الجميعُ قد غادروا منازلهم وربما أرواحهم كذلك
البعض قد ذهب إلى البحر
البعض قد ذهب إلى الخارج للعمل أو للدراسة
البعض الآخر قد فضل الموت
على حياةٍ كهذه
ولأن الجميع قد يفكر في السيارة
والمرأة الجميلة
مثلما يفكر في الحذاء
وأسعار العملات

أقول لنفسي:
علينا أن نعمل - يا روجي التعسة - مثل حيوانات ميكانيكية
بقوة الجاذبية
وحركة الطبيعة العمياء
بلا هدفٍ أو حتى أملٍ
الوجودُ
والموتُ
التوحدُ اللاإنساني
والسلامُ
التعاطفُ
والرحمةُ
الأمُ - الأبُ - والروحُ القدسُ
كلها من مخلفات الذاكرة
مثل بيتٍ بأنقاضٍ
وبلا ذكريات
الخيرُ
الشرُ
علامتان إنسانيتان فقط
الموتُ
هو هدف الحياة النهائي
وربما الأكيدُ
كذلك.

أحجار

على حافة روجي الجريحة
روحي المتوحشة
المرحةُ
تنبت هذه الأحجارُ

حجرٌ أسود للموت
حجرٌ أبيض للذكرى

حجرٌ أحمر

للدّم

حجرٌ أزرق للأحلام

حجرٌ أخضر

للنسيان

ترى

أي شيءٍ يمكن أن ينتزعه الموتُ مني أنا البحّارُ الأعمى
وبعد أن أكون قد ألقيت بكل هذه الأحجار التي تعملُ
أسفلَ السماء التي تنحدِرُ.

احتفال من أجل لا أحد

(1)

سأحتفلُ بالأرضِ

لأنني أومن بالريح

سأحتفلُ بالريح

لأنني أومن بالأرضِ

(2)

المنجلُ الذي يحصدُ

الزمن الذي يقطعُ ويشرّحُ

الحياة التي تنعم باليأسِ

والأملُ

الفعلُ

والالافعلُ

وجهٌ متغضن

لحياةٍ شبه

جامعة!!

(3)

سنواتنا التي تشبه أنهارَ الملح الجافّ
أنهارنا التي تشبه الظمأ والنسيان
كلماتنا المشبعة بالندم
والسواد

نخلاتنا التي تنبثق وبضراوةٍ من الدم
أرواحنا المكمللة بالشوك
جراحنا التي تشبه الحصى
احتفال من أجل لا أحد.

(4)

آه

تلك الهبة التي للجذر
الإطالة الغريبة لأغنيات الموتى
الوجه العظيمي للزمن
الصوت المدوي للعدم
احتفال من أجل لا أحد.

(5)

الذي يبصر الحزن
الذي يدرك الألم الحقيقي للوردة
الذي يبصر الندم الأكيد في الأصابع
الذي يعرف حكمة الخلاص
وحقيقة النعمة

الذي يقول عن الهواء:

إنه النشيد الحي عن الظفر الإنساني والموت في النهاية
كل ذلك

احتفال من أجل لا أحد.

(6)

حتى الهواء نفسه

وهو يحتاج بين الحين والآخر إلى التفسير الإنسانيّ

الأقلّ كملاً من الموتِ

لكي يلعب الزمنُ على بندوله الخالصِ

وتعزف الروحُ

على سلّم التناقضاتِ

احتفال من أجل لا أحد

(7)

الربيعُ

بأبهته وأنامله الملونة بالفرشاتِ والشوكِ

السماء بأنفلاتها المدمرة للآشياء

الحصى

بصراخه المرنّ

والمنبعث بضراوةٍ من الغسقِ

حركة الأذرعِ

وتكامل اليَدِ

ترنيمة الخلاصِ

واختلاجة العدمِ

أوانٍ لطبوغرافيا المكانِ

واحتفال من أجل لا أحد.

طراد

العقلُ

آه

تمكنتُ منك أيها العدميُّ!!

طريقة أخرى للحياة!

سأسكن في هذه الناحية من الألمِ

حيث تسكن صديقتي الحياةُ

سوف يكون للهواء أنبوبة ماصة تسمى الرغبة
حيث تأتي الريح مترجلة
ثملة

وأقول لها: آه
يا حناناتي الضائعة
سوف يكون الله صديقاً لي
ولا يسبب لي الخوف من النار
أو الجحيم المستعر
من حممه التي لا ترحم
وثوراته المدمرة
من براكينه التي لا تتوقف
وزلازله التي لا تهدأ
من عواصفه الهائلة
وطوفاناته
وسوف أتألف مع الموت
في صداقات
وتحالفات
ولا يعود الموت - هذا الأخطبوط الماهر بشبكاته الكهربائية
وأفعواناته -
يشكل تهديداً خطيراً
لي
عندئذ
سأضع يدي في جيبي كمتسول
وعابر سبيل
ولا أعبأ بطاحونة العالم هذه
وسأنتصب مثل قارة
غارقة
وأضع الشمس في يميني
والقمر في يساري

وأتناول طعام إفطاري المطعم بالإثم والبراءة
مع كل أصدقائي المنسيين
من الققط الضالة
وكلاب الشوارع
وعلى مائدة الوحدة
المسننة هذه
أنأمل الفراغ
بعين منجرحه!!

عن سيرة حياة رجل تافه

أنا رجلٌ تافهٌ بما يكفي
لم تنفعني حياتي الماضيةُ بشيءٍ
ولم يتقرر مصيرُ خيالاتي بعد
نزول خمارات سابق
وصديق دائمٍ لمستشفيات الدرجة الثالثة وكذلك
لنوبات الجنون
والصّرع!!
أنا أستاذ وأبله
فقيه في علم الروث الكوني
وصديق دائمٍ لسقراط
مقامرٌ ولا أملك سوى أزرار بنطلوني
وفردتي حذاءً من مخلفات حربٍ كونيةٍ سابقة
لم يقل لي أحدٌ ما هي الحياة
وماذا يحدث بعد الموت
أصاب بالزكام لمجرد عبور امرأةٍ على سطح الذاكرة
أشعر بالأمراض الجمّة وأتعلل بالأوجاع
حتى لا أذهب إلى العمل اليوميّ مثل حمارٍ بعويناتٍ
في الحمامات العامة

أصاب باسفسكسيا الغرقُ
وأبصق على كافة الجماهيرِ البلهاءِ التي لا تعرف غير معنى واحدٍ للحياةِ
أبولُ بضجرٍ
وحميميةٍ على كافةِ النظمِ السياسيةِ والديكتاتورياتِ
أكاد أنتشي حماساً لإحساسي الدائمِ بالعبثِ واللاجدوى
أنا رجلٌ تافهٌ بما يكفي
أقلب في فراشي مثل رجلٍ مصابٍ بالصدفيةِ
ومثل درقةٍ
أحلم بالشيء
ونقيضه في نفس الوقت
أتوقف أمام كافة الشوارعِ
وأقول:
يجب عليّ أن أجلس على كافةِ الأرصفةِ المعاديةِ
- دعوني أحيي هذه الأرصفةَ التي كلّت من الوطاء -
أرفع تحياتي الحارةَ للشمسِ
وأقول:
أنا الكائنُ العابرُ بشكل غير متنبهٍ ولا إنساني
كل امرأةٍ تعبر من أمامي أُلْمَحُ تحت ثوبها جسداً يتكلمُ
أو أسداً يزأُرُ
كل نجمةٍ تظهرُ
أو تختفي
تكون بمثابة روح ضالةٍ أو عينٍ شريرةٍ
كل قمرٍ يضيء - هو بالتأكيد - نسيانٌ أخيرٌ لرائحةِ الموتِ
كلما أتوقف لأتذكر اسمَ شارعٍ
تهبط على رأسي حمامة ضالةٌ
كلما أنحني لأربط حذائي
تسقط مني دمعةٌ متأكلةٌ
أنا رجلٌ تافهٌ بما يكفي

اللايقين يصير حقيقياً لمجرد أنني أفكر فيه
المادة تتحول بين أصابعي إلى الآب والابن والروح القدس
كافة المحسوسات تتحول إلى اللامحسوسات
الميتافيزيقا تنتقد كل فلسفة الأبعاد وفلسفة اللاأبعاد
وتخترع لنفسها ميتافيزيقا جديدة
العالم يستحيل إلى مائدة من وسخاتٍ
ومجموعة من الكلاب الضالة
وقطط من الفخار
المضمحل
في الطبق الذي أتناول فيه طعام إفطاري
تسقط كافة ذكرياتي الميتة والحية
على السواء!!
أنا رجلٌ تافهٌ بما يكفي
لعدم درايتي الكاملة بقوانين الدولة الاستثنائية
وألأعيب رجال السياسة الوقحة
والتشريعات العجائبية الغريبة عن مجمل الخير والشرِّ
ورفع أسعار الفائدة
وزيادة معدلات البطالة أو التنمية
وانتشار الفقر في العالم
وزيادة معدلات مرض الإيدز
ولماذا ظلَّ الرجل الأبيض هو السيد وبامتياز
على كافة العصور
ولماذا ظلَّ الرجل الأسود هو العبد وبامتياز
على كافة العصور
هل كان الله منحازاً للرجل الأبيض - وطوال الوقت -
إلى هذا الحدِّ
أم أنها الصدفةُ الغيرُ مبررة ولا منطقيةُ
أنا رجلٌ تافهٌ بما يكفي
أقرُّ السير في هذا الاتجاه

فأكتشف أنني أسيرُ في اتجاهٍ آخر
أقرُّ

عدمَ الكلام مع أحدٍ البتة
فتنفجر كل خلية - في - بالضحك
أتطلع من فوهة غرفتي

نحو قبة السماء الصافية فأرى القمر ينظر لي
بنصف عين والنجوم تتبول في تلك الناحية من الجسر
أجلس على الأرصفة
ودائماً ما أجلس على الأرصفة فأرى الشمس أرنباً
والقمر فأراً

وبقوة الرغبة في الحياة أواصل السير
والتفكير في اللامفكر فيه
لا أدري لماذا ودائماً أفكر في اللامفكر فيه
فأصاب بالشلل التام

وتتوقف كافة خطوط مواصلاتي
وأفقد الثقة في العالم
وأنهار على أول رصيف مقابل
أحياناً تتتابني الرغبة الملحة في أن
أخرج عضوي لكل شيء في العالم
وأبول على كل شيء
وأقول إلى الجحيم لكل هذه المهزلة
الأرضية!!

يا لها من مسرحية فجّة
الله والشيطان
وأنا بينهما

مثل كرة البلياردو
يا لها من حفلة تنكرية
وميتافزيقية كذلك
لا تكاد تنتهي إلا لتبدأ

ولا تبدأ إلا لتنتهي
في اللحظة الواحدة أكون الشيء ونقيضه
غالباً
ما أرتكن على الرصيف لأرقب حركة الشارع العضوية
وهي تنقبض وتنبسط مثل رحمٍ
بألف فمٍ
لم لا أقول:
أن هذه السماء صندل
وأن هذا الليل
جورب بثمانية أزواج
لم آت لأقلق أحداً
فقط
أقلقت روعي الجريحة
أنا سائق العربّة المعطوبة
لست أكثر من دودة تسعى على الأرضِ
و 70 كيلو غراماً
من اللحم المخلوط بالعظمِ
والمخاطات!!

نوبة حراسة

سنواتنا الأكيدة التي أنهكها الألم والوحشة
سنواتنا التي تئن مثل حصاةٍ
ناتئةٍ
في منحرف سيلٍ
سنواتنا التي نربطها في صخورنا الكثيرة
التي تنحدر نحو الأمل واليأس عبر الندم والكراهية
لا لتخلص منها تماماً ونهائياً
ومثلما نفعل بكومة من الأنقاضِ

والتناقضات

بل لنركنها إلى حائطِ العزلة الضخمِ
ونقف إلى جوارها مبليين بالفجيعةِ الخالصةِ
ومشدوهين بالألمِ الخالصِ
كتذكّارٍ أكيدٍ ونهائي
على صيحاتِ الظفرِ والنصرِ
وصرخاتِ الهزيمةِ المروعةِ إثر معركةٍ خاسرةٍ
سوف نقولُ لأنفسنا أخيراً وفي نهاية الأمر
أن البطولة الحقيقية تكمن
في أن نقف على بواباتِ اليأسِ
وبضراوةٍ جنديٍّ أعمى
على أسوار تلك القلعةِ
إلى أن تنتهي
تلك النوبةُ اللعينةُ من الحراسة!!

حماقة التفكير في شيء ما

أن تجلس في حديقةٍ ما على مقعدٍ شاغرٍ وكأنك أحد المتسولين
العظام في انتظار أن تتزحزح السماء قليلاً أو أن ترتكب حماقة التفكير
في شيء ما كأن تدفع يدك في جيبيك لتتأكد من جاذبية
الفراغ الذي تحتفظ به - ومنذ سنوات - لا يزال موجوداً
وأن كمية القصائد التي كتبتها في حياتك لا تكفى بالكاد
لشراء تذكرة واحدةٍ لمرحاضٍ عموميٍّ ناهيك عن قضاء
ليلة واحدةٍ في سرير امرأةٍ جميلةٍ عندئذ - وبدون إرادةٍ منك -
سوف تمدد رجلتيك وكعادتك دائماً في مثل هذه الحالات الحرجة
ستقول: فليذهب العالم إلى الجحيم وسوف تأخذ في متابعة
مجموعةٍ من الفراشات المتناثرة في الحديقة وعلى قيد
ذراع منك وتذكر أسرابَ البقر الوحشي والماعز الجبليّ
أو ربما تتصور كذلك أن السماء - وبلعبةٍ ذكيةٍ جداً - لا تكرر

نفس المشهد ربما للمرة الألف وأنها - أي السماء وهي عادلة بما يكفي - وبدلاً
من أن ترسمك جالساً على مقعدٍ في حديقةٍ شاغرةٍ كأحدِ
المتسولين العظام سوف تضعك هذه المرة فوق محفةٍ
لإحدى الحوريات وأن السماء قد أخذت تضحك
بملء فمها لا لشيء إلا لأنك وقد نبت لك جناحان أبيضان
قد أصبحت نورساً.

يا سقراطي الحبيب

والآن

ماذا تعملُ يا سقراطي الحبيبُ
لا شك أنك عاطلٌ عن العمل تماماً مثلي أو ربما
تجمع كرايسك تحت مخداتك التي صنعتها من رمادٍ وقشٍ
وتنام متأرجحاً ما بين حقيقة الموتِ
واليقظة

هل تنظف شوارع أثينا المبخرة بالزمن
وتكتب على عجيزة الهاوية:

لا شيء يفنى

ولا شيء يستحدث من العدم
أعرف أن زوجتك السيدة المرححة الجميلة تنام شبه عاريةٍ
إلى جوارك في ليالي الصيف الخانقة الحرِّ
رغم ما بينكما من خياناتٍ

وضغائن

هل تشعلُ لك مصباحك الأجردَ
أم تكنس الأفكار التي تتوارد على رأسك بالمقشات
ومثلما تنظف عتبة البيت
تنظف رأسك من الصببان

والقمل

كعملٍ رئيسي من أعمالها اليومية

يا لروعة الحظّ!!
يا لتلك الحياة التي تجلب لك الدعة
واللامبالاة
على حجارة أثينا الماطرة السوداء
يا لتلك السماء التي تخطط كلماتك
بإبرة المجد الصافية
وتحيطك بعينين إلهيتين!!
هل تربط حمامك الأثيني - أمام عتبة الدار -
وتقول لتلاميذك:
امكثوا على بوابة مينيرفا
ريثما أتخفف من ملابس النوم
وأغسل حنجرتي
بحجر النسيان!!
الزمن نعمة يائسة في حياة غير كاملة
أو مبررة.

نقّاد

ماذا سيقول هؤلاء النقّاد عني
سيقولون:
حاول أن يكتب عن الورد
فاخترع بيتاً
حاول أن يلتقط نجمة بائدة فأمسك خشبة
حاول أن يسكن مع الريح في حديقة واحدة
فنام على الأرصفة كالحلزون
حاول أن يكتب عن الحب
فأمسك حجرة الشك هذه
حاول أن يتأبط ذراع الليل البردان
- ويأخذه إلى بيته في المنحدرات ليدفئه -

فأطلق نجمة بائدة
حاول أن يختصر الليل كله
في كلمة واحدة
فجز عنقه!!
ماذا سيقول كل أولئك النقاد عني
بكل تأكيد سيقولون:
أصابه الألم
من فرط ما سكن مع اليأس
في سلة مهملات.

ديكتاتور

أعرف أنك ترقد الآن بسلام
بلا إيماءٍ واحدةٍ أو حتى تعبير عن الفرح أو الحزن
رغم ما تملك من إمكانياتٍ لا نهائيةٍ على إدارة دفة حياتك
الجديدة بين ملايين الأحلام التي تأتيك
ولا تملك القوة المناسبة على إظهار
فرحك أو ضيقك يأسك أو رجائك
فقط تستقبل الأحلام بعينين باردتين تماماً وذراعين
لا مباليتين
وبينما ترقد ممدداً رجلك فإن عينيك الأليفتين
قادرتان على اختراق كافة الحجبِ
وذلك رغم رطوبة المكان!!
تستطيع على الأقل أن تنظر بكثافةٍ إلى السماء اللامتناهية
وأن تحدد جيداً في النجوم
المرصعة بالضوء
ربما يمكنك كذلك أن تفكر بجديةٍ في
أن ترشح نفسك كرئيسٍ للجمهورية العظمي
أو لقيادة صف من الملائكة الصغار

وطابور طويل من العبيد والمستضعفين بدءاً من
كنفوشيوس وانتهاء بماركس
وتروتسكي وحتى المسيح نفسه
كما يمكنك وفي الآن نفسه أن تقيم في أفخم البنايات
محيطاً نفسك بجيشٍ كاملٍ من اليأس
ربما تعرف كيف تحرر كثيراً من البلدان والمدن
التي لم تقم أصلاً بزيارتها
ولم تفكر لمرةٍ واحدةٍ في أن تقوم بزيارتها
إلا برؤيتك لها على أطلسٍ مدرستك الابتدائية
كيف يمكنك وفي النهاية أن تتحول إلى جنرالٍ بكابٍ عسكريٍّ أنيقٍ
وديكتاتورٍ يمسك بعضا المارشالية
لتقف في مواجهة القصاص الجديدة
موقف الحاكم بأمر الله؟!

مجرد ملاحظات

لم يعد لنا غير عادة التبول الإرادي واللاإرادي
القلب أشد اخضراراً من سماءٍ كهذه بلون القرفة
الشاعر له عملٌ واحدٌ فقط
الضوء دائماً وأبداً
خطايا الليل
نحن نعرفها بسيماها
ودائماً
ما يكسوها النهار بتشوهاتهِ وألعايبهِ
الربيع
يكنس الخريف دائماً
بأيامٍ من فضةٍ
وأيدٍ من ذهبٍ محروقٍ ولمّاعٍ كذلك
المرأة التي نجبها كثيراً ما تخونُ حتى القمر

نفسه
الموتُ
بأوردته المدببة وسكاكينه القوية
يأخذ شكل بخار الفناجين
ورائحة غرف النوم
وحوائط المستشفيات
وسارينات
عربات الإسعاف المسرعة
في لعبة الطاو
القاتلة هذه
كانت تلك
مجرد ملاحظات
قد يكون المكسب الوحيد هو نفسه عين الخسارة الوحيدة
وجهان لعملة واحدة
اسمها الحظ
كثيراً ما تبدأ الحياة الحقيقية وعندما يأخذنا الزمن
بأياديها التي لا تعرف معنى الموت حقاً
فجأة
قد نكتشف أن الزمن
مثل بيت بعنكبوت
له نفس الملمس
وطعم رائحة
الخطأ
بحريه الملتبس
ما هي حقيقة المرأة
إن لم نكشف عن حقيقة المرأة
في الليل
وحينما تتمدد الوحدة بجانبني
- مثل خلد أعمى -

أتفرس في أنيابها الشرهة
وأقول:
وداعاً لواقعية العالم.

صديقي الراحل العزيز

إلى
س.ح. في مشواه الأخير

وهكذا
انتهت حياة الراحل العزيز
صدفةً
على الأرض
انتهت
لم يقل حتى لأصدقائه الوداع
فقط صعد وحده درجات السلم بتؤدة
وثقة
كان يرى أن الحياة مثل زهرة النرد
لعبة من ألعاب الحظ الماكرة
أدمن على مطاردة النساء خاصة الصغيرات منهن
وكان يرى أن المرأة الحقيقية تشكل الحقيقة الغامضة لبناء هذا الكون
جاء الصحارى بحثاً عن لقمة العيش
خطط طويلاً لمدن كان يعرف أن أحداً لن يسكنها من بعده
عباً لفافات من ورق الجرائد تحت وسادته
وقال:
إنه سوف يتفرغ يوماً ما لقراءتها
ومتابعة ألاعيب رجال السياسة والحكم
ما الذي جعل صديقي الراحل العزيز
يسكن هناك
على الحد الأقصى من الحياة

أهي لعبة الحظّ الخادعة أم قدره السيئ الذي كان يخبئه في أحد جيوبه
التي تمتلئ بزهرات النرد
الجبالية للحظّ
وحده
كان يرى أن البورصة
وتجارة الأراضي
والسمسة
وأوراق النقد
وتجارة العملة
والبنوك
وعمليات الاستيراد والتصدير
هي آلهة العصر الحديث بلا منازع
وأن لعبة الحياة ما هي إلا الاستثمار الأمثل لكل تلك الآلهة الجديدة
بذكاءٍ
وخدعةٍ
صديقي الذي مات وحيداً
بلا دمة واحدة من أحد
أكتشف أن زهرة النرد الوحيدة التي كان يحملها بين يديه
لكي تجلب له الحظّ
لم تكن تحمل أية أرقام؟!

أصول الفن المرعية!

ما الذي يمكن عمله في هذه الساعة من الظهيرة الكاوية
أحاول أن أكتب قصيدةً جديدةً وتشبه هذه السماء
أو مؤخرة تلك المرأة
أفتش في الغيوم التي تنطفئ على الساحل
عن جملة - واحدة - تشبه هذه الحديقة أو حتى شكل بنطلون
أبداً

لم تكن هذه الموسيقى الصاخبة مثل لوحة تيسارو
- منحوت من خشب محروق
وصندل أنا -

أعمل مثلما يعمل قارعو الحظّ التعساء
وأنظر إلى السماء الواطئة ببلادة وبطءٍ
لا شيء سوى ذبابة ميتة!!
أعود من رحلتي النهارية وقد تبددت قواي
أحلم بنصف عين

واع
وأهجر حنانات نفسي
خائب وأحلم برئاساتٍ
في حجرتي المتر في متر ترقد كافة أحلام العالم الميتة وكوابيسه المحنطة
بدءاً من ضفادع أريستوفان وأشعار
ايسخيلئوس وفرجيل
ومروراً بأرسطو وأفلاطون
وانتهاءً بالتكعيبية والتفكيكية
ومايكل جاكسون
وشعراء البيتلز المبجلين
وحركة ما بعد الحداثة في الفن
سدت طعناتٍ غادرةً إلى كافة الإمبراطوريات السالفة
وأطلقت الرصاص على كل الرؤساء السفلة ثم
أقمت ممالك من قش ونشارةٍ
وأحييت جمهورياتٍ بائدة
أحلم بنصف عين

واع
وأهجر حنانات نفسي
من يعبأ بي إن كانت حياتي تساوي بصلة
أو حتى فردتي حذاء
لم لا أسوي حياتي مع هذا العالم التعس

غداً
أو بعد غدٍ
سوف يأتي شاعرٌ آخر ليقول:
حقاً!!
لقد كان شاعراً عظيماً
ولكنه
لم يلتزم بأصولِ الفنِ المرعية.

بطالة الآن

وبعد ثلاثين سنة من العمل اليومي
ومخاطبة الجمهور كأحد الثيران الجريحة
أنا عاطلٌ عن العمل!
فجأة
اكتشفت أن حياتي كانت جزءاً من مؤامرةٍ كاملةٍ
وأن الوقت الذي أمضيته في الدوام
وتحت علم الدولة الرسمي
ذي الشعارات الثلاثة
الأحمر
والأبيض
والأسود
كان يكفي لإصلاح ثلاث عربات كارو
وشراء حمارين منكودي الحظ وبالكاد عكاز لمتسولٍ وضرب
لقد كان يتعين على
أن أدور على كافة صناديق القمامة
لأجمع أعواد الكبريت الملقاة على جانبي الطريق
وبقايا الزجاج المكسور
وقطع القماش الدبقة

لأحصل بالكاد - وفي نهاية الأمر - على ما يسد الرمق
ويقيم الأود
الآن!
وبعد ثلاثين سنة
أنا عاطل حتى عن العمل
عاطل عن الإرادة
والفعل
عاطل عن الأمل
والياس
عن ممارسة الحب بشكل طبيعي
تماماً
وكما تفعل أحقر حشرة في هذا العالم.

شاهدة

إلى محمد آدم نفسه
[أمس
واريناه التراب
وأهلنا فوقه الآلاف من الذكريات الشائكة
تلك التي خلفها وراءه مثل خطيئة مندورة
وكوّمنا فوقه الحصى
وما كان بوسعنا أن نفعل أكثر من ذلك حتى لو أردنا
وفوق شاهدة القبر الأخيرة
كتبنا هذه الكلمات:
هنا يرقد الكلبُ بن الكلبِ: فلان الفلاني
لقد أفنى في حياته عشر نساء على الأقل
وما يقرب من نهرٍ صغيرٍ من الخمرة الرديئة
وبعض زجاجات البراندي المغشوشة
- والتي أصابت أحد شعراء السبعينيات بالعمى -

وما يقرب من صيدلية كاملة من حبات الأسبرين

والفاليوم

هذا غير ما أتلّف من سنواتٍ كاملة

وهو يدافع عن قصيدة الشرِّ

والصراع الطبقيّ

وحروب العالم الثالثِ

والأصولياتِ

والنظام العالمي الجديدِ

والجنسانية في التراث العربي القديمِ

لقد سمح لنفسه بالتبول على العصر

ولأنه كان علامة في علم الباه

وسيد التناقضات بلا منازع

فلقد أصر على إحراق جثته

ثلاث مراتٍ

وضربها بالجزم

حتى تفقد الوعي

وذلك بدلاً من دفنها في مقابر الصدقة

كما أوصى بذلك في توجيهاته الأخيرة

سيدي الكلب بن الكلب:

لا شك أنك تضحك الآن في مثواك الأخير

رغم ما بيننا من حجارةٍ

وترابٍ

وموتٍ

وكذلك الآلاف من الذكريات الشائكة [.

كتاب الوقت
والعبارة

إلى...
أ. ف
جدل الحب والموت

الإشارات

المداومة: حضور الصورة في الصورة بلا صورة
السكر: هل تحول النوم لديك كاليقظة واليقظة
كالنوم أنت في الحال إذن فامسك عليك لسانك.
الجسد: هل هو قبة الروح حقاً؟
فلماذا إذن يتخلف عني في الرحلة؟
الشبق: طرفة بين المحو والصحو
لم تقرب هذه الشجرة؟
هل تريد أن تضل؟
هذه النجمة لن تقوى عليك
فلماذا تشير عليها بالأفول دائماً؟
الوجد: هم بالليل
و...

ذل بالنهار

الفيض: بوح العين للعين والخروج من كل عين.
القلب: آفة التحول
ومرأة العاشق إذ يرى.
الصمت: لغة لو يعلمها الوهم لنطق.
اليقظة: استمرار الوهم
والتشبث بأرض التحولات.
العشق: أوار لا يخمد
ونار لا تنطفئ
وصمت..

دائم التحولات.

القبض: درجة بين المحو والصحو.
البسط: أفراد القول على أرائك اللذة.
السهر: دوام المحبة.
اللغة: لو أملكها بيدي

إذن لحطمتها
لأنها العجز كله.
الكلام: حيلة العاجز.
النهار: كأنما لا ينبغي له أن يدرك الليل.
الليل: كأنما لا ينبغي له أن يدرك النهار.
الشمس: تجتهد في أن تشبه القمر.
القمر: هل له غواية من أحب؟
التجلي: حوارية الجسد للجسد على إيقاع الروح.
النعمة: أن تأخذ من قطوف الجسد ما تشاء لما تشاء
وقتما تشاء.
النقمة: غرض الطرف عنك بك.
البلوى: وقوفك على عتبة الشك باليقين
وانفتاح اليقين عليك بلا معرفة.
السلوى: خروجك من الوصل
بالوصل.
الإشراق: حصول الرضى ساعة التأهب
والنوال في المنازلة.
المحاق: غيب الإشراف وقت الاحتراق.
النجوى: سر لا يعرفه إلا أولو العزم وأصحاب
المواقيت في الوقت.
الصبوة: صفة القلب الفرح.
النشوة: حصول الذات في الذات بالذات.
الغفوة: غفلة الرائي عن المرئي للتقية.
الحرية: الانفلات من أسر الطاق والتفاف الساق بالساق.
العبودية: بعدك عمن تحب.
المنادمة: قربك ممن تحب.
الطاسة: عين الحبيب والمحب والمحبوب.
الكأس: مناولة الجسد للجسد واحتراق الخمر في الخبز
والخبز في الخمر.

المناولة: كلام الألوهة في ساعة الصفو.
المماثلة: انطباق الكلوم على الكلوم والخروج من
الوقت بلا كلوم.
المخاتلة: شظف اللقيا وتوقع المكيدة.
المخاطبة: موقف الواقف في الوقفة مع الوقفة في الوقفة.
الوقفة: مخاطبة الواقف في الوقفة بالوقفة.
الانتظار: جحيم يلوذ بك في الوقفة فتهرب منه
بالمخاطبة.
الإشارة: لغة من لا يفهم الرمز
ورمز من لا يفهم اللغة
السكوت: انتظار المجيء وترقب القبض والبسط
وانكشاف الدال
على ماهية المدلول.
التأهب: يقظة الجارحة في انتظار النوال بلا نوال.
التقلب: أرق الجسد وصحيان القلب في الوقت.
التذبذب: تحريف الكلم عن مواضعه
هل أفئدتكم هواء؟
الدخول: لم الأعضاء وطى الجوارح.
السلام: ألم تر إلى ربك كيف مد الظل؟
لم لا تدخل يا كلام الروح في الروح؟
لم لا تضيئي يا شجرة الجسد في الليل؟
الهش: صدق الرؤية
واقتراب النوال.
البش: ضحكة القلب وتصريح العين بالحكمة.
الجلوس: استئذان القلب في القول الحكيم.
النوال: راحة النفس في القلب.
العين: كهرباء الروح التي تصعق وتستعر.
الصعق: كيمياء الجسد التي تحيي وتميت.
الانشراح: هواء النفس المعبأ بالخيلات

الخيال: هل العالم حقيقة الخيال أم أن الخيال حقيقة العالم؟
الجسد: صدقة الزمردة التي تتلأأ.
اليقين: وقوفك في القلب وانفتاح الرؤية عليك من كل صوب.
الغيبة: زوال الجسد وتجسد الروح.
الرجعة: التباس الجسم بالرسم وزوال اليقين بك عنك.
التوبة: خلع الجسد عن المداومة في السعي.
الرحلة: كتابة الفضاء للمعنى وانصبغ الكلام بالهيولى.
الصعود: ارتقاء الحس بالحس وتلاشي الرؤية بالرؤيا.
الهبوط: زوال الحلم وعودة المنازل لا المطالع.
الستر: حجاب القلب بالصد.
الانكشاف: حجب العين بالعين حتى ترى العين في العين.
الظلمة: انتظار الأوب بين الأوب والأوب.
الغمة: زلزلة الوقت.
الهمة: ترك ما لا يشغلك لما يشغلك.
الزمردة: أنت محياي ومماتي.
العناية: يقظة القلب إذ يرعى.
الرعاية: دوام السفر وزيادة المعرفة.
الخشية: الوقت كلما زاد قل.
الطلب: الوقوف بالباب وانتظار الجواب بلا جواب.
النظر: مداومة الرؤية بالقلب.
الرؤيا: توقف النظر عن السمع وتوقف السمع عن الرؤية والتحدث بالحاسة للحاسة.
الرؤية: الالتذاذ بالوقت في الوقت.
السمر: المعرفة أبعد من المعرفة.
الضحك: أطراح الهم ومحجة اليقين.
البكاء: خشية الفقد.
القرب: امحاء المكان في الزمان والتباس الأيس بالليس.
البعد: خدعة الحواس.
التجافي: السفر في الأين.
التصافي: وهوة النفس.

الندم: لقد نسينا فكذلك اليوم تنسى
الحسرة: ألم ننهك عن العالمين؟
الولوج: موقف الوقفة.
المسرة: كلي واشربي ثم قري عينا.
البقاء: الوقوف في الحال إذ يطول عليك الأمد.
الفناء: هل لك في أن تموت وتحيا وأنت بأعيننا.
الفوت: زوال الحظوظ.
الشوط: سفر الليل والنهار بلا وقاية.
الذهاب: ضياع العقل بالوجد.
الإياب: حصول الوجد بالوجد.
الحضور: قيام القلب في السعي والبقاء بلا سعي في انتظار السعي والمبيت في المسعى
الانصراف: زوال المؤثر وبقاء الأثر في الأثر.
الهففة: انعدام المحددات وتلاشى الحدث والحدوس
وانحباس اللغة في كينونة المعنى
وانتفاء ما يسمى بالرمز والإشارة.
اللهو: الجلوس على الأرائك وزوال ما يسمى بالنفي
والإثبات.
المشكاة: كتابة الليل..
محو النهار كتابة النهار محو الليل.
المصباح: تجلى النور في الزيت وتجلى الزيت في النور.
الزيت: زاد المسافر في وحشة الطريق وبعد السفر وانقطاع الأثر
هل عليك من غبار الطريق مثلما علي؟؟
الزيتونة: إذن لولاها لانطفأ المصباح؟
طاسين الأزل: صفير الروح في الخلاء
وانجراد الأبد بالإرادة.
طاسين الأبد: زوال الحبيب والمحب والمحبوب وبقاء الشوق
والتشوف
حبيبي...
ليتنى ما لقيتك

ناولني - إذن - خمرتك .
الزمان: سكون الجوارح وحضور الوجود في الماهية والماهية
في الوجود وانجراح الوجود في الوجود .
المكان: إشراق السيدة في البقعة .
الجوهر: هو هو عينها إذ لا ماهية له سواها .
.. ولمّا تجلت للقلوب تزاومت على حسنها
أبصارُ كل قبيلة...!!
العَرَض: انتفاء الجوهر وتجسد العدم .
الماضي: طفولة الحاضر وذاكرة المستقبل .
الحاضر: ستر الماضي .
المستقبل: شيخوخة الأمس .
الحرف: العالم حرف يسعى إلى حرفٍ
هل من تدبيرٍ آخر للكلام؟
الكلمة: سيدة المعنى وبذرة المعرفة .
الشهادة: تحقق ما بالفعل والعقل في الزمان والمكان
وتطابق القول والفعل
في الفصل والوصل .
الإقبال: شهادة الحواس وترقب المجيء في الزمن
بلا مساومات
وهذه هي آية العشق .
الإدبار: انكفاء الجوارح وتغليف المشكاوات بالرماد
ونضوب ما يسمى بالزيت
وتلك آفة العشق .
التمشي: الكتابة بالنار على الماء
والدخول في دائرة الوهومة
هل للجاذبية من معنى؟
النزول : رؤية المعارج إذ تترى في الكلام .
التدلي: محاولة الإمساك بالصورة إذ يخيل إليك .
التداني: شجرة لا يجلس تحتها إلا أولو العزم .

التدافع : تسابق القلب في الخطفة.
الوهوثة : كلام لا يعرف له ماهية ولا كيف..
وهو هو على ما هو فقط يأخذ بالنواصي
ألا ينتظرنى حتى أفرغ له؟
ولم لا أنتظره حتى يفرغ لي؟
الوحدة : أول درجات الفقد وآخر منازل السوى.
الواحد: تلك أسماؤه انتشرت في السماوات والأرض
هل تجد له من سمى؟؟
الوجود: إعادة صياغة الطبيعة بالطبيعة.
العدم: كتابة الموت وائمحاء ما يسمى بالليل على شفا النهار
وائمحاء ما يعرف بالنهار على صنارة الليل
أليست هذه هي الصياغة النهائية للعالم؟ وأين تكمن
الكلمة والظلمة تتربص؟!
وها هي الهاوية تنفرج لتلتهم الأزل والأبد في ثانية
وهؤلاء هم الموتى يصايحون
فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون!!
القبة: نهاية المطاف.
العقدة: صلوات العاشق في وحدته.
البوح: فك رقبة.
الأرق: قد نرى تقلب وجهك في السماء والأرض.
العروج: مداومة السعي والترقي ومحاولة فتح الأبواب
في الغسق.
المعارض : المطالعة المستمرة للمعنى.
الوشي: حرير العشق يلبسه العاشق.
الطواف: وكان مساء
وكان صباح يوماً واحداً أليس لك عينٌ واحدةٌ لترى؟!
المجيء: عرض التحولات الدائم.
الظن: امتلاء الجارحة بالشكوك.
الشك: أخص خصائص اليقين.

الاحتراس: ملازمة المحب للمحبيب.
الاحتراز: توقّي الانشغال بإذابة الجوارح في الجوارح.
السكوت: مفاجأة الجارحة بالدهشة.
العناق: رؤية ما في الأكوان بالأعيان ومشاهدة ما في الأعيان.. بالأكوان.
التزلف: هكذا تكون الصلاة
هكذا تكون العبادة.
الصولة: نزلة العاشق إذ يتبشّش.
النفس: نزوة الكلام.
المرادة: بذل ما في النفس بالنفس لما هو في النفس.
العتاب: احتباس الدمع بالدمع والإشراق في الكلام
وانتفاض الجسم عند المشاهدة وبقاء الجارحة في القلقة.
الوصل: شهادة الدمع على القلب وشهادة القلب على العين.
السؤال: محنة العاشق.
الهجر: زوال المنازلة.
الطُرف: لجة.. لا يدخلها إلا هالك.
اللمس: خراج القلب في الصحو.
الأخذ: خطفة الجارحة للجارحة وترك البدن بلا جارحة.
العين: وقوعك في أسر السؤال بلا تساؤل.
الجبهة: أفراد التشبيه بمن ليس له شبيه.
الغض: أدب السالك في عرف أصحاب المسالك.
الظهر: كتابة الأبدية: أن لا شبيه لي.
البطن: أول فتح المريد.
الجدع: نخلة الله.
السرة: فكرة الكمون والظهور.
اللذة: هاجس الأبدية الضخم وتلك نشوة لا تليق سوى بالألوهة.
التبغدد: خلخلة الأعضاء وخلع البدن للبدن
والوقوف على حافة البدن عند مطلع كل شمس.
الحافة: خروجك من الأنس والوقوع في الوحشة.

الوحشة: ثمرة المعرفة.
المنح: معجزة القلب في التجلي وانكشاف الجسد للجسد.
الحيرة: جدل الحب والموت.
النزوة: تقلب الطرف بالطرف وارتباك الكلام في الشفة والوصف بالسفه.
الجلوة: غض الطرف عما لا أنت فيه والاستغراق في ما أنت فيه.
الخلوة: كلام العاشقين حوار ونطق المعشوق تجلي.
العزلة: بعدك عن المخاطبات والدخول في المطارحات.
الأنس: مقارفة اللذة.
الفكر: كتابة الفضاء باللغة وكلام الطبيعة بالمعنى.
الخضوع: ترك الأنا في الأنا للأنا.
الوردة: أرض الأنوثة البكر.
الريح: كلام الهواء بلا حروف.
التشوف: أرق القلب وتهيؤ الجوارح للقبول.
الرمز: تخترعه اللغة ولا نعثر عليه في الحواس.
الايماء: كلام الحاسة للحاسة.
الظاهر: ضياع اليقين بلا يقين.
الباطن: أرض النبوءات والتهيؤ.
الاستغراق: التظاهر بالحركة في السكون والتظاهر في السكون بالحركة.
القنوط: كلما تدخل في اللذة تخرج من اللذة.
الهتك: خروجك من الأنس وانكشافك عليك بالوحشة.
الفتك: لقاؤك بك وبعدك عنك وخروجك منك ودخولك فيك.
الصهللة: نزوع.
الترقب: الوقوف في الفياء.
الحيف: فضح الجارحة للجارحة بالظن.
المباغثة: الخروج من الصعق بالتبذل.
المكابدة: إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً.
التوقي: أطراح السؤال في المنازلة.
الهبوب: ليست المشاهدة كالرؤية.
الكمون: تقية العاشق.

الظهور: التزحزح عن الوقية ومنازلة الوقت بالوقت.

النيل: «اقتلوني يا ثقاتي

إن في قتلي حياتي».

التلقي: إشارة من لا يفهم بما هو ممتلىء.

الحدوث: خروج العاقبة عن النطق وخروج النطق عن العاقبة.

الاحتواء: معاقرة الكل للكل.

الاحتراق: يقين الشمعة الوحيد.

الانطفاء: خروجك من الحال وانتصار الحال في كل حال.

الاحتماء: تثبيت الوجد في الريح.

المطاردة: حقيقة الوقفة بين الوقفة والوقفة.

الاعتناص: خطفة المنح

وحقيقة الواقف بين الوقفة والوقفة.

التعلق: ميثاق الأخذ بالكد.

اللمم: كشفك ما لا ينطبق عليك بما لا تطبق لما تطبق.

الوثبة: صعودك الذات بالذات.

الوطر: لبانة الجسد وتفرعاته.

التهلل: نقيضه الامتلاء بالفرح.

التهليل: منازعة الوقت في العلو.

الهدية: تقشر اللباب عن اللب.

الجفو: الثقلب في الأوقات.

النوم: مكيدة الحواس.

العود: المماطلة في النزوع.

السدر: ليست إلى منتهى.

الخشف: النزول عن الوقفة.

الحتف: ترك الموقف إذ لا تقوى على الموقف.

الضيم: «يا خائط العوالم خطني».

الحلم: يقظة الليل بالنهار ويقظة النهار بالليل.

المحاجة: يقين الأبله.

المصافحة: الطريق إلى الجنة الجحيم

والجحيم الجنة.
المشافهة: مخاطبة الشيء بالشيء.
المجابهة: كشفك حقيقة الجرح بالجرح.
المناظرة: علم اليقين عن كذب.
الانتشاء: رؤية ما في الكأس بالكأس.
الانخراط: اللهم
اسلكني في ملكوتك.
التوجس: إثم الخوف.
التهيؤ: أخذة القلب إذ يترقب.
التشهي: سلالة اللذة.
القعود: نكوص الهمة عن المواصللة.
الجلوس: الارتكان على حائط الأبدية الضخم.
الولع: تذبذب الحالة بين الكمون والظهور.
الولوع: تعلق الشبيه بالشبيه.
التولع: معرفة اليقين بالحدس عند امحاء كل حدس.
الوليع: درجة أخرى فوق اليقين بالحد.
الوليعة: الخروج عن سبب الحرق بالاحتراق بلا حرق.
الوشيجة: طلع الوجد المضىء.
العليقة: معرفة الصورة للصورة عند كل صورة.
العلائق: كينونة المعرفة في الكيف.
المواطئة: جدل الجسد للجسد.
المزايلة: احتفاء المثلون باللون
واختفاء اللون في اللون.
المناصبية: جوهرة الماء للماء.
المخايلة: اضطراب النظر في الرؤيا.
المحارفة: لا كمال في اللذة.
التوادم: ضرب السالك في الطريق دون السؤال عن أين؟
أو متى
أو كيف؟

الوداد: شراب الواحد في الوحدة.
الودود: الخارج عن أسر المركز والدائرة والمحيط.
التبليل: الوقوع في الحيرة بلا إفهام.
البليلة: يقين الأعمى.
الولوج: الدخول في السُّرة.
الوجل: خوفك على من تحب وأدب من يسعى.
العجلة: التهور عند الدخول في الحال.
الافتقار: السؤال عن حاجةٍ وعن غير ما..
حاجةٍ.
اللهفة: شدة المخيلة.
السقطة: الإفصاح عما تعرف لمن لا يعرف.
النزلة: عُجْبُ التبسيط.
القولة: جوامع الكلم.
الصولة: قطع اليقين بالسيف وانتظار الحيف بالحيف.
الجولة: الدوران حول المنزل بالتشوف.
الحبوب: ألم المراوغة.
الصوب: إضمام اليقظة والقصد في التوجه.
الكوة: إطلالة العاشق إثر اختلاج العين بالعين.
النوة: اختلاف المناظر والتباس الأغيار.
الأدب: لقد طال عليك الأمدُ أما آن لك أن تنبَسَ بينتِ
شفةٍ إنا رادوك إلى أهل بيتك كي يكفلوك
العطية: سوسنة القلب للقلب
بلا تقلب.
البداية: زوال الغشاوة إذ تبصر عن حقيقةٍ.
النهاية: شجر الموت يزهو
شجرة الجسد تطاوح.
الملازمة: قطع العلائق في الطرائق.
المداومة: التمرغ على البساط بالخلية.
الخضخضة: أنه الآن في الآن

وبذل الآن في كل
آن...

الالتجاء: اللواذ بالأثر والمؤثر على السواء.
الكبد: بحثك عنك في الوقت إذ ينعدم الوقت في كل
وقت.

الشغوف: إدراك الكمد في الكبد بالكبد.
الترقرق: تجهيز الحواس للسعى واستجماع ما في
الذاكرة من سماع وتوقد..
للدخول في الملاطفة.

الترقب: فوت الرؤية عن الرؤية.
التلصص: تلفتك عليك بك وانقطاعك عنك لك
واختلاط الأوقات فيك.
التوقف: الانفلات من أسر الزمان والمكان والخروج من
اللحظة باللحظة في اللحظة.

التوقيف: الخروج عن محصلة السعي بالخيبة.
التبازل: قطعك الحبيب والمحب والمحبوب.
الجدوة: وشم النار على حدائق القلب بالميل.
التصافق: انكشافك لك بعدم العناية.
التهالك: السفر في الوحدة.

التهافت: طلب الجواب عند الاحتجاب.
الكظم: قبض القبضة على الجمر باللوعة.
الهوى: ميلك في الحال للأنا
وميل الأنا في الحال لك.

السوى: خروجك عن الذات بالذات.
الميل: انحراف الجوارح عنك في المنادة.
الصقل: خروجك من النار للنار بالكى.
الحنو: امتلاء التساؤلات بالفرح.
الشدّة: انتظار المعنى بلا تحقيق.
الحنق: كتابة الرسائل للريح في العصف.

العصف: امتلاء الجسد بالجسد في اللحظة.
القصف: سطو الرؤية عليك بلا تهيؤ.
المهادنة: شجر الريح يتفرع أما الوقت فإلى زوال.
المثابرة: كد الجسد في اقتناص الفريسة
وضياع الغنيمة بالأوب.
الطراد: هذا السعي في العتمة هذه الشمس إلى زال.
القنص: اصطياد الفريسة
وبقاء القوس بلا منزع وفناء الوتر.
المثول: تهيؤ اللحظة لك وتهيؤك في اللحظة.
الحضرة: استحضر نوازع الكمون في الظهور والظهور
في الكمون.
التذكرة: قطع الرحلة بلا تعين والعودة من الرحلة
بلا تحقيق.
الهلاك: سفر الذهاب والإياب في الوحدة.
الشرك: انخداع الأنا على حافة اليقين.
الوتر: سماعك لك وغناؤك بك وبقاؤك فيك
وفناؤك منك
أي هلاكٍ هذا؟
المكتوب: رسالة العاشق بلا تحقيق.
الوهم: غلبة الظن وانجراحك على عتبة اليقين بالشك.
الوشل: رغبة القلب في التعاطي.
السهر: انتظار المخاطبة بالهاتف.
الهبس: حالة القلب بالقوة.
التفكر: إطالة الوقت بالوقفة هل من محجةٍ أخرى عند اليقين بالظن؟
التمني: وهوة الحيرة على آرائك الخوف.
القيظ: كيف أثبت على الحال في الوطء.
التهفّف: ريح الصبا من حرقه القلب.
التلهف: مناشدة البلوى بالكتم.
التحير: سؤالك عنك في التقلب.

المجاذبة: شدة انقطاع الخيط في المخيط.
التياقظ: دوام المداومة والتحير.
النزع: أطراح الأثر عن المؤثر.
الروع: خطفة البصر إذ تهلك البصيرة.
التراقب: حفز الخاطرة للخواطر واضطراب الحال في كل
خاطر.
التشتت: انخلاعك من الوقت
وانخلاع الوقت منك.
التحسس: أن تقبض على اليقين باليقين في ساحة الجسد.
التلون: تقلبك في الأوقات وتقلب الأوقات في الأنحاء
وخطفة النظر للنظر والوقوف على حافة الروع
بالروع.
المحاذاة: الوقوف على الشاطئ وانغمار البحر بالزبد.
المواساة: ابتداء الرحلة من غير ما قصد.
المقاربة: الدخول في اللجة والانغمار في التخوض.
الوسوسة: محاصرة النفس بالسؤال في الملمة.
التصفيق: صيرورة الحال في الحال وانخراط اللون في
اللون.
الزبد: بعدك في الرحلة وانكسار الحرف فيك.
الصرخة: أخذك بالأخذ
وانطباق القيد في القيد وتلفتك في الدخول
ولا سميع لك.
الزفرة: انتزاع الوجد بالتألم.
السكتة: الخروج من الحافة على الحافة.
الرابطة: أي تعلق لك بالجسد والمتجسد وما بينهما من
وشيخة.
الخراب: غفلة الجسد عن الوقت في الوقفة.
السؤدد: مراقبة النوال في الأثناء.
التعارف: خلعتك الرداء لك.

التشني: دلال الأنا في الأنا للأنا.
الطاولة: مكان الجمع والفرق.
اللجة: التهيؤ للمحق والسحق وانعدام الزمان في المكان
وانعدام المكان في الزمان.
الأنة: ألم الرحلة في الرحلة وغفو الراحل عن
الرحلة.
الشقشقة: بزوغ الطلعة إذ يتأهب الجسد للطلعة.
الرقركة: معاودة التخالل في المسام.
الصبابة: صوت الغلة في المنهل العذب.
الرغرغة: لطيفة الدمعة في الرؤية.
الحنة: يقظة الزهرة للتويج والحومان حول الحافة.
الغربة: امتلاء القلب بالغيبة
وفراغ النفس من الأحوال عند كل حال.
الحومان: عودة المحيط للدائرة والدائرة للمركز والمركز
للمنطقة وعودة النقطة للمحو وعودة المحو
للمصحو.
الحوم: جمرة الوغى في التلظي.
التحويم: حدآت الجسد على صبقية الروح إذ تتلامع
الفريسة في الظهيرة ويأخذ القيظ في القرض.
الحرقة: كتابة الجسد بلا اكتمال وقرارات الروح
بلا نهاية.
العقد: القعود عند الحقيقة بلا منازلٍ أو مطالعٍ.
الفقد: ثمرة الروح تسقط..
شجرة الجسد تتباهى ألا تتخلع يا هواء المتاهة؟!
التخفي: مناوأة الحيف بالحتف.
التساؤل: خطوة أخرى وتقع في الغيبة خطوة أخرى
وتسقط الفريسة خطوة أخرى
لتقع في الفقد والقيد.
الاستئذان: أي باب تخرج الريح منه؟ أي مائدة تجلس إليها

لتجئتك الشمس؟
أي كلام لك لتقوله يا هذا؟
الطرق: نقرة واحدة على الباب لتعرف الحقيقة
لكن..

أي جرأة لك لتقترب من البيت وهذا هو
الطريق؟؟

الخرق: كوة في الجدار يفتحها العاشق بالمكابدة.
الاستئناس: الجلوس في الخلوة بلا رقيب.
الاستعداد: مقابلة اللجة باللجة واصطفاف الزبد بالزبد.
المراقبة: دوام الأخذ بالنظر وانتباه الخاطرة للخواطر.
المعاودة: في كل يوم يقول العاشق متى أنطلق؟
في كل يوم تقول العاشقة أي ظلم هذا؟؟
القبلة: وردة الروح إذ تنطبع على خرائط الجسد
بلا تضاريس

هل شوك الوردة أوسمة؟؟
التقبيل: سلم يصعده العاشق حتى يبلغ السدرة فيرى
وإذ يرى يدرك وإذ يدرك ينتشى وإذ ينتشى
يتعرف وإذ يتعرف يغيب وإذ يغيب يوجد.
المخيلة: خزينة العاشق ودولاب العاشقة.
الزهرة: معجزة الروح إذ تتجلى معجزة
الجسد إذ ينبثق.

العريشة: ستر العاشق والمعشوق على السواء.
المقابلة: وقت يبدأ حتى ينتهي ولا ينتهي حتى يبدأ.
المؤاخدة: محنة السؤال عن الأين وخراب الإجابة
بكيف.

المجاهرة: بوح الوردة فجيرة وبوح الجسد صلاة.
المجاهدة: بوح العاشق خيانة وكلام العاشقة ستر.
السر: كلام النهار العظيم.
الجهر: كلام الليل بالنجوم.

النعيم: الاستغراق في البحر بالسباحة وترك المراكب
للزبد وخلع الجسد للموج والتوغل في
برزخ الغرق والطفو.
الجهنم: أزفت الآزفة بالسفر والتوديع بالعبارة وما في
القلب من قول حكيم.
الزوال: التأهب للعودة على طول انتظار.
النهضة: بوح العاشق للوردة.
التنصت: الجسد يقول لا سمى لي
الروح تقول: في البدء كان الكلمة.
القلب يقول: سأضرب الواعيد للغيم
ولا خلاص لي.
العتاب: كظم الجارحة للوجع بلا نديم.
التعاب: سؤال الغيرة في الوقت.
الطريق: خطوة العاشق كتابة
وكتابة العاشق خطوة.

كتاب الإثم والبراءة
السيدة الخضراء

سفر

أبدأ رحلتي الأولى نحو امرأة تتقطر عشقاً وأنا طفل
أجري خلف نثيث الثلج الأبيض
فوق الأوراق الخضراء المصفورة بعصير الشمس الصفراء
وأضحك من لغة القلب الخرساء الطفلة
أتبع قافلتي نحو الأرض العريانة والعطشانة للموتى
من أمثالي الفقراء
فهل تأتي سيدتي في هذا الوقت من الليل؟
أدق على أبواب الريح
وأسكن في قلب الورق الناحل
والضحكات الباردة الجوفاء لعل الريح تجيب
وترتج الغرفة حولي بالزينة والأضواء
ولكن الريح المعلولة تأتي
ويفر الفجر الناحل عن عيني بعيداً
والأشجار الرابضة أمام النُزل المعتم
تنحل طيوراً
وعصافير
وأبقى في داخل قبوي المعتم
ألمس شيئاً أكتبه
في هذا الوقت من الليل
تغيب الأطيّار - بعيداً - في فلوات الأرض
ويهرب ظل منتظر لامرأة..
تتأكل بالحب
ويأكلني الشبق التنيني الجامح
أندخل في نفسي شيئاً.. شيئاً
جرح يتفتح مثل الورد النائم خلف ظلال الوقت
ويغزو جسدي
هل أبكي؟

لكن من يسمعي في هذي الوحدة؟
والهدأة قاتلة كالمنفى؟
أتشاغل بورود الجرح
وبوح الورد
وأملأ بعض الكاسات الكسلى
لكن الوقت يمر ويسحقني..
كامرأة تتفتت عشقاً
بين يديّ
ويعروها زبد مهتاج نافر
ها إني منتظرٌ
كالظل الواقف فوق جدار الشرفات الناحلة
وأراقب خطأً يأتي من طرقاتٍ أخرى
لكن الوقت يمرُّ
والساعة فارغة..
تعلن في استرخاءٍ عن قرب الليل الداهم
والأضواء الآتية على زهر الثلج الأبيض
تنشق حصاناً أبيض
يحمل مكتوباً من سيدتي
أتصلب في وقفتي المصلوبة
ثم أفض رسائل تحملها الريح
ويرسلها البرق المتواتر حولي.
[أين الطريق إلى حيث يسكن النور]

الياقوتة

سيدتي في البهو الفرعوني تداعب ملكاً
وأنا طفلٌ
أندثر في أسمالٍ باليةٍ
أخرج في الليل وحيداً

أتمشى فوق جسور التربة عليّ أقطف بعضاً من أزهار الصبير
نباتات الفل البري تداعبني
وتطاردني
تتحلق حولي وتغازلني
لكنني أمشي...
وأدوس على قطرات الثلج المتثور بأطراف
العشب الأخضر
كإله في وادي النور
تسابقني الريح وأسبقها
وفرشات الحقل البيضاء الحمراء الصفراء
تخيط قميصي
أندثر بفضاء فجرٍ لعشبيات الحناء الخضراء
وأرسم بعضاً من أحلامي
بحبيبات الدم النازف من كل خلايا جسدي المسفوح
على حبات الطين العطشى
هل شاهدني ظلي
وأنا أتفياً داخل قلبي
مثل صبي يتكور في حضن فتاة ضاعا
في طرقات الزمن المرّ
وغابا عن عين الأهل طويلاً
ظلي يتغافل عني
وأنا أتكاسل عن ظلي
هل عادت سيدتي من البهو الفرعوني الأسر؟
تشتد الريح
ويتوجع في داخل أضلاعي قلبي
يتكسر مثل الأشجار المصروعة في يوم عاصف
أنهياً للصحو وللنوم
يراودني شكل امرأة
تأرجح ما بين الصحو وبين النوم فأغفو

فوق فراش يتوقد بالثلج
ابترد الوقت طويلاً
ها إن الساعة آتية لا ريب
كم يبعد هذا الفجر عن الليل؟
وكم يبعد ليل الزمن المتوحش عن آخر أطراف الفجر؟
تتمسح بي هرة
وتموء كذئب بري يعوي في صحراء الصيف
ابتعدت آخر عربات الفجر الرُّحل عن طرقات العشب
انعصر الصمت المتخشب فوق دهاeliz الوقت النافر
وابتدأت سيارات الجند
تعود لمخبئها
ساكنة
ها إن القاتل قد فرّ
وعصفور الأيكة قد طار إلى عتبات النور لكي يتغسل بالظل
الساقط من أرباض الشمس
وينعس قرب فراشات الحقل
ينقرّ حبات التوت البري
ويجري خلف يمامات الدغل
الغائم فوق جسور الترع المغسولة
بالطل الهاطل
من عليين.
[اجعلني كخاتمٍ على ساعدك لأن المحبة قوية كالصوت].

وصل

اشتدت دورات الريح العاصف
واهتز النخل الواقف كوريقات خريفٍ أصفر
لم يبق إلا أن ترحل
أو تنسى هذا الحب الغلاب القاهر فوق جدارات القلب الأبيض

طفل يتساند قرب جدار يساقط
وامرأة تنزل دغل البوص الأخضر
تكشف عن ساقها
تصطاد السمك البري المتوحش..
ها هي تدغل في الريح الهوجاء
فتلتف بها
تغريها أن تركض في بحرٍ لحي
تتنزل فيه الشمس
ويرتاح الرمل المصقول على زرق أمواج البحر
الجسد النافر يعلو يفتر
الشعرُ الليليّ المحلولك يتطاير عبر رذاذ الماء الأزرق
تتعلق حبات الشمس الحمراء
بحبات الزبد الأبيض
فوق الجسد البحر
فتكشف عن سر السر
آه..
هل عادت سيدتي من غارتها الليلية بعدُ
اندلع الفجر
وها هي خيل الرغبة
ترقص فوق خلايا الجسد المسنون المتوقد
تستنفر
أغوار العشق الدوار بقلبي
وتلملم حبات القمح المبذور بأحراش الحقل
الممدود
على شرفات اليم الغارق
فوق نخيل الصيد.
[مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة
والسيول لا تغمرها].

امراة

الريح تلاقحها الريح
وها هي أفراس الضوء تحمحم عبر ممرات جبال الصهد
فتركض أو
تتراكض خلف نداءات العشق المسنون
بحمياً من تسنيم
وتقطع أميال الشهوة
بحوافز يحدوها شرر يتطاير كالزبد المربرد
على ساحات الأفق الممتد
لماذا لم تأت سيدتي بعد؟
نُزِّل من أقمار هابطةٍ من قرب عباءات الظلمة تلتف حوالي
تكاشفني وأكاشفها
أفتح بابي..
مَنْ؟؟
سيدة الضوء المبهم
والأفراس البراقة تحت عشاش الزهر الليلي النائم
والسفن المبحرة - أخيراً - نحو جبال الله المبتوثة في قلب الأرض؟
مَنْ هذى النائمة بقلبي؟
مَنْ؟
امراة الزهر الليلي تعانق آخر أطراف الأرض
وتركض نحو المجهول بعيداً
بيناً أتقرى جسدي
بقعاً
من أطراف غامقة اللون
أغنى..
أبتاطأ في الخطو
أصفر...
للريح المصفرة أن تأتي

هل تأتي الريح السواحة
تغزل ثوبي
وتحيك مواجيدي سمكاً يتقاذف بين الأشرعة البيضاء
لسفن الصيد الغارقة هنالك في الميناء؟
آه...

لو تأتي الريح الآن
وتأتي سيدتي مثقلة الخطو
تدق على بابي المنعزل النائي...!!
هأنذا
أتساقط كوريقات التوت الأصفر إبان خريف مجنونٍ
أتعري قلباً
يتطاير صدري مزقاً مزقاً
هذى سفن الضوء - النافذ - تبهر من كل كريات دمي ناحلةً
صفراء

ومفعمة اللون
أحاول أن أسترجع شيئاً لامرأة الحزن الغامق
والصدر الجبلي الشاهق
لكني لا أتذكر إلا وجهاً كالطفل النائم
تحت شجيرات الحنطة
في ليل الصيف المخنوق العاري
ضفدعة تنقر أثداء الوقت الساكن
كهل يتوكأ فوق عصاه قبيل صلاة الصبح
امرأة يتعاطاها بعض رجال الدرك الساهر
خيل تصهل قبل صياح الديك
وقبرة
تنتقل جامحةً

بين وريقات البوص الفجري السامق
وتلامس أطراف الماء المثلث بالتطواف
نواطير القش

تجمّع ديدان الحقل
وترقص إبان الهدأة من غسق الليل
الوقت المغسول برشات العشق
بلاد تتجاذب ثوب محبتها
أسرة هذي السيدة المجنونة...!!
أسرة هذي السيدة المجنونة
لكن

هأنذا أتعبي النوم
وأوجعني سيل التذكارَات المحموم
أجمّع تذكاراتي
واحدةً
واحدةً
وأفرق تذكاراتي
واحدةً
واحدةً

من ينقذني؟ وامرأة الأصداف الليلية والأوراق الدكناء؟!
أحاول أن أسترجع بعضاً
من أشتات وجوه
تتقاذفها حيطان الوهم العالي.

[أنا لحبيبي وإليّ اشتياقه تعال يا حبيبي لنخرج إلى
الحقل ولنبت في القرى لنكرنَّ إلى الكروم ولننظر هل أزهر
الكروم؟ هل نور الرمان؟ اهرب يا حبيبي اهرب وكن كالظبي أو
كغفر الأيائل على جبال الأطياب].

ترنيمه لسليمان الملك

وجه لسماء الصيف
نجيمات تتعلق في خيمة بللور أزرق
قلب ملاك يتدلى من تحت العرش الكوني

ويهبط كإله الصيد
على عشب الأرض المسترخي في حالة سكرٍ
وجه ليمام البر
ينقل خطوته الأولى
فوق تراب الطرق الريفية
والشجر المتكاشف يتناول يتحاضن
يمتد
ويتراعى
أفقاً من بسط
يفرشها الوجه المتطامن لصبيّ يلهو في كومة رملٍ
يرسم وجه حبيبته الأولى
بيت الرغبة والنشوة
والموت
امرأة تتغامز ليمام البرّ
تطارده
فيطاردها
ثم يصاحبها في نوبة ريح عاتٍ مجنونٍ
رجل قطع أشجار الحنطة واللوز
وراح يتابع رحلتها في يوم شاتٍ مذهولٍ
ها هي ريح تدخلني وتؤاخي
وأنا
أدخلها وأؤاخيها
أركب نحو مدائن سفناً من نخلات الضوء
وأسرج خيلي واحدةً
واحدة
نحو بلاد الرغبة
استوقد نار الله ونار العشق
ولكن البلد بعيد
والطرق المدخولة أهلة

بالركبان
ابتدأ الزمن الصعب الآن
وأجناد الأرض
يمرون سراعاً
نحو الهاوية المفجوعة لرحيلٍ لم يبدأ بعد
سراً الوقت يمرون
خفافاً

نحو طواحين الموت
وأعراس النشوة آتية من غور الصبوة
عبد الله استشهد في حب امرأة
لم يرها من قبل ولم يسمع عنها
لكن الحلم آتاها تحت النخل وفاجأها
الأفق اللامحدود بأصلاّب الكون
كانت تنظر نحو النور الصاهل من أجناب الأرض
اهتز النخل
انفرط الرطب الحلو
انفلتت كل عصافير الوقت تراحم أشجار السنط البري
وتنقر في حبات التوت المسجور على جسد الأرض الناحل
هل شاهد عبد الله الرؤيا؟ هل شاهد
واسترق السمع؟؟

[ليت كلماتي الآن تكتب يا ليتها رسمت في سفر ونقرت إلى
الأبد في الصخر بقلم حديد وبرصاص].

مُليكة

مُليكة هذي الجنية تختال على شرفات القلب
تغادر مرفأه
تاركة سفناً

من جصّ
وقوارير
وتنزل في أحراش الغيم
تكشف أحجار الضوء المسنونة بتراتيل الوجد
تعري بدنًا
كانت تملؤه سحب النوار الراكضة هنالك خلف تصاوير الغيم
هل شاهد عبد الله الرؤيا؟
هل شاهد...؟؟
كان البحارة يغترفون الضوء
ويتشلون الغرقى من أنياب البحر
آه ها هم...
يتشلون الغرقى من أنياب البحر النهاش القاسي
ثم يعودون فرادى
في زمن النوة والنوء يعاندهم
شوق غلاب للوحدة والترحال طويلاً فوق الزبد المهتاج
وها هي آخر أسماك القرش تعاندهم
وتطرز أطراف الماء المتقلب
بالدم المخبوء بأعماق اليم
تفر بعيداً
وتساومهم
كانت سيدة تطفو فوق النجم الأزرق
والموج..
وتضحك للبحارة
فابتسم البحارة للأمطار المتزاحمة تلامس أطراف البحر
ولكن السيدة ابتعدت... وابتعدت...
طاردها البحارة
كانت سفن تركض
وفراش يتوافد
ونجوم تلمع

فوق ضبابٍ شهواني أخاذٍ
فابتعدت
وابتعدت
وابتعدت...
حتى أخفاها الموج وغيبها بين ذراعيه
انتفض البحارة
وانقلب البحر
وعاندهم وقت مقهور قاهر
لكن على الشط الآخر
كان هنالك عبد الله
انتظر البحر طويلاً
وانتظر الغيم طويلاً
وانتظر النجم الرابض في أدغال السحب الدوامة
خلف طواويس الصمت
فهل تأتي سيدتي بعد؟
استضحك بعض البحارة وانكشفوا...
بلل عبد الله القلب بأكياس الدمع
هل تشرب شيئاً في هذا الوقت من السكر؟
لا...
حدثنا كيف رأيت الدنيا؟
واسعة كعيون الطفل
وضيقة
كالقبر المنسد.

[ما أجمل رجلحك بالنعلين
دوائر فخذيك مثل الحلبي سرتك كأس مدورة لا يعوزها شراب
ممزوج بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن
ثدياك كخشفتي توءمي ظبية عنقك كبرج من عاج
عيناك كالبرق

رأسك عليك مثل الكرمل
وشعر رأسك كأرجوان
ملك قد أسر بالخصل]

استند الصيف على جذع النخل
وغابت أقمار الليل
وها هي آخر أسراب النمل تغادر مخبأها الشتوي
وترحل في زي ملكي نحو الأوراق المزدانة بالورد
تقاطع في رحلتها البرية أسراب الطير
امتلاً الوقت دخاناً
وانسدت أبواب الدنيا
نافذة تفتتح في أبراج الوقت
وشباك لمليكة إذ تتوجه صوب البحر
وتسترخي فوق شواطئه المبلولة بالأصداف
وتضفر في وحدتها شعر صفائرها المحلولة
ثم تخايلها ريح آتية من جزر الشرق!!
مليكة
ها هي ريح العشق تخايلني ثم تهب
وأنا كهلاً
أتعبني التجوال على طرقات الصخر
غنيت طويلاً لم يسمعي أحد من قبل
أخيت كثيراً ما بين الغيمة والغيمة
لكن مليكة تتأبى
وتعاند في رحلتها أن تبدأ
والمركب واقفة
والريح مواتية
وعصافير الغيم تلملم أذيال النوم
وترفل في حلال من زهر أبيض
تسبقها رائحة الليمون المخضر

ويحرس كوكبها
طير من نُزُلِ الصيف الشمسيّ
أجراس صلاةٍ تتعالى في دهليز الصمت
ويسمعها عبد الله
فتهتز الأيكة والسُّرر المفرودة فوق ممرات القلب
مليكة لم تأت بعد
وعبد الله صبيّاً كان
وحين دعت الرّيح على مائدة الشمس
وغمّس ماء البحر طفولته
كان يجمّع حبات التوت ويمشي في طرقات الأرض
التمّ - عليه - الناس وطعموا
صلوا للغيمة كي تنزل
فوق الأرض العطشى
والمطر الدفاق يهل ويغرق أجران الملح النابت فوق تضاريس
الزمن
الخائن
والمحشو بأنياب الجوع
الصاهل من عشب الصخر.
[ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة بالذات]
انتظر طويلاً عبد الله
ولكن مليكة كانت جنيه
أخذته بين ذراعيها لفته..
في ثوبٍ كتانيّ أبيض
ثم دعت
لمرافئها المجهولة في أعماق البحر
استضحك عبد الله هناك على جزر المرجان المضفور بريق الخمر
استلقى - عبد الله - وشاهد حبات اللؤلؤ
إذ تتكور

في نُزُلِ الرؤيا والسر
سألته مليكة:
هل يذكر عبد الله الصيفَ
وحباتِ العنبِ الأخضرِ إذ تتكوم فوق عشاش الطير النوام
على سرر الليل؟؟
وإذ يلهو بطفولته
مزهواً بنباتات الحناء الراكضة على جنبات النهر؟
وماذا عن أعواد الكتان المعقود
بتاج الزرقة واللون؟؟
وها هو يلهو
يتصيد أسماك الدغل
ويلقي بطفولته قرب فراشات الحقل ويجلس تحت الأشجار السامقة
هناك على عتبات الضوء
يكلم بعض عصافير تهجر
أفراس الحزن المنقوش بداخل بوابات القلب
يداعب سنارته
هل تأتي أسماك الماء حواليه؟
هل تغمز؟
ها هو
يغرق في ستر الوحدة ثم يعانق نشوته
منشداً لمليكة
هذي الجنيةُ من يفاجئوها في هذا الوقت من الليل
ويركب صوب مراتعها خيلاً
من ضوء محموم؟
من...؟!
يدخل أرباض قبيلتها ومراعها؟
لكن كلاب الصيد تهش
وينقرّ ذبان الوقت جناحيه
ويغزو عبد الله المربع

ها هي ريح نيئة رطبةً تعدو... تعدو... تعدو
وتمر خفيضاً فوق الرمل المستوحش
ثم تعد الحبات
وتغرس ما بين الرملة والرملة شجراً من أيكٍ مخضراً
وتخطط نهراً لمياه الغيم
وتهبط في نُزُل الضوء لكي تعبر صوب حبيته.
[قامتكِ هذه شبيهة بالنخلة وئدياك بالعناقيد ورائحة
أنفكِ كأجود الخمر]

كانت سيدةً من ذهبٍ ولآلىٍ تعبر
ومياه تتراقص فوق نبيعات الفضة
ثم تحلُ السيدة - العابرة - ضفائرها
وتفك رباط قميص النوم
وتخلع نعلها
ينفرط الثوب المحموم يعري بدنًا محمومًا
ويكشف مدناً تملؤها أصداف اللؤلؤ
ياقوت من جنات الصحو يفر
واحدةً
تلوى الأخرى
ثم يكور حبلاً من نورٍ حول الصدر العاجي
وينسج متكاً
لضفائرها اللينة الفحماء
المتكسرة على - الجسد البحر -
فتسبحُ
يتبعها الماء
وتترجرج أجزاء الجسد البض كزهرات اللوز القطني
وحين تلامسها الريح السائلة
تستضحك للماء
وتكشف عن سننّها للشمس اللينة الرخوة

تستضحك لطفولتها
يأخذها شوق يخلبها إذ...
تثنى فوق كريات الرمل الناعم يحضنها ويؤاخيها
ثم يهدد أقدام عصافير تتبعها
وفراش
يقفو خطوتها
واحدةً بعد الأخرى تأخذ سنتها الشمس
وتعطيها وجداً كالجمر
وتبحث عن رجلٍ لم يخلق من قبلُ.
[وحبيبي أبيض وأحمرُّ معلم بين ربوة رأسه ذهب إبريز قصته
مسترسلة حالكة كالغراب عيناه كالحمام على مجاري المياه
مغسولتان باللبن جالستان في قبيهما خداه كخميلة الطيب
وأتلام رياحين زكية شفتاه سوسن تقطران مرأً مائعاً يده
حلقتان من ذهب ومرصعتان بالزبرجد بطنه عاج أبيض
مغلف بالياقوت الأزرق... ساقاه عمودا رخامٍ مؤسستان على
قاعدتين من إبريز].

وجد

أيلٌ يترى قرب سواسن ظلّ
غيم يخرج عن دائرة الغيم
سماء
تمطر أفقاً من برقٍ
يتحلق قرب نجيمات الحلم
امرأة تتربص بالشمس وتركض في منحيات الزرقة والأسر
هل شاهد عبد الله الرؤيا؟
ها شاهد..
واسترق السمع؟
هل شاهد وانكشف السر؟

كانت سيدة الزمن المثقل والخطو المثقل
تتنقل ما بين الظل وبين الظل
وتكشف عن ساقها
زبد يتطاير من أفق البحر
ويغسل أشرعة السفن هنالك في الميناء
انفتح البرزخ
وارتطم البحران
فهذا عذب وفرات
والآخر ملح أجاج
وهاج
هدأت واستلقت فوق أريكتها الخضراء
وراحت تنظر نحو السقف المبهم والغيم المبهم
ثم تغادر رحلتها صوب الشيطان المجهولة
والخليجان الأخاذة
لنهار
يتعلم كيف يفج من الليل المرصوص
على سندان الظلمة
والوقت
أرخت لليل صفائرها
ضجعت موسيقا الوحدة
والغربة
وانكشفت في سجن الصمت سماوات الصبوة
راحت تبكي أشجار السنط البري الواقف فوق حواف الترع
العطشانة
والكافور المتصاعد نحو سحابٍ
لم يسق بلداً ميتاً
من قبل..
اهتزت بالرقص المتخافت سألت:
إن كان الفجر قريباً من شرفتها؟

أرخت لليل سحابتها الدكناء
وراحت تقرأ كي تطرد أشباح النار الشتوية
لكن البرد هنا قاسٍ
والثلج ينزُّ
ويتكاثف
شيئاً
شيئاً
يغزو هذب أسرتها
يتعلق طير مصلوب فوق شجيرة بلوطٍ عطشى
لفات دخانٍ لم يبلغ حد نداءٍ محمومٍ بعد
وها هي تتعلق ما بين الغرفة والسقف
تحاول أن تسترجع شيئاً مما فات
ولكن الوقت يمر بطيئاً
كالساعات الأولى
لرحيلٍ ممرورٍ وبطيءٍ
ها هي بعض نداءات الصبوة
تغزوها رجفة
موتٍ مستترٍ
تتعلق عيناها بامرأة الضوء الساقط
وتحاول أن تتوالد من خلل النوة والنوء
وتكشف للشمس طريقاً
لأنَّ كأعواد الحنطة إذ تتمايل في وقفاتها من جرّاء الريح
اللينة
الرخوة
لكن الباب تفتح فجأة
وانزاحت جدران الغرفة واتسعت حتى وسعت أفقاً / بحرأً
يمتد ويتراعى نحو اللامنظور المرئي
ضحكت
وانفرجت شفتها عن برقٍ لماعٍ

صافٍ

كان يؤانس وحدتها
قالت: تجلس أم تأكل من خبز النشوة؟
لا...

هأنذا أصنع فنجان القهوة بالضوء
وأسدل فوق الجدران أشعة شمسٍ من قلبٍ يفتت حرقاً
حرقاً

ظلت تكبر يوماً يوماً
حتى شب حريق النار بجسمي الناحل
واستشهد في قلبي طير أخرس
أزهار الرغبة ماتت
وانفلتت أنهار النور بعيداً
جفت واحترقت
وأنا أتفتت كنباتٍ جبلي خادعة القطر ولم تنزل
غيمات الله عليه
وأفتح بابي كي أدخل...
دعني أتوضأ وأصلي
فأنا عاشقةٌ لنهارٍ لم يطلع بعدُ
وأرضٍ لم يمش فيها أحد من قبلُ
وطفل

سواه الله بريق الضوء
وخيلٍ تركض نحو الغابات الخضراء
من وديان الأرض المجهولة
في رحلة حبٍ لا تكمل أبداً
عاشقةٌ لصباحات النشوة
والوجد
وحاول أن يتكلم...
غلقت الباب حواليه
انكشفت أسرار وسرايب لمدائنٍ لم يدخلها من قبل

وأغلق عينه طويلاً كي يبصر
لكن لم يلمس شيئاً
أغلق ثانية عينيه...
انفتحت حجب ودهاليز كانت خافيةً
ها هي أصداف
ولآلى
ونوارس تتنقل فوق شطوط الماء الرائق
غلمان يغتسلون بضوء صافٍ
ويمرون خفافاً
أكواب من فضة شمسي
وقوارير من ذهبٍ خلابٍ للأبصار
وأخاذٍ للأنظار
وقطفات من ضوء زاهٍ
بسط من سندس
وأباريق من فضة ماسٍ
يحملها الولدان
وعسل من شهدٍ يتقطر كالبللور
فمن يدخل يشرب
من يطلب يأخذ!!

[الآن فليسمع ختام الأمر كله في الليل على فراشي طلبتُ من تحبه
نفسي طلبتهُ فما وجدتهُ أني أقومُ وأطوفُ في المدينة في
الأسواق وفي الشوارع أطلبُ من تحبه نفسي طلبتهُ فما وجدتهُ
وجدني الحرسُ الطائفُ في المدينة فقلتُ أرايتم من تحبه
نفسي؟ تحت ظله اشتهيت أن أجلس وثمرته حلوة لحلقي
اسندوني بأقراص الزبيب أنعشوني بالتفاح فإني مريضة حباً
أنت جميلة يا حبيبي ومرهبة كجيش بألوية إلى أن يفيح النهار
وتنهزم الظلال ارجع آه... حبيبي مدَّ يده من الكوة فأنت عليه
أحشائي].

طواف

ها هو دهليز يتلو دهليزاً
سرداب يتلو سرداباً
أجنحة لملائكة بيضٍ ترقص وترف حوالينا
شجّرني الضوء
وبللني القطر الغياث الهاطل
وانبلج الفجر الليلي
وضخت شمس العشق أشعتها
من ينقلني من سباحات النجم
ويربط بالأحجار الغيمة؟
هدأ البحر اللجّي الصخاب فمن يدخل يغرق فيه
ومن يخرج
يضرب في الأرض جنوناً ويتوه
السيدة الآن انكشفت
لكني لم ألمسها
لم أدن من شهد أنوثتها
شجّرني ضوء يركض
ونوارس تتأبط صارية السفن الغرقى
قبرة تسكن داخل قلبي
أزهار تتفتح
تتفتق عن أكمام تنضح بعطور المسك الهوام
وحبّات الرياح العابق
هذي امرأة تعرف سر أنوثتها
وتداجي الليل القناص الداغل في لجج السهوة والنشوة
ثم تمر على أجران الملح المتكوم في أرض البور
تصفق لعصافير البوص البري
وأعواد النعناع الأخضر
والحامول

وتقطف من سهل الحنطة سبع سنابل خضراء
وتطعم من يتبعها
لكن
من يتبعها؟؟
من يتبعها غير عصافير الماء
وأفراس الحلم
ونخلات الضوء
أفر بعيداً عن سيدتي عليّ أبصرها
والوقت قصير جداً
في هذا الزمن المتسلط كالسيف
أجزُّ الوقت
ومزقاً من شريان القلب
وبعضاً من أضلاعي
ثم أعرش بيتاً للسيدة الساكنة هناك على ضفاف الأنهار
تجاه الأكواخ المبنوثة
في قلب الأرض وصحراء الصيف
وها هي تدنو فأراقبها
نجم فضي يحرس خطواتها ويتابعها
في حركة تجوالٍ أبدي
أدنو
أدنو
أدنو
لكن الأجناد تمانعني
وتسمر خطوي بالشوك النفاذ المسنون كجلد القنفذ
أرتد بعيداً
أتململ في جولاتي الليلية
أتحين سهو الوقت
لكي أنسل إليها في مخبئها الزهري
أحدثها وتحادثني

والحراس المنتشرون كجرذان القمح تراقبني
أُنْضُورُ عَشَقًا
أُتَشَقُّ كالصخر الناري بوادي الجن
حاولت مراراً أن أقفوَ خطوتها
أُتْرَصِّدُهَا
كانت شهب مارقةً تلمع
حارقةً تترصدني
فأتابع تجوالي فوق الوقت المسموم المرّ
وأنعس قرب صخيرات الموت
وناداني صوت يهتف بي من غور السكرة فأفقت
أفقت..
كانت سيدة الضوء تُقرب مني
غشائي وسن قهار قاهر
فاستصرخت
وناديت عليها ما ردت
كلمت الريح النقالة لم تسمع
وأشارت أن تدخل قلبي
فانسدت طرقاً
وتدحرج صخر - في عرض النهر السيال -
وأعرض طير
ونأت خيل
وبقيت أساوم نفسي
ساومت
وساومت
وساومت..
اشتدت ريح عاصفة صرصر
وانهمر الماء المخضوضر
بدماء الرمل
اجتاح خيل مدناً كانت ساكنة من قبلُ

وزلزلت الأرض
عيوناً كانت تتفجر
والسيدة الخضراء تراقبني من شرفتها الفضية
أشلاء التوت مبشرة
تستضحك وتلم ملاءنها البيضاء حوالها
يتقاذف طير في جلستها
جسد يرتد عليها يخرج من صحبتها
وينادم أشجار الصبير
القائم في وحدته
ها هي ريح من حنطتها تأتي وتهب
فأرتد بعيداً
ينسرب الحراس
وأدخل مسكنها الصيفي
أناديها
وتناديني
كانت سنوات ميتة من قبل أراك
وأرض لم تؤت
أكلاً
طير يهجر وطناً كان يساكنه
وييمم شطر الغيم
مليكة
تفتح شرفتها لعصافير الماء
وأشجار اللؤلؤ
والنارنج المتفتح في وقد الصيف
وتفرد شمس أشعتها كي يدخل ضوء
تتراكض أفراس الماء حوالها
وتفر فراشات كانت ساكنة في شرنقة الصمت
وترقص حول الوجه المستعصم
بالضوء

وها هي آخر أجناد الأرض

تفر..

مليكة

تغزلُ بيديها سرر النوم

لفارسها المتوحد بامرأةٍ يعشقها حد الموت

وأفراس الأرض

تمر..

وتتركها في شرفتها

جالسة تترقب

وتفر الدمعات اللؤلؤ كاشفةً

عن وجدٍ مسجورٍ

في غرفات القلب المملآن بوحل الأرض

وجلد الفقراء

المطروق بأسنان الشمس الحراقة

كانت ترقبني

بيننا

أتهياً لرحيل فجرٍ آتٍ

تتساءل في دهشة طفلٍ بري

- مثل خيول الضوء

وأفراس الحلم -

ألملم بعضاً من أشجار الملح وحبّات الخروج

والنعناع الأخضر

والصبير المتطاوّل فوق جسور الترع المصقولة

بنباتات الماء

وأرويتها بالدمع الهطال

لمزن القلب

فتكبر

وتصير قلاعاً وبلاداً

هأنذا أرحل في غبش الفجر

أراقب شمساً
تتفجر من خلف تلال السحب الداكنة اللون
وأربط أفراسي بطيور الماء
وأزرع بعض شجيرات الحنطة
خلف الدار المأهولة بالجوع
وأوصى بسقايتها
حتى تأتي بعض سحاباتٍ حبلَى
فتساقبها
ومليكة
هذي العاشقة المعشوقة تغمزُ لي
ويفر يمام البر إليّ
يحملني جزءاً من غيم رسائله
يتصاهل حولي وينط
هل تشرب كأساً يا محبوبي؟
لا

أنا لا أسكر
لكنني أسكن في نذر الوقت
وأبدأ رحلة صيفي تذكاراتٍ نحو الأهوار المسكونة بالأسماك
الخلجان الممتدة بين البحر وبينني تذكارات
صبري تذكارات
وموتي تذكارات
وراياتي البيضاء المشرعة هنالك فوق مواني الغربية
والترحال طويلاً
تذكارات
وأشجار الحنطة
والسعد
وأوراق الحور السامق تذكارات
وشاراتي تذكارات
أنا الآخر تذكارات

اقتربت ساعة موتي
وانشق القمر الأخضر - فوق صحاري العشق العطشى -
قامت واستلقت
فوق أريكتها الخضراء
وها أنت بدأت تعاند نفسك
تدخل في أبراج اليأس
وتخرج من أفناء الحلم
- وكان الفجر يمر علينا
يقسم بالنجم
وموطنه
يلقى بأوائله...
ثم يعاود نحو البحر مسافته -
هل تشرب شيئاً يا محبوبتي
وأنا أسقيك
وأملأ كأسك من خمر النشوة والصبوة؟
لا؟
أنا لا أشرب
لكني أبحث عن شيء لم أعرفه من قبل
وأبحث عنك
وساقية النهر تدور
تدور
تدور
وأرضي عطشى
ومدائن قلبي
لم يغرس فيها أحد من قبل شجيرة
لم يسق أحد فيها بذرة فل
كي يستروح فيها الرحل والركبان
- في تلك الوديان المقفرة الجمرة -
والأيل المحرور الهارب

من وقد الشمس اللّساع
آه

قلبي يشتاقي إلى نبع يروي عطش الصحراء المشتقق
ما أصعب ما تطلب يا عبد الله...!!
استضحك عبد الله وغادر مرفأه
في عين الشمس الحمئة
وامتدت سفن كانت راسيةً
بموانئ آفلة

وأشار إلى النخل الراسي قرب عشيّات الحقل
أن انثر جمارك فوق الأرض البور
وأفرط من قلبك رُطباً
لجيش النمل المخبوء بسكنات الصخر
وكحل كل عيون الفقراء بشهدك
فاهتزّ النخل
ارتعشت أرض كانت هامدةً
وربت جزر

- يملؤها دود الوقت
وغسلين القرح -
وأوراق زهر كان يساكنه الموت
وهلل طير الوقواق على مدنٍ كادت تنسى في حضن الشمس
النوارة

ثم أشار إلى الريح
بأن تدنو
وتلاقح أعواد الحنطة
وشجيرات الجميز
وأزهار الليمون
اندفعت ريح صافية حبلى
فوق شواشي النخل
اندلعت نيران الصحو

فأروق في عتبات الجسد / الموت
النور المتهدل من جنبات الغيم
وها هي ريح تغشي الأرض
فيهلك نسل
وتفزع رءوس تحت جدار البحر العاطش
وأشار إلى النار
بأن تفرد فوق الأرض
ملاءتها
سحب راكضة
نزلت
فوق بلاد آفلة
وامتدت شرفات الحلم
على أجران القمح المنشور بأحراش السهل
وها هي مدن تطوى
يعروها
شبق
فتاك
للمضوء المارق
من يمسك بشرار النار
ويحمل في القلب مسرتها
ويصاحب ومضاً لبروق الليل
الدفاقة
حتى يغدو أفقاً
من صيف
فوق بلاد الجوع الصائف؟
ثم يعاود رحلته
منتظراً
أن تأتي هذي السيدة الخضراء
تبلى عطشاً

يتشقق كالجرح
وجرحاً يتمزق كالصخر
وها هو صرح يتمدد من لجج الماء
وفيض الياقوت الأحمر
وزمردة تتلألأ في البهو
الصاحب
ومليكة
تدنو
تدنو..

هل شاهد عبد الله الرؤيا؟
صرح يدخل فيه
زهور تتفتق في الجنين
نمارق تصطف
على سُرر الماء
أباريق يحملها الولدان
فتتألأ بالخمير المعتوق
تحط عليه النشوة
فتؤاخيها
ويؤاخيها
مليكة
هذا وقت للحب
ووقت للتوهان بأرض الصبوة والعشق
اقتربي
واقتربي
واقتربي
فاضت كأس السكر من شفتي
وأورق في أضلاعي
وقد الجمر
انشقت أرض كانت هامدة

طلع زاه
يتطاوح في لجج الوقت
ويعلو
كمدى سرمد
اقتربي أيتها السيدة الخضراء
اقتربي
أيتها السيدة الخضراء
فعبد الله الأخضر
قد شاهد واسترق السمع
مليكة
هذي السيدة الخضراء
امرأة تعرف سر أنوثتها
وتداجي الليل القناص الداغل في لجج السهوة
والنشوة
ثم تمر على أجران القمح المتكوم
في أرض الجوع
تصفق لعصافير البوص البري
وأعواد النعناع الأخضر
والحامول
وتقطف من سهل الحنطة
سبع سنابل خضراء
وتطعم من يتبعها.

كتاب
المسالك والمسائل

1 - نهايات الجسد / سيادة الفراغ

إذن...

سأكشف لك عن قبة الجسد
وأعري تفاحة الهواء فلا تبتس وقل لي:
من أنت أيها السيد حتى أهبك المرأة التي شغلتك وتقول لي
عندئذ من هي؟
هذه بداية الرغبة وسماء المعرفة
فاخلع نعليك إذن وتوكأ على هواء الإرادات وفتوحات الاسم
كيف أتبع نجمة وحيدة في فضاء الجسد
وأدور كالضليل بين المادة وفراغ المادة
وأزني لنفسي ما بالخراب من بهاء وتخيلات؟
واقف أنت أيها السيد على حافة الجسد ترقب تحولات الروح
وانحسار السماوات عن صيرورة الأرض
وتمسك بخيط الشهوة هل تجد على النار هدى؟
هذه بقية العبارة:
تخرج المرأة من غسق الليل وتنتظر عند بوابة النهار
فتمنح الجسد بقية الاحتمالات بماله عند كل ذكر وأنثى من
معنى هو بقية الكلام
ومن كلام هو بقية المعنى والشمس واقفة على جسم المرأة بالرؤى
والتخيلات
وقطاف المرأة منفرداً على أكمام الرجل وانجاساته
فتلتقي الذاكرة عند سماء ما
وتقوم بين كمون الرغبة وشهوة المعرفة
هل تفرق الذاكرة بين غيبوبة الشمس
في وضوح النهار وغيبوبة النهار على مكامن الجسد
وتوجساته؟
هل تنفجر سماء ما
وينفرد كلام الرجل على جسم المرأة أقاويل من تفتحات وأعنانٍ

وهي لَمَّا تزل تراجعُ كلامِ الجسدِ للجسدِ
وتخلطُ عشبَ الصدرِ بوبرِ الساقِ وعرقَ السرةِ بقطيفةِ النهدينِ
وتقولُ لسماءِ المخيلةِ:

هل يختفي النهارُ في برعمِ الليلِ
ويختفي الليلُ عند حافةِ النهارِ
وأنا بين الليلِ والنهارِ كوكبٌ ناتئٌ
وسماءٌ منطفئةٌ في أرضٍ ذاتِ أبعادٍ
ومسمياتٍ...؟؟

إذن

سأنفتح على سماءِ الجسدِ وأمتطي صهوةَ المخيلةِ لأفتح ما
بغرفِ الجسدِ من مغاليقٍ
وأنتظر عند حافةِ الأوقاتِ
هل تتركبُ السماءُ خطيئةً ما
وتكشف لي عند شجرةِ الجسدِ الجامعةِ عن حقيقةٍ ما يسمى بالليلِ
وما يعرفُ بالنهارِ
وكيف يكون قطافُ الجسدِ للجسدِ وهو مثقلٌ بالثمرِ والبرتقالاتِ؟
تلتقي الشمسُ على عريشةِ الجسدِ وهي ثملةٌ وسكرانةٌ
فلا تعرف الشمسُ كيف يمكن لجسدٍ ما أن يحتملَ تزاوجَ الليلِ والنهارِ
هكذا

على مرأىٍ ومسمعٍ من عُشبِ الجسدِ وتفتحاتِ السُرةِ
والجسدِ واقفٌ بينهما بالتهاليلِ..
هذه بقيةُ العبارةِ:

أنتظر عند حافةِ الجسدِ وأنا عارفٌ بمواعيدي
وأظل هكذا غارقاً بين النومِ واليقظةِ إلى أن أرى شجرةً تخرجُ من
فضاءِ الجسدِ
وبها من النهارِ أبنيةٌ
وتصدعاتٌ...

وأكشف عن جزيرةٍ غارقةٍ على ساحلِ الجسدِ وعليها رجالٌ
ونساء يقفون صفوفاً صفوفاً

ويرتلون بأدعية
وكلام لا يحمل نكهة الحروف
ولا يخرج من تحت صدف اللسان
بل لهاة

وتو

ا

شجات

سأقول للريح: هبى عرشك لي
وأغادر الأرض وأقف على حافة السماوات
هنا سأبنتي بيتاً لي
وأهب كل امرأة زاكية بعضاً من اللبان والبخور
وأقيم - في الفضاء - صلواتي - إلى أن تشرق على حافة الجسد وإفاقات
الموتى

وتنطلق صراخات

بلا أدعية

(1) - هذه هي هجرته الدائمة

يخلع عن نفسه فضاء الكتابة ويتحول إلى زمن ذي أبعاد
ونتوءات وما بين جسد المرأة والمرأة

يفتش عن حفرياتيه

ويقيم شعائره

هذه هي هجرته الدائمة...

يتحول إلى حجر ويفضي بكلماته إلى الريح وقيس الأبعاد بما في
الذاكرة من خرائب

وينتظر الروح عند قارورة المادة

وقرب دائرة ما

وفوق أرض أخرى يقيم انكساراته ويبحث عن تناقضاته وآفاقه...

وما بين فضاء المرأة وسررتها يخبى كواكبه

سيختفي في سماء المخيلة إلى أن يركب عربة الزمن

ويسوق اللحظة إلى قواقع المعرفة ودفاتر الفقد

وذلك بإيعازٍ من جسدٍ ما
ويقيم على شفا جُرْفٍ هارٍ
علاقةً خاصةً بين الأسماءِ والمسمياتِ ويخرج على إلف العادةِ
وهيولى الموت
ليقشر اللحظاتِ إلي آماذٍ وأزمانٍ
سينسى ما يسمى بالموت وما يعرف بالحياة ليصنع حياته الخاصةً
وموته الذي يليقُ به
ويحتفل بكل ما هو جدير وإنسانيّ
ليس هناك من زمنٍ سوى ما يعرفه أو يغوص فيه
سيعرف أن للحب وقتاً وللموت وقتاً آخر
وما لا يعرفه فهيولى وترهاثُ
سينسى أن للحجرةِ جدراناً وأن للسماءِ لازورد الغيابات
وأن للمرأةِ قطيفةً تسمى الرغبةُ
ويتذكر أن امرأةً ما هو يعرفها بسيماها
وهي لا تعرفه
فلا تقوم عند أحدٍ ولا تقدم له من نعمةٍ إلا ابتغاء المودة في القربى
واشتهاءات السهر اللذيذ
إذن...
سأرحل خلف الجسدِ وليس عليّ من فتوحات الليلِ
غير قمرٍ
وحيدٍ
ونجمةٍ ضالةٍ
وأحمل خطايايَ
وأهشُّ بها على كواكبي الغارقةِ وقاراتي الطافيةِ
وأنتشل من سماءِ المخيلةِ سمكاً غارقاً وقمرأً مخنوفاً محتضراً
وأُنزل إلى أرضِ الوقتِ
فتنحدر صخور الذاكرةِ باتجاه غورٍ ما
(2) - أتخذ من النوم رقيقاً لي
وأعلن عن توافقاتِ كائناتي الضالةِ وقططِ الفخار المهشمةِ وممياواتي

وأقرب من مقابسات الروح الأولى
وأترك ما أحمل من فراغ يقال عنه الزمن
حتى يأذن الجسد لي
وأجلس أمام عربة اللذة الخاوية حيث لا حول لي وأدلي ساقلي للريح
وأصغي إلى البهاء ذي التناقضات
وأتلعب بعباءة الجسد الواطئة الشاهقة
وأثبت بمراكبي الغارقة
إلى أن تطلع الشمس على صحراواتي وكتباني المنخفضة
ومجراتي
عندئذ
يدخل الجسد متلفعاً ببهاء الرغبة
 ويفصح عن سماوات الروح ومسار الأزمنة ومخابئ الموت والحياة
وليس لي عليه من سلطان
فلا أحد إلا هو
وألكأ أمام كائنتي الضالة وألهو بممياواتي
وأمكث في قاع الجسد غريقاً
فأمسك فراغ الجثث
وأتدلى كالهافية..
وأدحرج الزمن عربة خائخة عند حافة السماء
إلى أن تطلع الشمس من مغربها وتلكأ عند هوة الجسد
حيث تنفجر البالونة الصغيرة التي تسمى الأرض
هنا
سأنطلق إلى مسمياتي
وأضع على خارطة الليل أنشودة النهار فأعبر الأقاليم والأقاصي
وأدخل طقس امرأة ما
وأتلعب بغبار الشمس ووحل المسافات
وأخذش حياء الذاكرة ببهاء الجسد وأمثولاته
وأفتح مثل قارة غارقة على سماء بهيجة
وقمر وهاج

وأنصب فخاخ سُني لأكورَ الليل على النهارِ وأكورَ النهارَ على الليلِ
 وأقطف زهرةَ الجسدِ الرابعة
 وأمام مسامَ النشوةِ أقف خائفاً وأنصب مرافئِ السكينةِ وأمسك
 بالريح ذات الأوتاد
 فتتلصص أرض الجسدِ الرطبةِ على سفينةِ الجسدِ الرطبةِ
 وتنزلق إلى مرافئٍ غير آمنةٍ
 وواطئةٍ
 ولا تنحرف دائماً هكذا
 وأنا أصعد خلف صنارةِ الجسدِ وأهبط كسمكةٍ جائعةٍ
 لا تقوم إلا على رمل البحيراتِ وتحتمي بالحوافِ والتوافقاتِ
 كيف أصنع قانونَ الجسدِ وأحدّد له تضاريسه
 وأقترب قليلاً من هوةِ الروح
 وهو واقفٌ على سقالةِ الخوفِ ما بين قصديرِ الجنسِ ونحاسِ الرغبةِ
 الأخاذِ
 وليس لديه سوى المداومةِ إلى أن يموتَ
 ويعترف بالخرابِ والفجعيةِ
 كيف أقتنص من اللغةِ ما يتسق وكمالاتُ الرغبةِ وأنسُ الصعودِ والهبوطِ
 إلى أن أرى الجسدَ كالحقيقةِ
 وليس له من لغةٍ سوى الإشاراتِ أعرفه بها من لغاتهِ العديدةِ
 وكلامِ الرمزِ
 في السماء ذات البروجِ
 ها هي لحظةُ الوقوفِ إذن..
 (أ) - أكون حجراً
 وأرسم تتوءاتِ البيوتِ ومرايا الجسدِ ذي المربعاتِ
 والمثلثاتِ
 (ب) - أكتب أغنيتي الأخيرةَ على مهايطِ الجسدِ
 ومصاعدهِ
 (ج) - سأغني بنفس الحروفِ التي ألفتموها وألقيتموها علي
 سراويلِ الزمنِ

ومحفاتِ الريح
وبقعثموها بالاجتراراتِ والهشاشةِ
(د) - أكتب عن مهاوي المرأة التي عريتموها عن كل نكهةٍ وأصعدُ
إليكم وأنزل لتفتشوا عليَّ
وعندما أجيئكم
تنطلقون كالغَيَابَاتِ إلى حدائقِ الغبارِ ومتاهاتِ الأسماءِ
(3) - أعشابي طالعةٌ من تحت سماءِ الإبطينِ
جسمي - هذا الأملودُ الأخضرُ - ملتحفٌ بقميصك حين تقوم وحين تنام
وحين تكون على مقربةٍ مني
وأنا ساجيةٌ قدامك تتملاني
عشرةٌ أقمارٍ فوق جبينِ الأنثى والرجلِ الخارجِ من تفاحاتِ الوقتِ
وصلصالِ الشهوةِ
ثمَّ يمام فوق الأرضِ
يخرج طيرٌ من بين الجسدينِ الملتحمينِ على عجلٍ
ويطير إلى أن يبلغ حدَّ الجسدينِ الملتحمينِ على عجلٍ
هل يرقص مذبوحاً
ومضاءً
ذاكرةٌ من توتٍ وعنبياتٍ
قمرٌ فوق فضاءِ المرأةِ
حين يجن الليلُ سيخرج من أعماقي قمرٌ ملغومٌ بالرغبةِ
فتقوم الأنثى
شاردةً في الوقتِ
وصارخةً في البريةِ
آ... آ... آه... سيعود للإبحارِ إذن
لم يشأ أن يغرق المراكبُ الطافية قرب خليجِ الجسدِ ويلقى
بقلوعه إلى الريحِ
وهو غير مسؤولٍ عن ذلك
ولا هي مسؤولةٌ..
هل من سماءٍ ثامنةٍ فيرتقي إليها درجُ الفتوحاتِ؟

يجعل للهواء أنبوبةً ماصّةً تسمى الريح وبها يثبت ما يشاء ويمحو ثم
يكتب أخطاءه فيمحو ما يثبت من ذكرياتٍ
وعلى شجرِ الذاكرة يخطُّ بعلامةٍ على الرخام السماويِّ
ويمسك الأرض من أطرافها ويصير تخوم امرأةٍ يعرفها وبلاداً
يتلاشأها

يلتقي بالصحراواتِ ويكون ذا رمادٍ وصهاريجٍ وله ما يشاء من الجواري
والقيانِ

يتوضأ من رُغاءِ المحاراتِ ويبحث عن صدَفِه في الأعالي
فأين تكمن كواكبه؟
يباغت الشمس وهي نائمةٌ عند خليجِ الجسدِ وعريانةٌ
ويكشف عما له من ذريةٍ

وأقاليمَ...!!

حقاً

ح

ق

ا

سيكتب ميلاد الجسد
ويؤرّخ لزوارق الرغبة وانكسارِ الحروفِ على مرايا الجسدِ
ليقيم مملكتهُ على الأرضِ
ويلوّح للصيادين ويفضُّ معهم الشباك ولا يسألهم
عن البحرِ والأعبيهِ
وما هم فيه من عناءِ الصيدِ
إلى أن يرى اللؤلؤَ في صدَفِ المحاراتِ وهو يدّحرُ على جلابيبه وتحت
سمعه وبصره إذا قعد أو قام - وإذا نام أو استفاق -
ويتكوم في حفنته كماءٍ هابطٍ
ثمة سمكٍ أخضرٍ عند القاعِ
يصطاد واحدةً
فواحدةً..

ويلقي بصناراته إلى الهواءِ

فيخرج له من وراء الأكمة ما يخرُجُ عندئذٍ يطعمه إلى موقدِ الذاكرة
ويجلب ما يحمل من سمكٍ ميتٍ
إلى الأسواقِ
إذ ذاك... ..

سيتوقف عند جزيرة الجسدِ ويلقي بصنارتهِ إلى الأبيضِ الأبيضِ
والبعيدِ البعيدِ
-آه.. الجسد الغامضُ الغامضُ -
وبخطاطيفه إلى الأزرقِ الأزرقِ
ويخوض في اللجة حتى يجعل الأعالي أسافلَ
والأسافلَ أعالي
إذن.. ..

سيكتشف كم يكون القاعُ غويطاً والأرض ذات فجاج وأخاديد
وهو لما يزل يحوم حول السطح وفي الأعماق حيتانٌ بأنيابٍ
وقروش تنتظر الضحايا
فقط.. ..

محاوَلَتُهُ تبوء بالفشلِ
إذ ذاك... ..

تصرخ الروح كالديبة
وتتعارك الشهوة كالنيازكِ
والجسد بينهما
كالضحية

هنا سوف يغمس إصبعه في دمه ويكتب على رقعة السماوات والأرض:
- الجسدُ قبةُ الروح
والروحُ معنى الجسد - ولا فرق
هذه بقيةُ العبارة:

سأدخل في غيمة الأرض
وأرتدي لباس السمك الأخضر وأقعد تحت سماءٍ بلا نكهةٍ
وأرتب أوراقِي
ولا أرتكز إلا على ما تكنه الذاكرةُ لي

وما يجلبه المعنى من تخيلاتٍ
كيف أصف ما أرى؟
المرأة؟؟
آه
سيدة المعنى
وآخر الفتوحاتِ
وأول الكلام كيف أكشف عن سماء الجسد وطموحاته؟
كيف أكشف عن أسماء الجسد وغرائبه؟
كيف أصنع من خميرة الجسد كتاب السماوات والأرض
وفتوحات الخليفة
ونهاية ما يسمى بالكينونة والماهية وهو الجوهر والعرض معاً
وهو هو..
في نفس الوقت خرائبي وطلاسمي؟
أتزيا بكلماتٍ ضحلةٍ
وأدخل جزيرة الجسد المتوج بالصبايات والمواجيد...
زهرة مدى
وزهرة ذراع
زهرة صدى
وزهرة وداع
هذه بقية العبارة:
سأبتكر للجسد لغةً تليق بالكلام
وأخرج من بؤبؤ الضوء إلى عتمة اليقظة ومسارب الأزمنة ووحل
الجنازات
... استسلمت للنوم إذن
وبقيت حتى ساعة متأخرة من الليل
- وعلى فراشي طلبت من تحبة نفسي فما وجدته -
وأنا أدعك جدران الزمن بالفراغ
وأدشن الخراب بالانكسارات
وأسير وفق هواء الرغبة ولا أنيس لي

وأَتوقف أمام امرأة ما
فأنكسر مثل ياقوتةٍ
وأختصر ما يسمى بالزمن ذي الأبعادِ
وأختفي عند زاويةٍ ما
فأشم هواء اللزوجةِ وأتوقف تحت شمس المتاهات
وأدّخرج كالبالونةِ
دحرجةً خفيةً وأتخطى حواجز الأشكال والألوان
ولا شأن لي
(4) - يطوّف بالأعالي
ويشهد صهد المجراتِ
ويكتب بخطاطيفه ما يسمع من كلام وأغنياتٍ ويحرث الأرض
بالمحاريث التي يعرفها ولا يعرفها
أرض المرأة نيئةٌ...
فهل تصلح لإقاماته المنفردة وهجراته الدائمة؟
ثمة ميلادٌ آخر وقيامةٌ أخرى ولا يعرفها
وشمس تهب من الأقاصي
وعند قبّة الجسد سيكشف عن آثامه وأسمائه وما له من آثارٍ ومسمياتٍ
ويهب اللحظة ما له من ذرياتٍ
وانخطافاتٍ
وسيوقف الزمن عند هاويةٍ ما وينتشله من الغرقِ
ويومي لمراكبه
أن تطوف فوق البحيراتِ الضحلة والشطوطِ الخربةِ
ولا يتوقف إلا عند حدودِ الجسدِ
وما بين سماء المرأة وسرتها يخبئ كواكبهُ
آه..
عندما سيهرّبُ
سيكتشف أن ما جمعه من صَدَفِ الجسدِ قليلٌ وبلا فائدةٍ
هناك..
سأقيم علاقةً خاصةً بين اللغةِ والمجازِ

وسأعترف من سماواتِ الجسدِ وموويله ما تنوء بحمله الذاكرة وما لا
يقدر على احتماله
جسدٌ آخر
وأكشف عن فصولِ الليلِ وأقاليمِ النهارِ
وأرتد بعيداً
إلى حيث تغيب الذاكرة عن سماءٍ مألوفة لي
واكشف عن أرضٍ مراوغةٍ وسماءٍ
بلا نكهة...

وسألتف على نفسي إذن
وأمسك بكرةِ الهواءِ وأدثر بكلماتي
وأنتعلق في قصبةِ الروحِ الفارغةِ وأفك مغاليقِ الجسدِ
ولا أبوح باسمها لأحدٍ
وأنتشر في الأرضِ كالخرابِ ولا حدَّ لي
وأقرأ على عتباتِ الذاكرة ما تيسر من آيةِ الجسدِ..

2- هكذا والذي لا اسم له

هكذا

أتجول بين مراثي الذاكرة وغياباتِ الاسم
أتمدد عشبةً طريةً على جسمِ الأرضِ
وأحتسي ذؤاباتِ المرجانِ وأنام هكذا عارياً بين ثبوتِ الكاف
وانحناءِ دائرةِ النونِ
وألأثم أبجديةَ الكلماتِ وشهوةَ الأرضِ
وبقايا ما في الذاكرة من خدعٍ ومرايا
ألأثم الجسدَ اللامرئيَّ بالجسدَ اللامرئيَّ
والجسدَ المرئيَّ بالجسدَ المرئيَّ
واللاجسدَ باللاجسدِ

وأغلق عيني عن الدهاليز وأنتهي إلى المكان ذي المغاليقِ
كيف أنفذ إلى النهار ولَمَّا ينفذ الليل من فتوق السماواتِ أو

يستوي عرشه على الماء
والمسافة بيني وبين السيدة كمشكاة أوقدها بالليل لأحتفظ
بها في النهار
وأوقدها بالنهار لأحتفظ بها إلى الليل
هذه هي حال السيدة دائماً...
وهذا هو حال السيد أبداً...
يتكوم على الورق الأبيض ويوشوش الحروف فتكور الكلمات أمامه
- كتكور الليل على النهار
وتكور النهار على الليل -
ولا يسأل الحروف من أي سماء أقبلت وكيف اتخذت هيئتها من
أول يوم
ومشت في هيئة قرصان
كيف ألبس الزمن عباءة الحروف إذن
وأدوّن على تضاريسه حكايات النهار وزمراً من أضاليل الليل؟
كيف أكتب عن فضاء امرأة ما تخرج من غيابات الحرف إلى
متهاتات الأسماء
والمسميات؟
(... إذن لا طاقة لي...)
كيف تتخذ المرأة ذاكرة ما لتنحصر في طبقاتها
حسبما يتيح لها الاسم من أوصاف
ويتسع الوقت للأسماء والمسميات؟
هي - المرأة - إذن هيولي الفضاءات بما لها من جواهر وأعراضٍ
هي - المرأة - الحركة والسكون وجواهر الأوقات
وليس ثمة شيء
كيف أكتب على قميص يوسف أن النسوة اشتبهينه وقطعن أيديهن
وهو واقف يغلق الأبواب
ويتهجدى أبجدية الغياب والحضور
على عباءة السماء والأرض
ويزركش المكان بالدم والفجعية

حتى ابيضت عيناه من الحزن
(... والاسفا على يوسف...)
أحياناً..

يكلم الريح
ويعتصر اللغة عند بوابة المعنى حتى يتبين الخيط الأبيض من
الخيط الأسود ويقف عاجزاً
أمام جسم امرأة ما
هو يعرفها آناء الليل وأطراف النهار
وهي هي تعرفه في الأوقات
إذن...

هو يعرفها بسيماها
وبما لها من تخیلاتٍ
وشهوةٍ
وهي تعرفه بما له عند كل ریح من هبةٍ
وعند كل سماءٍ من شروقاتٍ وأقانىم
وسيو قد بخور المودة
ويترك ما يعرف من اللغة على شفا جرفٍ هارٍ
وسيو ضئ الشمس تحت قدمي امرأةٍ
ويشبك قطيفته الأولى

في سراويل الريح
ويخلع على الأرض ما ينوء بحمله من أثقالٍ ويتوكأ على خرابات
الإثم ويهش على أوجاعه وتلاوينه بما يحفظ من أدعيةٍ وتباريحٍ
ويقيم ولائمته في الفضاء وهو جدٌ جائعٌ إلى الجسدِ وأهازيجهِ
ويصلي - له - صلاةً دائمةً
ويقف على حصي الشهوة
هل يحدق في الماء؟
ثمة صورته...

وهي ترتعش كقصبة في الريح وتذبذب القشة تحت مراوح
الغيايات

وملاءاته الرخوة يتركها لليل
ويواصل في النهار سعيه وصلواته إلى أن يصل إلى حديقة الجسد
وأغانيه
أيها الجسدُ:

يا قرينَ البداياتِ ويا صبغةَ الرب
كيف أتجمل لك
مثلما تتجمل لي؟
كيف أمتثل لكما لانتك مثلما أمتثل بك في كل وادٍ؟
كيف أمتلى بكما لانتك
ومثلما أمتلى بك تمتلى بي؟
كيف أقف منك موقف الخشوع ولا تقدم لي سوى الإثم على
موائد اللذات
مرجانُ الرغوة أنت
وياقوتةُ السماواتِ
وعشبةُ الأرضِ...
تقدم إليَّ يا سكرانُ..
يا سكران تقدم..

تقدم كالوحوش وانظر لخرابي انظر:
أنا المنهزمُ أمامك ولا شكةُ لدى أخوض بها غمار طرقتك وأفك
مغاليقتك بنفسي
وأترجم لك فتترجم لي
أنا الصامت الصامت وأنت الناطق الصامت ولا ذنب لي
أنا اللغةُ

وأنت إمام الحروف
ومنجم المعاني والتلاوين
أيها الجسدُ:
يا قرينَ البداياتِ ويا صبغةَ الربِّ
سماواتك أيها الجسد آخذةٌ في الاضطراب وخطوي آخذ في التلاشي
(اسمع نداءات الروح)

وأرجوزة الزمن
واغرق في المجرات...)
أدعية بلا نهاية
وكلام بلا تلاوين
فماذا تكون البداية إذن؟
أدحرج الريح على حنجرة الزمن
وأنظر عناقيد الشمس ولا شيء يذهب أو يجيء
... باطلُ الأباطيل...
ثمّة أسئلة تحرقني
أمّوه على القوم بأسنّة الكلام - وخضراء الدّمن -
وأرتعد من الهيولى
حينما أفكر في الموت
كيف أحتمي من العدم بالمرأة
وأحتمي من المرأة بالعدم؟
ألبس قفطان الليل والنهار
وأخرج شاهراً سيف الدعة على أرائك اللذة
وهي المرأة - تلوح لي - بين النوم واليقظة
فكيف أخرجها من الصّلصال إلى النطفة ومن الواقع إلى
المثال كيف...

كيف؟

لستُ إلهاً أيتها المرأة
فأخرجك من الظلمات إلى النور
ولا أخفيك بين جنبيّ
فأخلقك خلقاً آخر
يا يوسفُ

اخلع نعليك إذن واستسلم لغواية السيدة
وليندغم الأزل في الأبد
والأبد في الأزل...

و غنّ سماء الدهشة و يقظة المعنى عند كل جسد وفي كل جسد غنّ

انسلاخ النهار عن الليل
وانسلاخ الليل عن النهار
واقبض بيديك على المعنى
ستعود إذن يا يوسف ملتثاً...
أيها الجسد:

يا قرين البدايات و يا صبغة الرب
كيف أعرفك بكلامٍ لا يخرج من بين اللهاة ولا يرتقي صدَفَ اللسان
فأصنع زبيبك بنفسي
وأهب لك من قصدير الجنس وذهب الرغبة ما تنوء بحمله وكشفه
إلى أن تخلع - عنك - فضاءات الروح
وترتقي درج الأبد والأزل
وعندما ينعدم الزمنُ تقف الذاكرة خائخةً عند حافة السماء
الأولى
أيها الجسدُ:

أعطني كلاماً آخر كالكوثر
أخرج عليّ من حدقة العين ومن بؤبؤ الروح
واجمع الأشلاء من فوّهاتي
ولتتحد بموتٍ لي
أعطني أيها الجسدُ كلاماً كالنبيد لأشربه في كل زمانٍ
وفي كل آنٍ
أتشج بك عند كل شمسٍ
وأمام كل قمرٍ أقول كلماتي
أكتبُ على لآلئك ما أود قوله وعلى تضاريسك أخبار الفصول وزمن
القيامات

وآخذك في كل ليلةٍ لجحيمي
أصنع منك فخارةً وأملؤها بك
وبكلام الرب أقول الذي فيك وأزينك لعيني
وبك ما بك من الترهات والأوهام
أصنع منك فخارة

وأضعها أمام الربِّ
وأملؤها بالأكاذيب والتصديقاتِ
هل من شجرة تنبت في عمق الروح فأقطف أوراقها بيديَّ
وأضع بين كل زهرة من زهورك
مراياي
ووقتي..؟
بك أنتشي
وبك أعطيك من كلام الليل ووهج النهار
أيها الجسدُ:
ألمسك فتخرج يدي
ويقولون:
تَلَّهُ الجسد..
سأقف أمام أسوارك وغرائبك وأنا مدجج بغرائبي وسُنني
وعلى تخوم أعدائك سأدور كالفراش
وأنا بين سنة النوم
واليقظة..
نعم
نعم
سأكون في كامل هيئتي وشكَّتي
منتظراً ساعة نومك
كي أنغرز كالنصل بين حصونك وسأدعوك باسمي
يا بهيُّ
ويا صبغة الرب
ويا قارورة الروح
أرى دمي منتصباً بين الأنقاض
فأجره ورائي
صانعاً
شمساً وقمرًا من الأخاديد...
أواصل الصعود والهبوط ولا أنجرحُ

أتوقف عند الزوايا والتعرجات ولا أقعد فيغلبني النعاسُ

وانتشل غرقاي

أنحدر مع السيل في الليل نحوك - كالزبد -

وألوح للربابنة وصيادي الأسماك والقراصنة

هؤلاء همو أهلي وعشيرتي

وأهتف:

اقبضوا على الجسد بالشباك

امسكوه جيداً بالصنانيير

تلك صنارة الروح تصعد والشباك خاوية

هذه هي إذن

فوضى الجسد

يا أصدقائي

يا ضيقي القلب ويا ثقيلي الأحمال ويا متعبي الروح

يا من هم بجلايب من طلع

اقبضوا على الجسد بالشباك والصنانيير

امكثوا على سفينة الموتى

ها نحن أولاء نشرف على الغرق

لا تدعوا الشباك تعتصر الأيدي

ولا تفلتوا سمك الجسد وانتصبوا ساعة المنازلة

واثبتوا فتلك شجرة الجسد

قد بانت

هلموا

هلموا

يا دهاقنة السياسة

ويا أرباب الحرف

والصناعات

يا محترفي الأكاذيب ويا مزيفي النقود هلموا.. هلموا

هذه سفينة الجسد تبحر بليل تحت ريح خشنة وموانئ أخرى

تلوح في الأفق

وها هم صيادو اللائى ينتظرون في موانئ قريبة أو...
يلوحون بالليل والنهار لسفينة الجسد أن تتوقف
هذه سفينة الجسد آتية

انظروا:

فوق السفينة سقالات بعرض السماوات والأرض وأبنية ما بها من

تصدعات

أرغفة الجسد حلوة وثمرته ناضجة

وعلى الجوعى أن يوقدوا الشموع ويشعلوا التناير ليخبزوا

الجسد كالرقائق

حمرة قانية تنزل من سماء الجسد وتعتصر الفم كالليب

وتنفطر كأجود الخمر

هل إناء الجسد فارغ؟

إذن

اهدأوا قليلاً.. قليلاً

أيها الجسد يا قرين البدايات

ويا صبغة الرب

إلى أين تعبر؟

وها نحن نتظر ساعة الروح وملتقى المواعيد والإشارات ولا

نكترث بالبدايات والنهايات

فقط

نتربص بك في كل وادٍ تقيم فيه

وكل سماء تنقش عنك بك

اتبعوني أيها المزيفون للروح والجسد معاً..

أيها العبيد:

يا من..

تكثرثون بالليل والنهار لأي شيء ولكل شيء

يا من أفواهكم مفتوحة كالخراثيت

وبطونكم منفوخة - كالحوانيت

وعلى أعينكم ترين غشاوة النعاس

وخبث الحديد...

أيها الجسد:

[يا بهي يا سمي يا عليّ يا وقتيّ يا إنيّ يا آنيّ يا أزلّيّ يا أبديّ
يا زكيّ يا شجيّ يا غنيّ يا قويّ يا رضيّ يا جليّ يا خفيّ
يا شهيّ يا شمسيّ يا قمريّ يا صخريّ يا رمليّ يا جبليّ
يا سهليّ يا مرئيّ يا مخفيّ يا أرضيّ يا فوقيّ يا تحتيّ يا ناريّ
يا مائيّ يا بدئيّ يا آخريّ يا نجّي يا ليّليّ يا صمغيّ
يا شمعيّ يا بصريّ يا شرقيّ يا غربيّ...]

هل أشهدتهم عليك؟

إلى أين تهرب أيها السيّد؟

وعند أي سماءٍ تقعد وفي أي كوكبٍ تقيم وتنشر لأولئك كالمصابيح
والمغاوي

وعلى أي شاطئٍ ستوقف السفن وتشعل النيران

يا شرقيّ يا غربيّ...!!

سأنتصب مثل قارةٍ في وجه الريح

وآخذ كل سفينةٍ غصباً وأكون كالقراصنة فأين منافذ الهرب؟

سأسرق زوارقك

وأحطم المجاديف

وألقي بالبحارة وأسمالك القرش والحيتان إلى الأعماق

وأنصب - في وجهك - شاهراً سيفي وهو مطرّزٌ بدمك الأبيض الأبيض

الأحمر الأحمر الأزرق الأزرق الأسود الأسود...

وألقي عليك بالفتيان والحجارة

سأجعل عليك الليل سرمداً والنهار أبداً

سأتيك بأتباعي من الغرقى

وبأتباعك من العبيد والجوعى إلى أن يحجبوك عندهم

آه

وسيعتصرونك كالحليب

ويسكرون بك كأجود الخمر يا عصير التفاح والأعنان

ويا شجر الأقاح

يا شرابَ الآلهة والنبيينَ
أعطني أيها الجسد كلاماً آخر حتى أقدر على الكلامِ واستسلم
لمقاود الحروف
ومقابض الألفاظ
أعطني أيها الجسد لغةً أخرى
حتى أرى اللغةَ جهرَةً لا من وراء حجابٍ فتفتح المغاليق لي
أيها الجسدُ:

سد الفرج والقنوط ما بين كل لفظةٍ ولفظةٍ
ثم اعطني ماءً لأشرب ولأصدّق عليك بك فأقبض على معانيك بيدي
ولا أبحث لك عن تأويل آخر
ولا لغة تقوم مقامك هذا
ولا كلام هو منك وبك إلا سهّلته لي
وقضيت - لي - ما أنا فيه من عوزٍ
وغواياتٍ ...

إذن
أيها الناسُ:

سننزل إلى جزيرة الجسد ونكون كالمجذومينَ
ونتخلّى عن كل لغةٍ نعرفها ولا نعرفها إلى أن نقرب من زمردات
الجسد
ولآله..

المتراصة في الهوائيات كالأنابيب الماصّة بحلوقٍ مشققةٍ
وجسوم ذوات قروح وندوباتٍ
سنرتكب حماقة الانتظارِ إلى أن يطلع علينا السيدُ الجسدُ
بغته..

ويلقي بالتحايا والمواعيد ونحن يومئذٍ في شغلٍ عنه به
يموج بعضنا - يومئذٍ - في بعضٍ فلا نعرف أي شيء عن حقيقة ما نحن
فيه

ونذهلُ عما لا نحن فيه
وكل منا - يومئذٍ - ممسكٌ بقارورة الروح

يصفّر صفيّره الخاصّ
ويغني أغنياته الخاصة بلسانٍ خاص هو هو لسانُ الجسدِ
ولغةٍ خاصّةٍ هي هي لغةُ الجسدِ
إلى أن تشرق الشمسُ علينا - بغتةً - ونحن في شغلٍ عنها به فكّهونَ فلا
نعرف إن كانت - هي هي - الشمسُ ذات البياضِ
أم هو هو الجسد نفسه ذات البهاء والتخيّلاتِ وبه من الكمالات ما نعلم
وفوق ما نعلمُ..

فقط هي الروحُ - كيمياءُ الجسدِ
والجسدُ

كيمياء الروح - ولا فرق
ويطلع القمر فلا نعرف من أيّ جهةٍ صعد إلى الأعالي
ولماذا أضاء ما أضاء

من الجهات
بللوا شِعْرَ القمر بالماء
وامسحوا - وجهه - بالأغاني
افتحوا إليه السراييب وانزعوا الرتاجات من على البوابات
دلّكوا جسمه بالزبيبِ
وفكّوا..

عنه الوثاقُ
لفوه بالدرج الأخضر والزمرّداتِ
واغسلوا نتوءاته بالأدعية والتبريكاتِ
وهو هو بين هالة البهاء وبهاء الهالة يجمّع النجوم واحدةً
فواحدةً إلى أن يتحلّقن حوله
كشعر امرأةٍ من العاج والنجس والآس والزبيبِ
فتسكن عندئذٍ كل حركةٍ
وتهدأ كل نائمةٍ

إذ ذاك تقول المرأةُ
أنا بهاءُ الجسد واكتمالاتُ الدائرةِ
أنا المواقيتُ وهؤلاء همو أتباعي ومواثقي

إلى أن تصير الأرض وردةً - كالدهان -
وتصير السماء طريقاً مفروشاً بالآس والحناء
ويرتشف الرجلُ جسم المرأة كما يلتهم الثمرة الذكية وحب التفاح إلى أن
يصير الليلُ كالنهار والبياضُ كالسواد هنا
هنا ينتفض الجوعى...!!

«أيتها الساكنة في الجنات الأصحاب يسمعون صوتك فاسمعيني
كيف نصعد إليك وننزل ونحن في مهمة ضيقٍ حرجٍ
اضرب أيها الجسد بأراغيلك على أوتار الروح
وانبثقي أيتها الروح من قرنية الجسد وشبكية الانفجارات والتعاشق
سأسلك سبيلاً آخر أيها الجسد نحوك
وأتخطى المرات والحزازات ومحدودية المكان واسطوانة الزمن لأدخل
في ميتافيزيقا الهيولى
وأفتش عن الجوهر والعرض فيك ولأشرب من خمرة الماوراء...
هناك...

حيث تنعدم التفاصيل ولا يكون للأشياء اسمٌ ولا مسمى
فقط - هو - هو - كل شيء وهي كل شيء
سأجد بوذا يحتسي خمرة المسيح
ونيتشه يسكر على مائدة يهوه
ومحمدٌ يتوسط الدائرة ويقعد تحت ألوية الروح
ويلقي بالبشارات والتعاليم
ويشرب من عين الكوثر
هناك سأقابل بلقيس وسليمانَ وامرأة لوطٍ وسأتعرف إلى زليخة
امرأة العزيز
وأسأل عن الهدد في صحراء سبأٍ وأتحسس ريح يوسفَ
هناك...

سأقابل عروة بن الورد وامرؤ القيس
وأرتكب حماقات بودلير وأمشي وراء قوافل رامبو في صحراء عدنٍ إلى ما لا نهايةٍ
وسأضحك من فاوست
وأهبط الجحيم مع دانتي

سأكلم زرادشت
وأقابل الشيطان - في منتصف الوقت - وهو واقفٌ يرادُ الجحيمَ
والجنةَ وأقايض الهواءِ واللامرئياتِ
وأَتَتبع المعرى في لزومٍ ما يلزمُ وما لا يلزمُ
وأَتوقف أمام قبر محيي الدين بن عربي في الصالحية قرب جبل قاسيون
وأوقد مشكاة الغزاليِّ
وأَتوقف أمام بيمارستان الفارابي وصنَّاجاته
وأُكشف ما لآلة القانون من طاقةٍ وما في الموسيقى من معنى ومنازلٍ
سأكتب إشارات بن سينا وأفك طواسين الحلاج وطلسماته
وأحفظ كلمات النفريِّ عن ظهر قلبٍ وأُكشف عن كراساته وأوراقه أمام
الجماهير
وأُحرق مخطوطات التوحيديِّ تحت أرجل العامة وهمو يضحكون
ويرقصون
هناك..

سأُحرثُ الهواءَ بالمحاريث وأُصنع من ألعابه أصابع الفضاء
وأُمسك الشمس بيمينِي
والقمر بيساري
وأُخلع عليَّ من سراويلِ الريحِ وأُحجياتِ الزمنِ ما أشاء وما لا أشاء من
معنى وفضاءاتٍ
وأُسأل عن ماهية الوجودِ والعدم
وأُتلبط على رمل الشاطئ مهجوراً
وأُشير للزمن أن ينعدم وللسماء اللازوردية أن تنكفى على الأرض في
عناقٍ وتهيؤاتٍ
وأُحلُّ في صَبْرَةٍ حنطةٍ
هل ثمة أين..

ومتى
وكيف؟؟
وبأي شيء
وإلى متى

ومن أين
وإلى أين؟

نعم
نعم...!!

سأقود قوافل الرياح على رمل الشاطئ وأكون صديقاً للأغراب
سنكسر معاً حدة الرياح وصدفّة الموج وخرائب اليأس
ونقلّب الأرض بالمحاريث ذات اليمين وذات الشمال ونهشم ما يسمى
بالزمن ونصنع من فخّاراته محاراتٍ لرغباتنا المكسورة
وأرغفةً لأغنياتنا

الجريحة...

سنقلّب الروح بين أيدينا كالسراطين ونلعب على أرضٍ منبسطةٍ
وتحت سماءٍ رحبةٍ وزاهيةٍ ننشر شباكنا هناك
وتحت ليلٍ بنجومٍ لاتعد وأقمارٍ لا تحصي سنخرج عن
إلف العادة

إلى الفوضى

ومن النظام إلى الفضاءات ونحقق المعجزة مرةً .. إلى الأبد
- تلك - هس معجزة الحرية
والروح معاً..

ستخلص من تفاهتنا المدهشة وحزننا الغامض المدهش
سنمارس رغباتنا الصغيرة المدهشة بنوع من الألم المدهش
وسنصنع من كلماتنا البسيطة المجوفة
كالشعيرات البسيطة المجوفة
أغنياتنا البسيطة المجوفة

أيضاً

أيها الجسد:

يا كليُّ

يا جزئيُّ

أين ألتقي بك وما هي مراسيك؟ قل لي

الكلمات كلها لك

الأقمار كلها لك
والليالي كلها لك
كيف أصعد إليك وأنزل وأنت بعيدٌ كالسماوات ودقيقٌ
الخرادل؟؟
هل أنت لغة الأرض وكلام الهواء ولؤلؤ المحارات وعاصفة
الوقت؟؟
أنا مقيّد بالحبال فشدني إليك
كن رفيقاً بي
لئلا أنكسر
أخرجني من قواقعك المظلمة إلى إشراقاتك البهية
هل هي ممثلة بك إلى هذا الحد وأنت ممتلئ بها إلى حد الجنون؟
فعلام إذن تفرقان وتبتعدان؟
لماذا تشهر الأسئلة - في داخلي - وتلقي بي إلى الهشاشات أنا ومن
ورائي..
أيها الملفوف في خادرة الروح كالخطيئة؟؟
أيتها الروح الملفوفة في سديانة الجسد
على جذوعك تقوم النبوءات وترتكب الحماقات وباسمك تشتعل الحروب
وعلى فروع الجسد تتفرق الديانات ويختلف الأنبياء
ويدعو كل منهم إلى شرعة وأعاجيب
آية الغاز تحلمها في جلايبك أيها الجسد؟
تقدم إليّ سكران يا سكران
سأفتح في دروبك الطريق إلى الهاوية
وأفتح الهاوية إليك
أنت
سأنكسر مثل زيتونة أمام خطاياك
وأنحني عليك بالليل والنهار لأقطف من ثمارك وعطاياك ما أشاء
وما لا أدرك
وسأقود الريح إليك في خطى شرسة وأنت واقف لي بالمرصاد
آية القاب أخلعها عليك وبك من الكنوز والفتوحات ما لا يعد

وأمام غرائبك تهمهم الأفاعي كالمردة وتنطلق الشياطين
وتخرج اللامريئات من مكانها وهي تطق شرراً وحتفًا ولا أبالي؟ ثمة
أوديةٌ ولججٌ ومنازلٌ كثيرةٌ أقطعها إليك وأنا أنهب الأوديةَ وأخوضُ في

اللجج

وأتوه في المفازات إلى أن تساقط عليّ كاللآلئ
وتدّحرج على جلابيبي كالمحارات...
أشم من ورائك رائحةَ الفجيرة وتلهب شمس الأفاصي رأسي
آه.. تعبت من السير وارتباك الحال وخرجت أتلصص عليك
كالفريسة وأشم رائحتك كالثعالبِ
[... أذكر ...]

كان الوقت ربيعاً
وكانت السماءُ زرقاءَ
والشمس والقمر يسيران في خطوطٍ منعرجةٍ ومتوازيةٍ
وهما يتلاعبان بالليل والنهار
كما تتلاعب السمكات بالشصّ
وكان أن رأيت دخاناً كثيراً وظلمةً..
وانفتحت السماوات عن أولها وآخرها وأخرجت الأرض ما بها من
يعاسيب
أذكر..

كان... [

هو العدمُ إذن
والهيولي تتشر كالسراطين
وسمعت صوتاً عظيماً
فإذا بامرأةٍ من لؤلؤٍ وياقوتَ بطنها كالعساجدِ وصدرها كاللجينِ المسبوكِ
والحليب
تأتي مترجلةً وعليها عصابةٌ من الحلبي وتاج من الزمردات والياقوت
فقلت:

من أنتِ أيتها السيدة؟
أما من نسلٍ لكِ على الأرضِ؟؟

سنكسر معاً توافقات الليل والنهار
وندور كالتطف إلى أن يرى كل منا الآخر ويلائمه
سألتف عليك كاليرقات
وتلتفين عليّ كالشرانق...
وسنغسل الأرض برغاء الشمس وخبز المحارات
ونضطجع وحيدين في العراء
ولا نكلم الناس ثلاث ليالٍ إلا رمزاً
هذه هي هجرته الأولى إليك
صه..

صه..

كان الجسد يتكلم فوق ما تقدر اللغة وتحتويه الكلمات من
حروف ومعنى
كان يكتب كلماته على البحر ويهمس بها إلى الريح
ويغني أغنياته
ويستحم عرياناً في زبرجد الأبد
ويمسك بالقضبان ذات الرياحين والمزامير
وكان يقرأ المزامير وهو واقف على حافة الأرض ويراقب الشمس وهي
تخلع عنها
أردية النهار وتدخل إلى كهف الليل وموakhirه
وكان يمسك بخطايفه يمام الجسد ويصنع من الرغبة زوارق بيضاء
لأماسيه وصباحاته

وأنا أتلصص عليه من فرج الوقت والقنوط
وأحمل عجيزة الزمن على كتفي وأرحل - وراءه - من بلد إلى
بلد وأتحمل في سبيله المشاق والرغائب
وأهين نفسي لاكتمال الدورات
قلت: أضعدها إليها ورحلت أغد الخطي
كانت السماوات تتفتق حولي كالسراويل وتنخلع عن الأرض
كالبرانس
فنمت ألف عام

وكان هناك جدارٌ يريد أن ينقضَّ
وأخذت أحفرُ إلى أن اتسعت الدائرة وصارت كالهواية
قلت: أنزل

وبقيت هناك في الهاوية ألف عام
وأخذت في الدمع والغناء إلى أن امتلأت الأرض بالبكاء والفرح
وصارت مثل بحر لجي موجه طام وظلماته بعضها فوق بعضٍ
فارتفعت الأمواج للحافة إلى أن أشرقت الشمس بنور المرأة
كان ثمة أوحالٌ وغيماث كثيرة منتشرة...

وكان هذا اسمها
قلت: إذن لا حول لي
غير أن طائراً أتى إليّ وكلمني وقال لي:
- أبدأ نشيدك أيها الجسد -

واقترب من هوة الروح
ولتشتعل بالنشوة وغبار المسافات ووحل الأزمنة ولا تمكث إلا في
قاع الجسد غريقاً
واترك لعصافيرك أن تنام وهي تقطع الأفق غير هيّابة من الموت
أبدأ نشيدك أيها الصقريّ يا جنازة الأرض ويا مآتم الفرح والغيابات
هذه هي شهادة الحواس الخمس ألقها عليك فاحفظها لئلا
تخرج عن الطاولة

كان محيي الدين بن عربي يغسل نافورة الجسد بتراب الرغبة
ويملاً جرّته من زبد الشمس كل صباح وفي القيلولة يبدأ مدوناته
وفتوحاته

وكان يفرش الجسد على امتداد السمع والبصر والفؤاد ويمضي به
وحيداً إلى الهاوية

فيرصف له الكلمات حيث يشاء ويشم هواء الأنوثة الحيّ من خلال
طواحينه ويختار ما يلائم اندفاعاته ويوافق فتوحاته وهولاه
ويصنع خريطة العالم بسبابته ثم يحبسها في قفص الجسد
وشجرة المعرفة

ويدق مسامير الرغبة في شرائق الريح

ويؤجج النهار على مرايا الليل ونواقيسه وفي آخر الليل
كان يبحث له عن سميع وهو لمّا يزل يبدأ في تخطيطته
هل كان يقرأ العالم أم أن العالم يقرؤه؟
كان يعبر العالم بغير قفازات ولا أجنحة ويمشي على الماء
ويعرّش على الليل بأطرافه ويصنع من النهار شراباً مختلفاً ألوانه
وذا أقاويل

ويأخذ من الليل سجادةً لصلاته
ويكتب أوراقه بدمه
[لها نكهة الحروف]
وله نكهة الكلمات ..]
يتسرب كالحليب الصفيّ ويجري بارداً وحاراً في العروق
أيها السيد:
ماذا تفعل بعصارة اللغة وهي ليست كالأوراق ملكاً لك؟
اللغة مدهونةً بالمجاز
ومزدانةً بالأضاليل ..
أعرف أنك تواجه محنة الانكسار بالكلمات والحروف
هكذا...
هكذا...

كان محيي الدين بن عربي
يتكرر لغةً تليق باللغة ويوضئ الكلام على شفا الكلام
ويقدم قربانه لهوائياته
ويتربص بالجسد في كل آن
ويخطف من الأثير فوق ما تقدّر اللغة أن تقول
وكان يغني دائماً:
- آه -

لهذه الوردة آه
لهذا الوقت
أي معنى لهذه الوردة
أي معنى لهذا الوقت؟ -

سأنتصب في الفضاء كهافية وألقي بشللاتي إلى كل قبرة...
وسأخطف من الضوء أغنياته وأذهب إلى خراسان كي أقابل الغزالي
وسأضع كراريسي عند قدمي بن رشيد إذن...

هل يستطيع ابن رشيد أن يجد حلاً لهذا المعضلة:

- لماذا خَلَقَ اللهُ الجسدَ

وفي أي مكانٍ تكمن قارورة الروح؟؟

لماذا صنع الله الجسد وأثبت فيه الروح كالدودة؟

وكيف كانت الروح قبل تكور الجسد؟

وكيف كان شكل الجسد قبل استدارة تلك الروح؟

ألهذه الأشياء معنى؟؟ -

إذن سأحاصر ابن رشيد وهو يمشي في الأسواق

وسأخترق أسوار قرطبة وأقيم عليه المتاريس آه ها

هو ذا يخرج الآن من بيته ويبحث عن فم يعرف لغة الكلام وجسد

يتحدث إلى الجسد

يترك لنقطة الحبر أن تجفَّ على خشب الطاولة وفوق الأوراق تخيم

الوطاويطُ

ويلقي بأقلامه البوص إلى العراء

ويترك لوجعه أن يكبر

ولرأسه أن يتفحم من الأسئلة وهو يبحث عن الإجابات

هكذا كأن يقول:

- تحولت إلى مدادٍ

نفدت كلماتي وما نفذ الكلام..

صارت الكتابة مرضاً ليلياً وبضاعة مزجاة

أي زمانٍ هذا؟؟ -

هكذا تحول محمد بن الوليد إلى درّاعات وأبنية

وها هو ذا يدخل قفص التاريخ كذكرى

فيرى المغول يعبرون الفرات

وقواد الزنج يتأرجحون على المشانق وتنقش السماء كهافية

أليست هذه هي الحضارة؟

أليست هذه هي الدياناتُ؟
أي معنى لهذا الجسدِ؟
أي حضارةٍ لتلك الروحُ؟
أي كلامٍ له ليقوله أو ليموّه به عليّ ليثبت للتاريخ أن الروحَ أفعى
والجسدَ بحد ذاته شيطانٌ؟
لماذا نتوج الذاكرة ببخار الدم
ونرتشف السلام بالمناجل والغدّاراتِ...؟؟
كيف أثبت أن العالم مملوءٌ بالتفاهة
وأني مسجونٌ إلى حد الجنون في قارورة الجسدِ؟
أي معنى لهذه الشهوة؟
أي معنى لهذا الجسدِ؟
أي معنى لتكرار الليل والنهار
الليل أنثى
والنهار ذكرُ
تنفتح السماء كهوايةٍ ولا نرى في الأفق غير قوس قزحٍ ومطر
الرصاص الأحمرِ
وفي الهوة تكمن مناجم الفحمِ
ومنابت النحاس والقصدير
وأدوات الجنسِ
وهي أدوات الحضارة التي لم تلد ولم تولد
لن يعرف الجنس طعم الروح إلا إذا اقترب من نوافذ الجسدِ وشراعاته
هكذا
يتحول الجسد إلى صراخٍ وتشنجاتٍ
وتتحول الروح إلى حضارةٍ...
لماذا تقابل الغزالي أيها السيدُ؟
هل قطعتَ تذكرة السفر من قرطبة إلى تونس
ومن تونس إلى مصرِ
ومن مصر إلى خراسانِ
ومن خراسانٍ إلى مكة لكي تهدم الفتوحات

وتشعل النار في تنزلاتك الليلية وكتاب الحكم والفصوص
وتنتحر مع الحكيم الترمذي بحثاً عن الأسئلة وانتظاراً لإجابات الغياب؟
وماذا أنت فاعلٌ بترجمانِ الأشواق؟ ...
[هبطت إليك من المحل الأرفع ...
ورقاء ذات تدلل وتمنع ...]
هل تحولت اللغة بين يديك إلى عدم محض؟
واتخذت المعاني طعم أجساد النساء فلا يتشابهن إلا في الرغبة
ويختلفن عند كل ثنية ونومة ..؟
في كل ليلة تسهر على الحروف والكلمات وتقدم للمعاني فحمة الروح
ما الذي سيفعله الغزالي لك؟
ستقف بين برزخ الموت والحياة وتقصص رؤياك إذن
[... سيكيدوا لك كيداً
وتكيد لهم كيداً ...]
... سيقهقه الغزالي
ويهش بجريد المعاني على اللغة وكتب القواميس وكراسات المعاجم
و.. ستقلب خراسان عليك ويتبعك الرعاع إلى
مشارق الأرض ومغاربها
ويشهبون في وجهك المناجل والسكاكين ويتبعونك بالهراوات والقطط
المفحمة
المشتعلة
سيختلط دمك بالأرض
ويتربص بك الأعداء وتلاحقك الهزائم آه...
ماذا أفعل؟
غير أن أنكفى على الركن اليماني وأتوضأ وضوءاً ظاهراً وباطناً
وأصلي صلاةً خفيفةً خفيةً
ولا أكلم الناس ثلاث ليالٍ إلا رمزاً
هكذا... هكذا
يمسك طائرته إليه ليكلمه بالليل ويطلقه بالنهار
ويتوضأ بدمه خمس مرات في اليوم والليلة ويصلي صلاته

الخاصة بوقته الموقوت
ولا يدخل المسجد إلا خلسةً وهمو قعود ينظرون فيمشي على الماء
ويكلم من يشاء بما يشاء
وينفرط على الحيطان بلا حروفٍ ولا كلماتٍ
يضع قلب العالم في اللغة
ويضع اللغة في قلب العالم
ويتصيد للغة الأخطاء فيضع عليها الأستار لئلا تنكشف
ويسمي اللغة سيده فلا يعرفها إلا هو
فتارة يسمي اللغة عزة
وتارة لبنى
وأخرى زينب
أو بشينة...

وفي كل مرة يخترع لها الأسماء والأوصاف
ويقوم لها التماثيل والتصاوير وهو قائمٌ يصلي في المحراب
وعلى صدر كل واحدةٍ منهن يطلق قمر الرغبة الأخضر
ليكشف له عن فحمة الروح
تحت قبة الجسد وانھیاراته
فإذا كان بالليل أطلقه
وإذا كان بالنهار أخفاه
وفي كل يوم يزور أو يزار وهو بعيد عن البصاين والرقباء
ويهمهم بكلام أقرب إلى المناجاة
والتواشجات
انطلق
انطلق

انطلق يا ابن العربي إلى فضاء الكلمات واحتكم للرمز
والجأ لحكم الإشارة
هذه هي صحراؤك الواسعة التي ليس فيها إنسٌ ولا جانٌ
هل تصغي لوهوة الريح وحديث الحرف للحرف
إذن

كيف أصف لك هنداً ودارميةً بالجواء وسقط اللوى بين الدخول
 فحومل؟
 كيف أقبض بيديَّ على اللغة وأحرر الكلمات من حدود الرمز والإشارة
 وأنطلق بها إلى ما يناسبها من معنى ومدارات؟
 يا هندُ
 ماذا سأسميك؟
 أسمىك جوهره العالم ولؤلؤة الوقت
 وقارورة السماوات
 والأرض
 أسمىك تاج الملوك وخاتم سليمان
 وأرسمك على شباك بيتي فضاءً واسعاً وذا تصاميم
 وأكتب اسمك بلغة في عالم لا يعرف حدودها سواي ولا
 يفك طلاسمها غيري
 آتيك خفيةً
 وآتيك ظاهراً وباطناً...
 آتيك مسلحاً بالمعنى وقانطاً من كل معنى
 آتيك وقد اكتملت الدائرة من ألفها إلى يائها
 وما المحيط سوى اسم من أسمائك التي لا هي جوهرٌ ولا إنيةٌ
 ولا هويةٌ ولا وصفيةٌ
 ولا ذاتٌ ولا صفاتٌ
 وأنتِ.. أنتِ قطب الدائرة ورحى المحيط
 يا هندُ
 ماذا سأسميك
 أسمىك نفسي
 يا زمردة الزمرداتِ ويا معنى المعنى
 أية سماءٍ تحملك
 وفي أي أرضٍ تنصبين خيامك؟
 ولماذا يقف الحراسُ على أبوابك وهموهمو من حملة السيوف والأقلام
 ليطردوا كل عاشقٍ

ويدونوا ما يقول من كلامٍ وأضاليلٍ؟

يا هندُ

ماذا سأسميك

أسميك نفسي!!

سأدلق على الورق من حبر الكتابة ما يكفي لكي تتشكل الحروف كلماتٍ

كلها

لك

لك أنتِ وحدك يا هندُ

سأسميك فضاءً

وأكتشف بنفسي مجراته وكواكبه وما به من جزرٍ

وسأنتمي إلى لغةٍ خارج اللغة وأحتطبها - كلها - لنفسي

وسأكتب على مقاصيرك ما لا أبوح به إلا لي وسأنتمي إلى زمنٍ

ليس كالزمن

وسأجعل الزمن يتوقف أمامك بمرساته وعجلاته الخشبية

وسأخرج من فضاء الهوية إلى فضاء الإنية

ومن حدود الجوهر والعرض إلى المعنى ذاته

وسأضحك من نفسي وأقول:

ما تتبع إلا الظنّ

نعم... نعم... هو.. هو ظن الحقيقة ولا شيء غيره

هل من كلام أكتبك به يا هند

وهل من فضاءٍ آخر أحاصرك فيه؟

هكذا سيكون على الغزالي أن يتشبه بالريح

ويواصل السفر على حواف الدائرة إلى أن يبلغ المحيطَ

كلا.. كلا..

سيرنو إلى المركز وهو عالقٌ بالدائرة وكلام النهايات

سيحمل ما يجمع من ورقٍ أبيض ويلقي به إلى الفضاء ويقول كلاماً

بلا توجساتٍ

ويحيل المعنى إلى ترهاتٍ

سيكون على الغزالي أن يتعلق بقصب اللغة

ويقابل الجاحظ على قارعة الطريق
هكذا تكون المعاني

يقدر أن يقول لجسده اتبعني وللأرض التي يسير عليها
استديري إذن فتدحرج - الأرض - تحت قدميه كفكرة من حقيقة
وأنا من كلام...!!
آه...

على وسادة الذاكرة يسقط حليب المرأة الساخن
طائر الموت يهاجم الشواطئ ويتخذ من البحر أنشوطات لأغانيه
أسماك القرش تتكوم كالجثث على رمل الشاطئ
وعلى مشارف الطرقات يفتح العدم فمه
كالحقيقة المرة

ليس على الليل أن يكون صديقاً للنهار إذن
فلتسمح لي أيها الضوء أن أضع صرة مواويلي بين يديك
وأتسلق السماء كالقردة
والنسانيس ولا أبالي
هل أزهر الكرم؟
هل نور الرمان؟

على الأرض تسقط غيمةٌ وحيدةٌ منكسرة
وأقبض بيدي على الهواء وأسند ظهري إلى الحافة
وأتمدد كالفطر ما بين الضحى والليل إذا سجد
وأقرأ ما تيسر من قصار السور
وأخبز امرأة ما وأعجنها في قطيفة الضوء
واستخرج لها من فضة الجسد ما يليق بالجسد من تحايا ومواويل
ها هي المرأة مستندة بجذعها على السماء الأولى
فأعرج إليها في يوم كان مقداره خمسون ألف سنة ولا أشعر بعدد
السنين والحساب
وما بين كل عروج

وعروج

أفتح مغاليق الجسد لأخرج ما به من ذهب ويواقيت

وما به من كلام وأضاليل...

فأفقه كالقبريات

وأنام هادئاً في الفراغ المحيط بي ولا أجدق في خارطة

الوقت

هل نمت على إبط المرأة شمس الذاكرة؟

هل صعد الرجل على هضبة الجذع واقتفى أثر السرة وتجول في

حديقة النهدين

وملأ الكفين من عجينة البطن

وانتظر أن يموت على كف امرأة ما

كيف أجمع لهذه المرأة من الحكمة فوق ما يقدر عليه سقراط ولا يخطر

على قلب أفلاطون

وهيرقليطس؟

كيف أقيس الرغبة بالأبد ولا أقيس الأبد بالرغبة؟

هل نمت على إبط المرأة شمس الذاكرة وطفا الجسد غريقاً

على اسطوانة الردفين

وامتد البحر من خليج الخاصرة إلى بوابات العنق وسدرة الرأس

ومتى أفتح البوغاز كالقراصنة وأقعد على صخرة الجسد في اليم؟

هنا...

حيث تنطبق السماء على الأرض

وليس من بوصلة سوى إحداثيات الروح...

هنا سأدعك الزمرد بالزمرد والعقيق بالعقيق

فلا يرى سوى محارات الضوء

ولا أمسك إلا بقطيفة الألوان

إذ ذاك ينعدم الزمن وتسترد الروح ما لها أمام ما يسمى بالجسد

هل أرتعد أمام الحقيقة التي تسمى

المرأة؟

في الصباح

سأنزل إلى البحر

وأخلع ما علي من سراويل وأضغاث أحلام

وأعيد إلى اللؤلؤ هدوءه
وسأقبض على نجمة ضالة في الأعالي
وأدعها في رحم المحارات - عدة قرون - وذلك دون أن يشعر بي أحد
وأجلس وحيداً على رمل الشاطئ
وأتنفس هواء الحرية الأولى
وأقول للموت:
أيها السيد...
أنت هزيمة الجسد...

3 - أنا مشغول عنك بالمرأة - أنت مشغول عني بالعبرة

هأنذا
أجلو بهاء الماء وأجرح لؤلؤة العرش
أنكشف مثل قبة
وأنفتح كهوية..
فأدثر بجلايبي وألتحف برطوبة السماء وأنخرط في كلام الرؤيا
وتأويل الأخاييل
هل سأكتب تاريخ الأرض
وأدّرج مثل قشة
على وجه الغمر؟؟
كيف كانت البداية إذن؟
هل انكشف ستر الجسد على الجسد؟
أتخذ من النوم أغطية لي وأكنس الزمن بأصابع الليل والنهار
وأتوقف أمام عجلة الموت والحياة
لأصنع حياة خاصة بي
وموتاً يليق بجلائي
فلا أفارق ما أنا فيه من خيالات وصور حتى أكون حَرَضاً
أو أكون من الهالكين

تلك لؤلؤة في السماوات البعيدة تطلع من جوهر المعرفة
وشجرُ السيدة وهو هالكٌ يزهر ويكبرُ
وهي هي ما بين السماوات والأرض كمشكاةٍ فيها من الجواهر المكنونة
المنكشفة

ما لا عين رأت
ولا إذن سمعت
تأتيها بالنهار
فإذا بك واجدٌ عندها من الكلام الشهيّ والرطب ما لا طاقة لك به
أو تخيله

فلا تملك إلا أن تأكل وتسمع
وأنت ما بين الأكل والسماع الشهيّ مندهشُ القلب ومنعقدُ اللسان
وها هو خمر السيدة لما يكادُ ينفدُ
ويدخل عليك بين يدي امرأةٍ ثملةٍ من اليواقيت والمرجان
وما أنت بقادرٍ على أن تنظر لا إلى هذه ولا تلك...
فقط

عينان أنت من الخرز الدائب المتحرك ذات اليمن وذات الشمال
فلا هي الحركة
ولا هو السكون
وفيهما من كل شيء وما هي بشيء مما يجعلك تقف على شعر رأسك وتقتربُ من
حافة الجنون

وتقلب الطرف في السماوات والأرض
هل هذه هي السيدة؟ أجل.. أجل
ثم ينقلب إليك البصر خاسئاً
تلك منازلُ السيدة
وهي تتراءى لك ما بين الصخب والدهشة وأنت واضعُ أصابعك في آذانك
حدّر الموت فلا تحس إلا بلذة النكاح
وينفرط الباب عن آية - واحدة - من آياتها التي لا تعدُّ
فترتبك الذاكرةُ

وينحلُّ عسل اللسان ولا يتبقى لك من الكلام سوى حروفٍ صائتةٍ وصامتةٍ

وكلام بلا معنى فقط
تقرأ على الأركان ما لا تعرف وما تحاول أن تعرف من لغاتٍ
وتكتب بيدك ما لا تفهم من كلامٍ
... جسد لك
وجسد عليك ...
وما بين الجسد والجسد روضةٌ واسعةٌ لا يحدها الطرفُ
ولا تقطعها الخيالاتُ والأوهامُ
هذه هي حياتك الموصولة وتلك جنتك الموعودةُ
فاختر لنفسك في أيِّ صورة ما شئتَ أو ما شاءت السيدة
والتحق بك قبل الفتق والرتق
فلسوف يأتي الليل والنهار عليك وأنت ثملٌ وسكرانٌ
ولسوف ينهزم النهارُ أمام تحديقك الدائم في جوهر السيدة
فهل أنت مجنونٌ دائماً بما تعرف وما لا تعرف
ومجنونٌ بما لا تعرف أكثر مما تعرفُ
وكيف ستبوح إذن بما رأيت وما رأيت ثم رأيت
ادّكر أيها المندغم في الزمن
من أذن لك بركوب ناقة النهار على حافة الليل ومن أذن لك بركوب البرق وأنت على
حافة النهار والليل
ولا من موعدٍ لك منظورٍ أو غير منظورٍ فتلتف حولك الأممُ
ويخرج إليك الشماريخ من كل فج
ويتبعك الحمقى والمجانين وما أنت ببالغ ما تريد مما تريد
وهذه هي السيدة ما تنفك تتسلل إليك في وضوح النهارِ
فتفسد عليك بهاء الليل ويقظة النهار
صه
صه..
سوف يدخل علينا الحرُّسُ بغتةً ونحن لا نشعُرُ
سأكتب عليك تفاصيلي أيتها المرأة
فاكتبي - إذن - عليّ من كلماتك وحروفك ما لا أبوح باسمه لأحدٍ
سوف أجعل من الريح أغنيةً لك

وسأخيط اسمك باسمي
وأشبك الذاكرة بخدع المرايا وأخيلة التصورات
واقفة أنت كالأراك

نعم

نعم

سأخيط اسمك باسمي
ولا أبوح لأحدٍ سواي
ولا أجعل من الخيالات والأوهام مستقرًا لي
وأقف عند زاوية ما
في سماءٍ ما...

أعرف

أعرف

ها هو ذا صديقي الخضر يدخلُ
ويترجل على الماءِ
ويقيس الأبعاد بخيوط الهواء
ويكلم الريحَ
نعم.. نعم يكلم الريح بالسبابة وينشر الكلام بالفقاعات
ويقبض على الهواء بصنَّاراته
ويصرُّ الماء في صرةٍ
ويصعد الدرجَ

هل صعد إلى السماء ونزل هل صرَّ الماء في صرةٍ؟
كيف تكلمت مع الريح يا صديقي؟
هل تعلمت لغة الطير؟ وماذا قالت لك النملة؟
هل تقبب الرمل تحتك ذي الأبراج؟
وماذا عن الزمن؟

هل قابلت ابن داوود عند قبة الصخرة؟
وما هي حقيقة سفر الجامعة ونشيد الأنشاد؟
وكيف تعلمت كلام الرمز
ومن أين أتت لك لغة الإشارة؟

أعرف

أعرف...

ها هو ذا صديقي الخضر

[ما من مرةٍ رأيته إلا وسمّيت ...]

- فسمعت طقطقة في السماوات وجلبةً على الأرض -

وما من أحدٍ يصرخ في البرية

سنسهر الليلة عند جبل جلعاد

ونتوضأ وضوءاً

ظاهراً

وباطناً

يأتي إذن صديقي الخضر

فيدخل قفص الماء وينزل إلى شبكة النهار

أي صلاةٍ تقودها؟

أي جسدٍ يقودك؟

أي امرأةٍ تتبعها من أقصى الأرض إلى أقصى الأرض

وأي زمانٍ تترجل فيه؟

كيف تفض خواتم السيدة وتنسج قبعة الغيم

وتدهس غابات النار؟

هل لاقيت المرأة

وعلام تفتش...؟

قل لي:

ما هي غايتك

وما هو ميعادك؟؟

هل كان محيي الدين بن عربي يتبعك من طنجة ويراك بتونس

هل تسوق الغيم

وترعى الكواكب وتحفني بالنجوم ومثلما تحفني بالحصى؟؟

هل تنكفي على الليل لترقع جلابيب النهار

وتنكفي على النهار

لترقع جلابيب الليل؟

آه
ه... ه... أ... أ... آ... آ...

ها

ها

ها

سأقود الريح إلى مجاهل الغبار
سأتشكل كالطواسين
وأتابع آثار الحلاج
وأقتفى كلام السهروردي
وأجلس أمام النفري فأتلو سورة الكرسيّ على حصيرٍ بالٍ
وأفرك الحصى بيديّ
وأغتسل من الرمل بالرملٍ
مراتٍ

النفري يختزل الكلام إلى الحرف
ويختصر الحرف إلى الإشارات ويختصر الإشارات إلى التلويحات
ويختصر التلويحات إلى الصمت
هل من كلام يقدر على السكوت؟
لم يعد النفري يقبل القسمة ولم يعد يغتسل
لم تعد اللغة مجرد مجازٍ
فقط شبكة علاقاتٍ
وأحاييل ألغازٍ

ها هو - يطيرها في الهواء كيف يشاء ويطلق خلفها معانيه -
النفريّ يضيق باللغة إذن

واللغة تلصق بالفم وتشكل بالهواء
فلماذا يتربع النفري على خوان الرغبة وحده؟
ولماذا يحبس المعنى في خميرة المجاز هذه؟
ويركّب الصورة على جدار اللغة
وحواف الحرف؟

أي كلام لك لتقوله يا صديقي الخضر؟

أي معنى سوف يجري وراءه شيخي محيي الدين بن عربي
وهو يكتب الفتوحات حرفاً

حرفاً

وكلمة كلمة

وفصلاً فصلاً

هل يطارد المعنى خلف كل جسدٍ ويخلع تابوت اللغة ويفكك الكلام على فوهة
الكلام

ويوصي بالجسد خيراً

أم يكون نطفة من مني يمني؟؟

جالس أنت يا صديقي الخضر على فرشة الصلاة

وأمامك سجادات الغيم وسيمياء الحرف

ترتل ما تشاء من اللغة وتخترع من الكتابات ولما يعثر أحد عليك

وأنا

أبحث عن امرأة ما

في بلد ما

تحت سماء ما...

أنت تضحك من بلاهتي ورشدي

لم يكن لك أن تغفر لي

ولم يكن لي أن أغفر لك

كل شيء إذن عندك بمقدار

أما أنا...

فأترجل بين الخرائب كالديناصورات

سأجد على النار هدى

وهي..

هي المرأة أتبعها من بلدٍ إلى بلدٍ

وتتراءى لي كالسراب

فأحسب الكلمات ماءً وأنحدر إلى الرملِ

تحت نهار صائفٍ

وصحراواتٍ مشمشةٍ

قل لي:

ما هي علامتك؟

وما هي أوقاتك؟

انظر:

لم يزل الغزالي يفتش عن إجابة السؤالِ

ما هو شكل الروح إذن؟

هل هي شكل الجسد؟

أم أن الجسد يأخذ شكل تفاحة الروح؟

يضحك النفري

[... يا ضعيفُ

وارِ جسمك

وارِ قلبك. وارِ قلبك

وارِ همك

وارِ همك

ترنى ...]

لم يزل النفريُّ قاعداً عند بوابة الهواء

كيف حال الغزالي؟

يربط التاريخَ إلى ظهره ويحمله من بلدٍ إلى بلد

ويجلس إلى دواته وأوراقه آناء الليل وأطراف النهار

هل يعثر على المسألة إذن؟؟

لم يزل يفتش في الكتابة القديمة

ويكتب عن تهافت الفلاسفة

حائرٌ إذن

كيف يفتش عن جذر الكلمة فلسفةً في القواميس والمعاجم

وينحت من اللغة ما يلائم المعنى

ويكتشف من المعنى ما يخرج عن حدود اللغة وقدرة الكلام؟

إنه

يخمش العتمة ويؤجج الظلام بأفكاره

- ثمة مشكاةٌ في البيتِ إذن -
يجلس منفرداً
ووحيداً كالضالين
لا تؤنسه إلا وحشة أفكاره
هذا الحائط كم راقبه آلاف المرات
ماذا أفعل؟
لا شيء سوى كلماتٍ..
هل نسي المرأة واتخذ من النار خليلاً؟
ماذا يفعل قدام الموقد في ليل القر؟
سيذوق النوم إذن
لا شيء سوى كلماتٍ -
في البدء كان الكلمة
ماذا أفعل بالكلماتِ إزاء الواقعِ والتاريخِ؟
آه..

[يا خائط العوالم خطني...!!]

كان لا يعرف من الكلمات غير اسمها
في كل يوم يكتبه على حافة الريح ويسأل الشجر أن يزوره
والقمر أن يأتي إليه ليسأله
كان يفك شعر كل امرأةٍ ويشبك فيه خصلةً من شعرها
كان يعرف أن اسمها بلقيس
أو ربما هند
أروى
زينب
عزة...
أو مي؟؟
كل الأسماء خارجةً من اسمها
كيف يشرح حاله للغزالي؟
كيف يقول للنفري أنه يحب امرأةً بعينها

كيف يكتب على جسمها من بدائع صنعه وهى تنفرط أمامه كاللؤلؤ
والعقيق

وتنفلت من بين أصبعه

كالضحية...؟؟

مَنْ بالباب إذن؟

ادخل يا صديقي النفري ادخل

أنا مشغولٌ عنك بالمرأة وأنت مشغول عني بالعبارة

وما بين المرأة والعبارة

مثلما

بين السماوات والأرض من تفاوتٍ

ولكنك لا تعرف أي امرأة أعني

ولا أعرف أي عبارة تعني فقط..

تصل ما بين اللغة من إشاراتٍ وتماحيك

إلى أن يكتشف كل منا في كلام الآخر ما ينوء بحمله من خيالاتٍ وصورٍ

هل تعرف ما يقوله صديقك محيي الدين بن عربي

[ليت قلبي هل دروا أي قلبٍ ملكوا

وفؤادي لو درى أي شعبٍ سلكوا

أتراهم سلموا أم تراهم هلكوا

حار أربابُ الهوى في الهوى وارتبكوا]

كيف أخطبك من الحروف فوق ما يقدر المعنى وأقدم لك من العقيق

فوق ما تحمل اللغة

أنا وأنت نقيضان في كل شيء

أنت تقبض على اللغة فتأتي لك بالعقيق وأمسك أنا باللغة فلا أقبض إلا

على المجازات والريح

تلك إشارات البدد والبدء

فكيف حال الخاتمة إذن؟

أي امرأة تعني يقول الغزالي

سمها؟؟

هي الشيء ونقيضه
هي هي
الحركة والسكون الجوهر والعرض اليقظة والنوم
هي الموت والحياة ولا شيء بعد
لا... لا... سمها؟
هي الليل والنهار
وهي هي ما بين الوريد والوريد من قبض وبسط
وما بين الروح والجسد من تماس وتماسك
سمها؟؟
لو كانت هي السماوات والأرض لما قلت هي
سمها؟؟
لو كانت هي الليل والنهار لما قلت هي
سمها؟؟
لو كانت هي الشمس والقمر لما قلت هي
هي الكلمة مطابقة للمعنى
هي اللغة خارج اللغة ومعنى ليس كالمعاني أي موقف خارج
المواقف؟
كل يوم هي في لغة جديدة ولباس جديد
وما أنا بقادر على أن أبسط يدي لأقبض على صورة من صورها
سأحتفظ بها في الذاكرة ولا أبوح باسمها لأحد
من هي السيدة إذن
تكامل الوصف؟
لا... لا.. هي الزمان والمكان
الملاء والخلاء
سأجرح الذاكرة على قبعات الريح
وأكتب عن تفاصيل السيدة وأدون مالها من خيالات على قبة
الجسد وسأغرس أصابعي العشر في زرق البحر لأكشف عما به
من لآلئ وطرق ثمّة قراصنة يبحرون في الليل
وها هي الريح تعوي...

ادخل يا صديقي النفري ادخل
فمازلنا في أول الليل
ما زالت الصلوات في أولها
والنهار لم يكشف بعد عن طوره
وأساطيره
ماذا تفعل في هذي الهدأة؟
سيقول الغزالي:
لم أكتشف بعد علاقة الجسد بالروح
وسيقول النفري: لم تقبض بعد كلماتي على العالم
سأقول: إذن
سأفتش عن دودة الروح بين كثران الجسد ومنحدراته
وسأوقد مشكاة البيت على شفا جرفٍ هارٍ
وسأعمل من اللغة خبزاً للجسد
ومن المعاني تنانير لأهازيجه وأغنياته
لماذا لم يعد الخضر؟
هل راح يكلم موسى على صهوة الريح؟
سأشرح للجسد - إذن - علاقة الجسد بالجسد وأكتب على
صخرة الروح
ما أشاء من الأسماء والمسميات
وأجلس على الحافة
أنصت لصنانيري وهي تغمز لسماك الماء
وأصغي لوهوثة الشمس
وبخارات الروح
وأفترش ما أشاء من العشب على صفرة الرمل
هل ستأتي الشمس متأخرةً عن ميعاد كل يوم؟
سأكتب على الماء ما للسيدة من كلماتٍ وأجمع لها من الصدف والمحارِ
ومن الصفات ما تعرف وما لا تعرف
وأقعد تحت عريشة الجسد وأسبّح تسابيحِي الخاصة بي
وأنتهز فرصة ولوج الليل إلى النهار ولوج النهار إلى الليل

وأنتصب مثل قارةٍ
ضالةٍ
في عرض البحر
لأهب للصيادين المأوى
وللقراصنة الخبز
والدفء
لماذا تذكرت ذا النون؟
آه
ماذا عن ذي النون؟
ي... آ... ه يا صديقي النفري
نحن في البداية إذن
حسنًا
حسنًا
تكلم بما تعرفُ وسأتكلم بما أعرفُ
خرائبُ الذاكرة تغطي حدود الرؤية
شجر الإيلاف ينكسر
وتتكوم أوراق التذكر في الحداثِ
السماء مكشوفة لي
والقمر يتلألأ على السطوح ويعشش في الخرائب
وفوق العشش القديمة
يرتكب الحماقات
أيتها السيدة:
ما بال النسوة في المدينة بي وبك؟
سأنجرح مثل وردةٍ تسيل على الأفق
وأكتب بدمي على الجدران والحوائط من المعاني والكلام بقدر
ما أحمل من عشقٍ
وما أتحمل من مشاقٍ
هل تكشفين عن جواهرك المكنونة لي
فأكشف لك عما أحمل من مودةٍ وامثالٍ؟

سأسوي لك - ويدي هاتين - أريكتك الخضراء
فاجلسي عليها آمنةً
ومطمئنةً..

ولتنظري إلي الزمن فما زال في الوقت متسع
وافسحي للسفن والقوارب كي تدخل الميناء
أيها الخضر يا صديقي قل لي:
ماذا أفعل ببقية النهار وأنا أنفحص قبة السماء
وأقلب طرفي فلا أراها آتيةً بغيم أو نازلةً عند جماعةٍ ما
فأكون لهم صديقاً
ماذا أفعل بكلام النفري وهو جالس في صومعته يرتق الحصى
ويشبك كل نجمة ضالة بكل نجمة ضالة
ويقول كلاماً لا أعرفه وليس لي عليه من سلطانٍ
قل لي:

ما بال القرون الأولى
كيف استطعت أن تقطف وردة الشمس وزنابق الليل؟
كيف استطعت أن تصمد لغواية الجسد
وتفر بجلايبك إلى الكلام؟
ولماذا تشبك النهار في شخايل الريح
وفي آخر الليل ترمى النجوم في اليم؟
ها هموا أصدقائي أتوا من مكانٍ بعيدٍ آه..
لا أقدر أن أفتح لهم الباب أو أغلقه بالرتاجات
سأنكسر مثل موجةٍ
وأنحسر كالطوفان...
أيتها النسوة:

يا خلاخيل المدينة ويا ذهب الأرض
قولوا لي: أين ذهب حبيبي وما هو ميعاده؟
سأنتظر النهار إلى أن يأتي من جهة الليل
وسأنظر إلى الليل إلى أن يأتي من جهة النهار
يا خلاخيل المدينة

ويا ذهب الأرض

قولوا لي:

أين ذهب حبيبي وما هو ميعاده؟

لِمَ لا تدخل يا ابن رشد؟

هل نالك من ذهب قرطية شيئاً؟

سأكشف لك عما يقوله النفري:

[... إذا اتسعت الرؤية ...]

وسأقول لك ما قاله الغزالي في كتابه الإحياء:

[قيل لداود الطائي ألا سرّحت لحيتك؟!]

قال:

[إني إذن لفارغ]

لم يزل محبى الدين بن عربي يناشد الحروفَ ويمسك بتلابيب اللغة

فتنهمر الكلمات من بين شفّته كالكواكب

هل ستتجه إلى خراسان؟

ولماذا تخفى عنا امرأتك

وما كتبت ما كتبت إلا من أجل خلاخيل رجلها وعجين سُرّتها

وذهب بطنها الإبريز..؟

هل تخفي عنا امرأتك

وأنت في كل ليلة توقد لها البخورَ وتلقى حول صدرها بالأحجية

وترقيها بالرقى والتعاويد لئلا يتخطفها الشيطان من المسّ

فيندلق حبر الكتابة على ترجمان الأشواق

وتقوم إلى كتاب الإحياء كي تقرأه

فلا ترى فيه إلا صورةً من صورها؟

أصدقائي كثيرون

تقدمي يا بلقيسُ

تقدمي..

تقدمي من شجرة الروح ولتصعدي للأعالي

اكشفي عن وهج اللجة اكشفي..

ما جدوى الزمن في المتاهة وما جدوى المتاهة في الزمن؟

هل الزمن غير ما نحسه؟

من أغراك بهزيمة الجسد

ومن أغرى الجسد بهزيمة الروح؟

إذن...

سنصعد معاً صوب سبأ

ونتوقف قليلاً فوق جبل جلعاد

انظري:

في الأعالي شجر

في الأعالي نجوم

كيف تركت المُلْك لسليمانَ بن داودَ

وكيف ترك سليمان بن داود المُلْك لأجلِك؟

هل كانت صلواتك سَكناً له؟

انظري:

إنه يشعل النار في الوقت وينحني على العرش كي..

يخلط الماء بالماء

ولا يكشف عما في الروح من تسوسٍ

تلك دودة الروح تنهش

وها هو واقف يفتش عن الأسئلة ولا ينتظر الإجابات

السماءات فارغة

والأرض مطويةً وبلا نهاياتٍ...

واللغة لا تعبر عن الحقيقة

فكيف يمسكك بجوهر اللغة ليعبر عن كينونة الماوراء

وها هو ذا يدرك عجز اللغة فينكفى على الرمل ويخط بعصا الهيولى على جوهر الرمزِ

أيةُ جوهرةٍ تلك التي يفتش عنها وهو يكلم الريح

ويسخر الجن ويطير في الهواء

ويمشي على الماء

لم يزل في شجر الكلام من اللغو فوق ما يحتمل

سيكشف أن الأرض أضيق مما بين أصابعه من مساحةٍ

عندئذ سوف يخبز الزمن في تنور الأبد والأزل
ويصنع من بخاره أجنحةً ليرى بها الأبد والأزل
وهو غارق في التساؤلات
هل أسرتك المرأة يا ابن داوود؟
ببهائك ينفلق الضوء
وتكتسب اللغة من الكمال والجلال ما لا أحيط به ولا يحيط بي
بك أقترب من المعني
وألتف حول الأسئلة
وأنزل من فوهة الزمن
فأقبض على الأبد والأزل وأقول:
أنا الأبد والأزل..
لم يعد ثمة أين
ولا متى
أو كيف..
أتقدم نحو الأسئلة ولا أبحث عن الإجابات
فقط أغسل خوفي بماء البحر
وأطهر من كل وسواسٍ ورجسٍ
وأمسك الصمت يميني وأدخره كاللفافات
وأنغرس في اللاشيء
وأكون الشيء ونقيضه
فلا كون ولا عدم ولا جوهر ولا عَرَض ولا ماهية ولا هوية
ولا آنية ولا إنية
ولا أينية
فقط أنا
أنا كل شيء وأنت..
أنت كل شيء..

الفهرس

5		متاهة الجسد
189		أشياء صغيرة
225		ملح جاف فوق إبرة الحقل
303		كتاب الوقت والعبارة
323		كتاب الإثم والبراءة – السيدة الخضراء
357		كتاب المسالك والمسائل

